



v. 3-4

[illegible]

PRINCETON UNIV

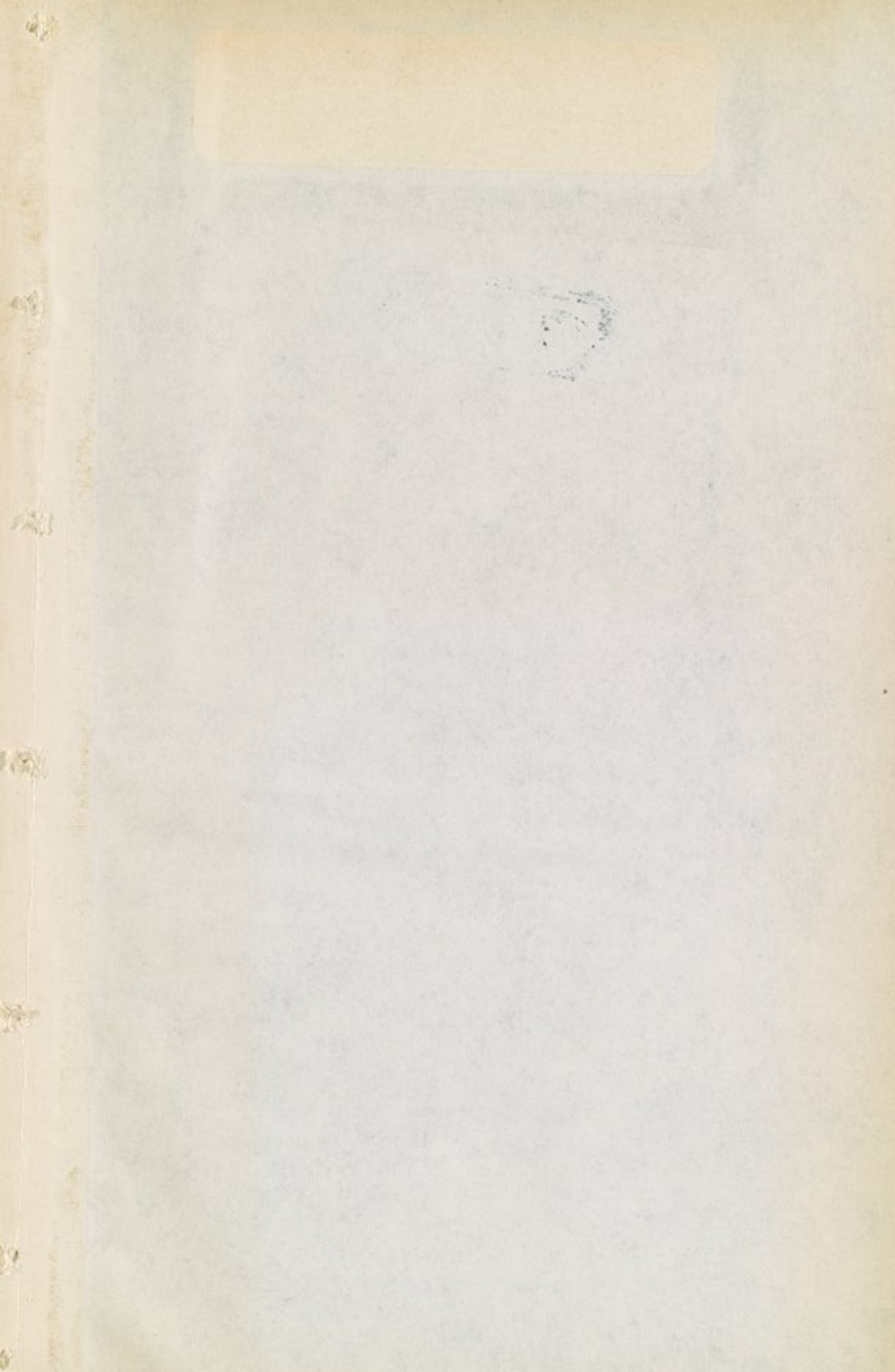


a32101



002092862b





الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

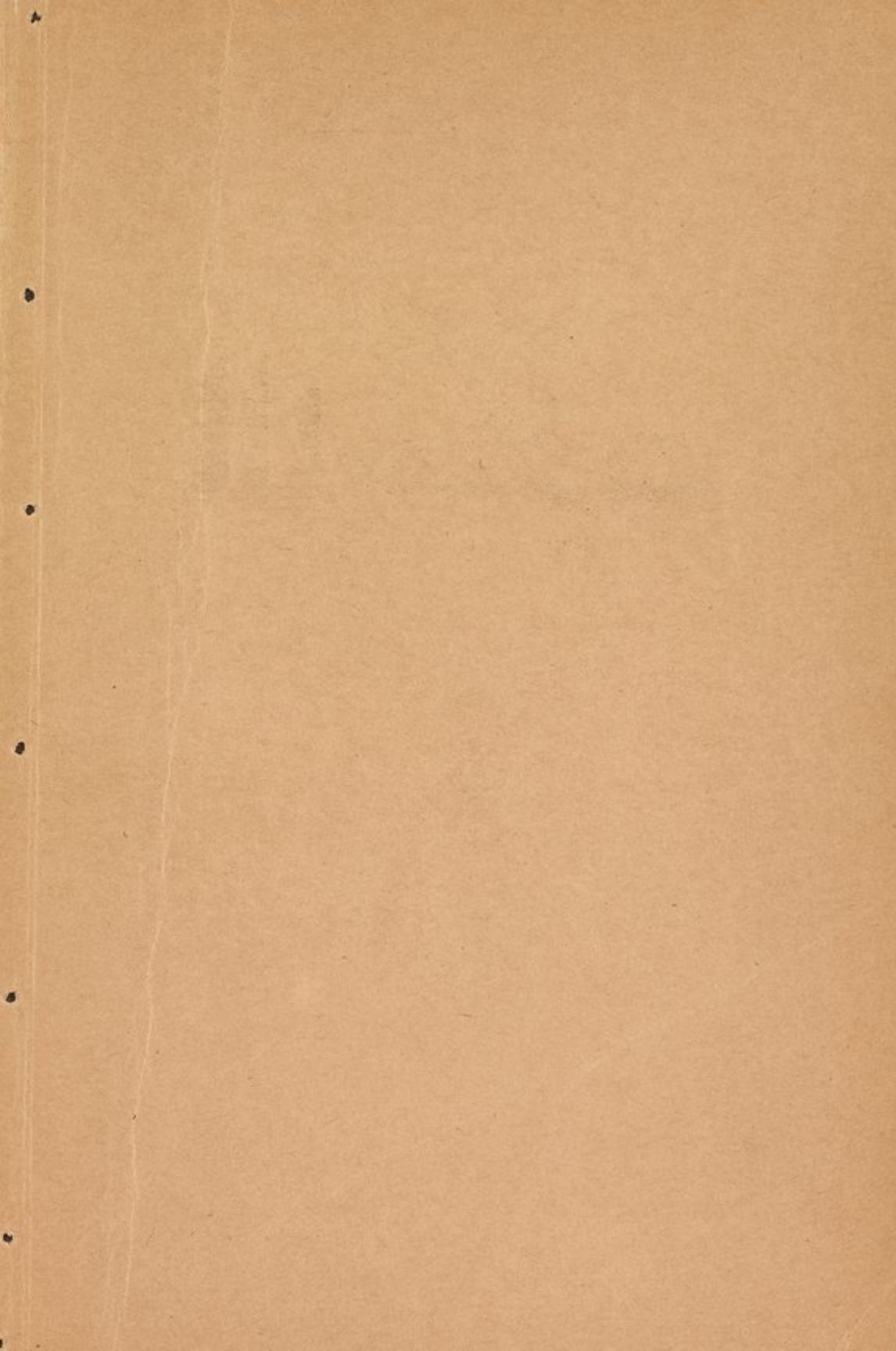
تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحب السادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥



الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

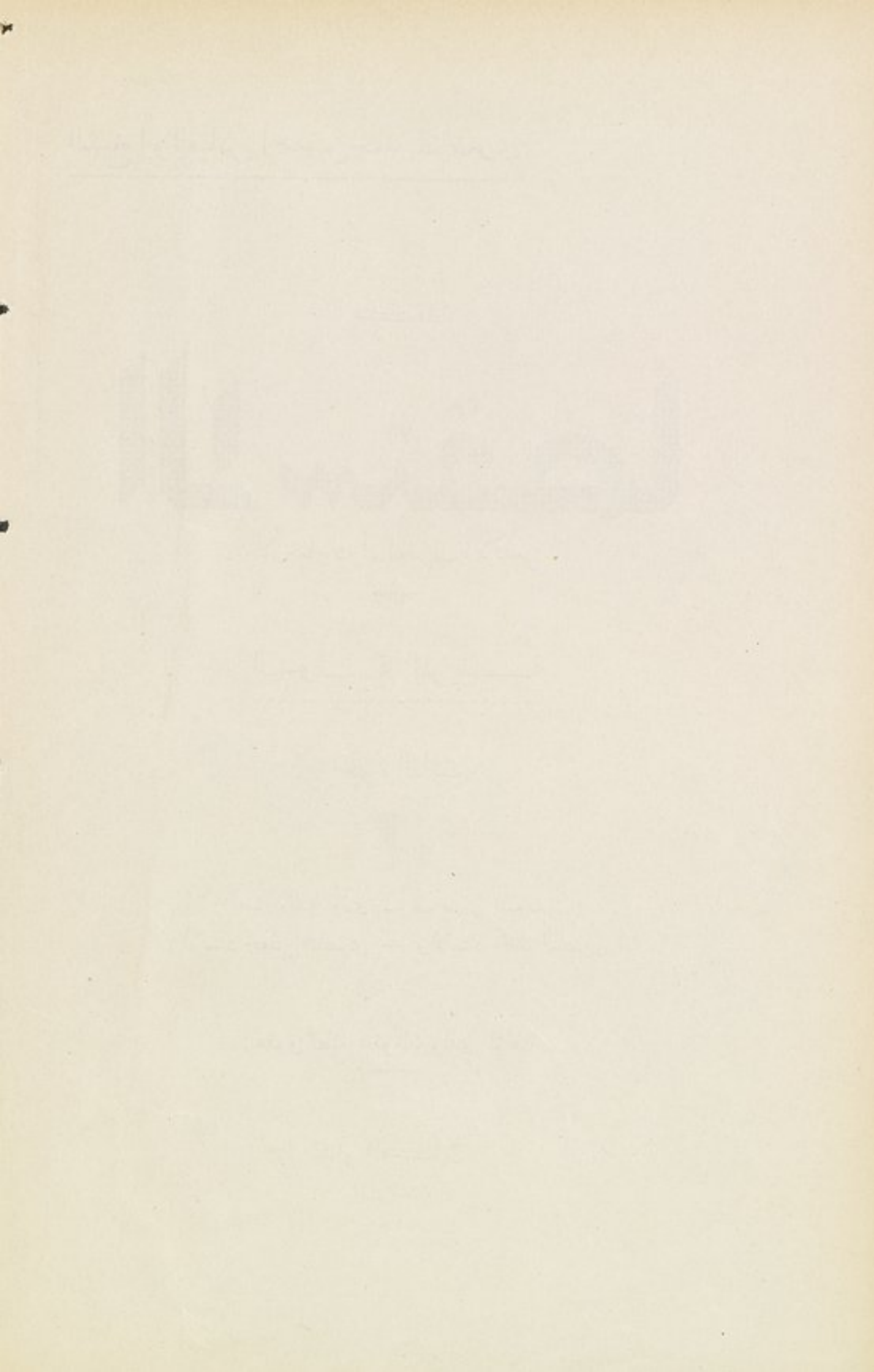
تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤



الدولة المرينية

الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب
وذكر أوليتهم وأصلهم



اعلم أن العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبقتين ، الطبقة الاولى هى التى كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى ، والطبقة الثانية هى التى كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الاقصى ، وهؤلاء هم الذين تعلق الغرض الان بذكرهم .

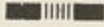
فاعلم أن جيل زناتة فى المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف العين والاثر وهم لهذا العهد ءاخذون من شعار العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب فى الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفه ، وشعارهم من بين البربر اللغة التى يتراطنون بها وهى مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ، ومواطنهم فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب

فمنهم بلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد ، وأذعنوا لحكمهم ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم آخر ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواغن بمجالات القفر من فيجج الى سجلماسة الى ملوية ، وربما يخطون فى ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسبهم أن الرياسة كانت فيهم فى تلك العصور لمحمد بن ورزير بن

فكوس بن كرماط بن مرين ، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبى الجبل
وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة
وعسكر وخمسة أبناء علات ، وكان يقال لهم بلسان زناتة ثيربعين ومعناه
الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزيز لما هلك قام بأمره فى قومه ابنه حمامة بن
محمد وكان الاكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده
ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسائة فى بعض الحروب (*)
التي كانت بين عبد المومن والمرابطين

ثم قام بأمر بنى مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد
الى أن هلك فقام بامرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبى بكر ولم يزل مطاعا فيهم
الى أن استنفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وأبلوا
فيها البلاء الحسن ، وأصاب محيو بن أبى بكر يومئذ جراحات هلك منها
بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسائة وكان من رياسة عبد الحق
ابنه من بعده وبقائها فى عقبه ما نذكره ان شاء الله .



الخبر عن دخول بنى مرين أرض المغرب الاقصى

واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك



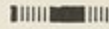
كان السبب فى دخول بنى مرين لهذا القطر المغربى أنه لما كانت وقعة
العقاب بالاندلس سنة تسع وستائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية
المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الوباء العظيم
الذى تحيف الناس الاقليلا وهلك الناصر سنة عشر بعدها فباع الموحدون ابنه
يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لايحسن التدبير ، وشغلته مع ذلك
أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على
الدولة الموحدية فأضعفتها لحينها وأمرضتها المرض الذى كان سببا لحينها ،

(*) انظر هذه الحروب فى الذخيرة السنية صفحة ١٨ وما بعدها طبع الجزائر

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة ،
يتنقلون فى تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم
الدولة بهزيمة ولا يؤدون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا
حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد

وكانت طائفة منهم يتتبعون تخوم المغرب وتلوه زمان الربيع والصيف
فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون اليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة
أنعامهم وشاءهم حتى اذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم باكرسيف ثم شدوا
الرحلة الى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين

فلما كانت سنة عشر وستمئة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى
اذا أطلوا على المغرب من ثيابه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله
وفئت حماته وأبطاله وعريت من أهله وأوطانه وخف منها سكانه وقطانه
ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكثاف
فسيحة المزارع متوفرة العشب لقلة راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها
فأقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فأخبروهم بحال البلاد وما هى عليه من
الخصب والامن وعدم المحامى والمدافع ، فاغتموا الفرصة وأقبلوا مسرعين
بنجعهم وحللهم وانتشروا فى نواحي المغرب وأوجفوا عليها بخيلهم وركابهم
واكسحوا بالغارات والنهب بسيطها ولجأت الرعايا الى حصونها ومعقلها وتم
لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وانتجاع مواقع طله ووبله.



الخبر عن رياسة الامير ابى محمد عبد الحق بن محيو المرينى

رحمه الله



لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن
أبى بكر بن حمادة بن محمد المرينى ، فكثر عيثهم وضررهم بالمغرب وأعزل
داؤهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة
بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهاز لهم جيشا

كيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابي علي بن وانودين وكتب له الى صاحب فاس السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن يأمره بالخروج معه لغزو بنى مرين والاثخان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر على ذلك

واكمل الخبر بنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أنقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف وصمدوا الى الموحيدين فالتقى الجمعان بوادى نكور (*) فكان الظهور لبنى مرين على الموحيدين فهزموهم وقتلوهم وامتلأت الايدى من أسلابهم وأمتعتهم ورجع الموحدون الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتماد الفدن بالزرع وأصناف الباقلى فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ثم زحف الامير عبد الحق فى ذى الحجة من السنة المذكورة بجموع بنى مرين الى رباط تازة (*) حتى وقف بازاء زيتونها فخرج عاملها لحربه فى جيش كفيف من الموحيدين والعرب والحشد من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم قتل بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه

وجمع عبد الحق الاسلاب والخيول والسلاح وقسم ذلك كله فى قبائل بنى مرين ، ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبيه : اياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم منها الثناء والظهور على أعدائكم



(*) وتمت المعركة بحفص الوادى ما بين رباط تازا والمقرمدة (الذخيرة السنينة ص ٢٧ طبع الجزائر)

(*) راجع الذخيرة السنينة فى أخبار الدولة المرينية صفحة ٣١ طبع الجزائر

حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق

رحمه الله

لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدين حصل فى نفوس بنى عسكر ابن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضافت صدورهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم ، فخالقوا الامير عبد الحق وعشيرته الى مظاهرة الموحدين وأوليائهم من عرب رياح ، وكانت رياح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم شوكة وأكثهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالعز والبداءة ، فأغراهم الموحدون يومئذ بنى مرين ليتتصفوا لهم منهم واتفقت كلمتهم عليهم وسمعت بنو مرين بأقبال العرب والموحدين وبنى عسكر اليهم ، فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له : ما ترى فى أمر هؤلاء العرب المقبلين إلينا ؟ فقال : يا معشر مرين أما مادتم فى أمركم مجتمعين ، وفى آرائكم متفقين وكتم على حرب عدوكم أعوانا وفى ذات الله اخوانا ، فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له : «انا نجدد لك الان بيعة على السمع والطاعة وأن لا نختلف عليك ولا نفر عنك أو نموت دونك فانهض بنا اليهم على بركة الله» فنهض الامير عبد الحق فى جموع بنى مرين فكان اللقاء بمقربة من وادى سبو على أميال من تافراطست فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس

ولما رأت بنو مرين ما وقع بأمرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت بايمانها أن لا يدفن حتى يأخذوا بثاره فصمموا العزم لقتال رياح واستأنفوا النجد لقراعهم ، وصبروا صبرا جميلا فنصرهم الله على عدوهم فهزموا رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وشردوهم فى الشعاب والادوية ورؤوس الهضاب ، واحتوا على ما كان فى محلتهم من السلاح والخيول والاثاث ، وقام بأمر بنى مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان على ما تذكره ان شاء الله

بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته

قالوا كان الامير عبد الحق المريني مشهورا في قومه بالتقى والفضل والدين ، موسوما بالصلاح وصحة اليقين معروفا بالورع والعفاف ، موصوفا في سيرته بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويوثر المساكين ، ويخنو على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة وكانت قنيسوته وسراويله يتبرك بهما في جميع أحياء زناته ، وكانوا يحملون فضله وضوئه فيستشفون بها لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائما طول عمره في الحر والبرد لا يرى مفطرا الا في أيام الاعياد ، كثير الذكر والاوراد لا يفر عنها في سائر الحالات متحريا لاكل الحلال لا يقات الا من لحوم ابله وألبانها أو ما يعانيه من الصيد ، معظما في بني مرين مطاعا فيهم يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه

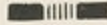
حكى ابن ابي زرع عمن حدثه من الثقات أنه قدم على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق في وفد من أعيان فاس وفقهائها وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ برباط الفتح يريد العبور الى الاندلس برسم الجهاد قال : فجرى في مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب « كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قال فعل واذا عاهد وفي لم يحلف بالله قط بارا ولا حائنا ولم يشرب مسكرا قط ، ولا ارتكب فاحشة ، تضع الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليهن الولادة وكان يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل واذا سمع بخبر صالح أو عابد قصد لزيارته ، واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم ، وكان مع ذلك سما لاعدائه قاهرا لهم وما وجدنا الا ببركته وبركة من دعا له من الصالحين » .

قالوا : وكان الامير عبد الحق في ابتداء أمره قليل الاولاد فرأى ذات ليلة في منامه كان شعلا أربعا من نار خرجن منه فعملون في جو المغرب ثم احتوين على

جميع أقطاره ، فكان تأويلها تمليك بنه الاربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي رآها عبد الملك بن مروان من بوله في المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن ولى الخلافة أربعة من بنه الوليد وسليمان ويزيد وهشام وكان للأمير عبد الحق تسعة من الولد : ادريس وهو أكبرهم وقتل معه في حرب رياح وعثمان ومحمد وأبوبكر ويعقوب وهؤلاء الاربعة هم الذين ولوا الامر بعده ، وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحو وزيان وأبو عياد وبنت هي العاشرة والله أعلم



الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله



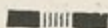
لما فرغ بنو مرين من حرب رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بنى أبيه بعد ادريس فعزوه بمصاب أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الامير أبو سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفنهما أقسم أن لا يرجع عن حرب رياح حتى يثار بمائة شيخ منهم فساد اليهم وأتخن فيهم حتى شفا نفسه وأذعنوا الى الطاعة ولاذوا بالسلم ، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة

ثم ضعفت شوكة الموحدين وتداعى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم على ربوة الاضمحلال وتقلص ظل حكاهم عن البدو جملة وفسدت السابلة واختلط المرعى بالهمل

فلما رأى الامير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم الى القيام بأمر الدين والنظر فى مصالح المسلمين فأسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته ، فسار بهم أبو سعيد فى نواحي المغرب يتقرى مسالكة وشعوبه ويتبع تلولة ودرويه ويدعو الناس الى طاعته والدخول فى عهده وحمايته ، فمن أجابه منهم أمنه ووضع عليه قدرا معلوما من الخراج ، ومن أبى عليه نابذه وأوقع به فبايعه من قبائل المغرب هواردة وركارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم سدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ، ثم

فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كناسة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سبلتهم ثم لما كانت سنة عشرين وستمئة غزا بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناته فأتخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذاية الناس بالغارات والنهب فى الطرقات

ثم فى سنة احدى وعشرين بعدها غزا عرب رياح أهل أزغار وبلاد الهبط فأتخن فيهم حتى كاد يأتى عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتيال عالج له كان رباه صغيرا ، فشب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة فى منخره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وإثار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح سالكا فى ذلك سنن أبيه رحمه الله



الخبر عن رياسة الامير ابى معروف محمد بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك الامير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق ، فافضى سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم من باديته ، وبعث الرشيد بن المامون صاحب مراکش قائده أبا محمد بن وانودين لحرب بنى مرين وعقد له على مكناسة فأجحف بأهلها فى المغارم ، ثم نزل بنومرين فى بعض الاحيان بنواحيها وأجلبوا عليها فنادى أبو محمد فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين ، وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج فاختلفا ضربتين هلك العالج باحدهما وخرج محمد بالاخرى فاندمل جرحه وصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ، ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع بن وانودين الى مكناسة مفلولا

وبقى بنو عبد المومن من أمتاء ذلك فى مرض من الايام وتناقل عن الحماية ثم أو مضت دولتهم ايامضا الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المامون سنة

أربعين وستمئة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب انصرفت
عزائمه الى غزو بنى مرين ، وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تملك المواطن
فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الفرنج
فنهضو سنة اثنتين وأربعين وستمئة فى جيش كثيف يناهز عشرين ألفا ،
فسمع الامير أبو معرف بأقبالهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان اللقاء بموضع
يعرف بصخرة أبى بياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر
الفريقان ، ولما كان عشى النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق فى الجولة بيد
زعيم من زعماء الفرنج تحاملا فشر فرس أبى معرف به ، وأمكنه العلاج فيه
الفرصة فاغتسمها وطعنه فمات ، فانهمزمت بنو مرين وتبعهم الموحدون فاتخذوا
الليل جملا وأسروا طول ليلتهم بحللمهم وعيالاتهم وأموالهم فأصبحوا ببجبال
غياثة من نواحي تازا فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا
عليهم أبا بكر بن عبد الحق على ما ذكره ، وكانت هذه الواقعة وهلاك الامير
أبى معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين
وستمئة

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله

هذا الامير هو الذى رفع من راية بنى مرين وسما بها الى مرتبة الملك
وكنيته أبو يحيى وهو أول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ونشر
البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد . بايعه بنو مرين
بعد مهلك أخيه أبى معرف فى التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه
من النظر لقومه : أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل
كلا منهم بتأخيه منه سوغهم اياها سائر الايام طعمة لهم وأمر كل واحد من
أشياخ بنى مرين أن يستركب الرجل ويستلحق الاتباع فحسننت حالهم
وكررت غاشيتهم وتوفرت جموعهم

استيلاء الامير أبى بكر على مكناسة

ويعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته



ثم سار الامير أبو بكر بمحلته فنزل جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعه الامير أبى زكرياء بن أبى حفص صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته ، وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات الى أن أذعنوا لطاعته ، فافتحها صلحا بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن ابن أبى العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبى زكرياء الحفصى ، وكانت البيعة من انشاء أبى المطرف بن عميرة المخزومى وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيره ، ولى القضاء لبنى عبد المومن بمدينة سلا ، ثم استقصوه بعدها بمكناسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة

ولما فتح الامير أبو بكر مكناسة أقطع أخاه يعقوب ثلث جبايتها جزاء له على وساطته وكان فتح مكناسة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ثم آنس الامير أبوبكر من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الالة لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى الخبر الى السعيد صاحب مراكش بتغلب الامير أبى بكر على مكناسة وصرفها لابن أبى حفص فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف أقطع الامر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم الا قرارة مراكش وما حولها بعد امتداد ظل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس

ثم نهض السعيد من مراكش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبني مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن بن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخرها

ولما وصل الى وادى بهت عرض جيوشه وميزها واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو بمكناسة فخرج وحده ليلا يتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد وجموعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد به

فرأى مالا طاقة له به ورأى من رأى أن يتخلى للسعيد عن البلاد ولا يناجزه الحرب فلحق بمكناسة واستدعى بنى مرين من أماكنهم التى عين لهم ، فتلاحقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد الريف فتحصنوا بها

وتقدم السعيد الى مكناسة فتلقاها أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم فغفا عنهم ، ثم سار الى فاس فنزل بظاهرها من ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فكرم عنهم وأبى ، ثم ارتحل الى رباط تازا فنزل بظاهرها وهناك بعث اليه الامير أبوبكر ببيعتة قبلها وكتب له ولقومه بالامان وكان فيما خاطبه به الامير أبوبكر أن قال له : «ارجع يا أمير المؤمنين الى حضرتك وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفصح لك تلمسان» فشاور السعيد خاصته فى ذلك فقالوا : « لا تفعل يا أمير المؤمنين فان الزناتى أخو الزناتى لا يسلمه ولا يخذله وانا نخاف أن يصطلحا على حربك» فأسغفهم وكتب الى الامير أبوبكر يقول له : «أقم بموضعك وابعث الى بحصة من قومك» فأمدّه بخسمائة من بنى مرين وعقد عليها لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى ابن حمامة

وتقدم السعيد الى تلمسان فكان من هلاكه على قلعة تامزردكت ماقدماه فى أخبار دولته ، وكان الامير أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا الفتك به غيرة ونفاسة عليه فدرس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطأوا عليه من غدره فارتحل الامير أبو بكر عنهم الى بنى يزناسن وكانوا نازلين يومئذ بعين الصفا فأقام هنالك معهم حتى رجعت اليه الحصنة التى كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله واقتراق جموعه فاتتهز الامير أبو بكر الفرصة فى فل الموحدين واعترضهم بأكرسيف فاستلبهم وانتزع الالة من أيديهم وأدار اليه كتيبة الفرنج والناشبة من الانغراز ، واتخذ المركب الملوكى من يومئذ ثم أغذ السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة

استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له

لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يد بنى عبد المومن وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بنى عبد المومن فأتاها عليها الامير أبو بكر بخيله ورجله وتلطف فى مداخلة أهلها وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم ، فأجابوه ووثقوا بعهد غنائهم وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتحال الدعوة الحفصية بأمره ونفذوا طاعة بنى عبد المومن يأسا من صريخهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالى ونشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التى يتعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة

ودخل الامير أبو بكر مدينة فاس زوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة بعد موت السعيد صاحب مراكنش بشهرين ، ولما دخل الامير أبو بكر قصبة فاس أمن السيد أبا العباس عامل الموحدين بها وأخرجه من القصبة بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يبلغونه الى مأمته فأجازوه وادى أم الربيع ورجعوا .

ثم نهض الامير أبو بكر الى منازل تازا وبها يومئذ السيد أبو على بن محمد أخو أبى دبوس فانزلها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد نفورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق رباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة واستقامت له الامور ، وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول فى البساط وعمارة القرى والمدائن وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلح أمر الناس واغتبطوا بولايته

انتقاض أهل فاس على الامير أبي بكر ومحاصرته اياهم

لما استولى الامير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا نهض في ربيع الاول سنة سبع وأربعين وستمائة الى معدن العوام من بلاد فازاز لفتح بلاد زناته وتدويخ نواحيها واستخلف عني فاس مولاه السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الامير أبو بكر لما فتح فاسا استبقى من كان فيها من عسكر بني عبد المومن من غير نسبهم على الوجه الذي كانوا عليه من الخدمة مع الموحيدين ، وكان من جعلتهم طائفة من النصاري نحو المائتين ، وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجي فكانوا من حصه السعود هنالك ، فوقعت بينهم وبين شيعة الموحيدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك بالسعود وتحويل الدعوة الى المرتضى فاجتمعوا الى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي وفاوضوه في ذلك فوافقهم على رأيهم ، فاستدعوا شريدا وقالوا له : «تقتل هذا الاسود وتضبط البلد حتى نكتب الى المرتضى فيبعث إلينا من يقوم بأمرنا» فأجابهم الى ذلك وكان ميله الى الموحيدين وهواه معهم لكونه صنعتهم وكان الذي مشى في هذه الثورة وتولى كبرها المشرف ولد القاضي المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبي طاط وولده

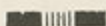
فلما كانت صبيحة الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة طلع الاشياخ المذكورون الى القصبة للسلام على السعود على عادتهم في ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه ببعض المحاورات فغضب واتهرهم فوثبوا به ونادوا بشعارهم وكان شريد الفرنجي واقفا في عسكره أمام القصبة قد واطأهم على ذلك فاقحم على السعود قتيله وقتل معه أربعين من رجاله واحتز العامة رأسه ورفعوه على عصا وطاقفوا به في أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فانتهبوه وسبوا الحرم ونصبوا النصرائي لضبط البلد وبعثوا ببيعتهم الى المرتضى صاحب مراکش واتصل الخبر بالامير أبي بكر وهو منازل بلاد فازاز فافرج عنها وأغذ السير الى فاس فاناخ عليها بمساركره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها .

وبعث أهل فاس الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لكشف ما نزل بهم حيلة ولا وجها ، سوى أنه استجاش على الامير أبى بكر يغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان وأمله لكشف هذه النازلة عمن انجاش الى طاعته فأجابه يغمراسن الى ذلك وطمع ان يكون ذلك سببا له فى تملك المغرب وسلما للصعود الى ذروة ملكه فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير ابى بكر عن فاس وأهلها . واتصل بالامير أبى بكر خبر نهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلته فاسا ، فجمر الكتاب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقبه بـ «وادی ايسلى من بسيط وجدة فتزاحف القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بنى عبد الواد

ثم انكشفت بنو عبد الواد ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان بـ «راس طمرة ولجام وترك محلته بما فيها فاحتوى عليها الامير أبو بكر وانكفأ راجعا الى فاس للاخذ بمخنتها فوصل اليها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة وأناخ عليها بكلكله واستأنف الجد وأرهف الحد وشدد فى الحصار وأيس أهل فاس من اغاثة المرتضى وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة بنى مرين فسألوا الامير أبى بكر الامن فبذله لهم على غرم ما أتلفوا له بالقصر من المال يوم الثورة وقدره مائة ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور فأقام بها الى رجب الموالى له وطالبهم بالمال فسوفوه وتلوا فى المقال

فلما رأى ذلك منهم قبض عنى جماعة من أشياخها وأمنائها وأثقلهم بالحديد وطالبهم بالمال والاثاث الذى انتهوه من القصر فقال له شيخ يعرف بابن الخبا : «انما فعل الذنب مناساة فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ ولو فعل الامير ما أشير به عليه لكان صوابا من الرأى » فقال : « وما ذلك ؟ » قال : « تعمد الى هؤلاء نفر الستة الذين سعوا فى الفتنة فتأخذ رؤوسهم وتشرد بهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بغرم المال » فقال : « لعمرى لقد أصبت »

ثم أمر بالقاضى المغيلى وابنه وابن أبى طاط وابنه وابن جشار وأخيه
فقتلوا ورفعت على الشرفات رؤوسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا وكرها
قال ابن خلدون : « فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادها لاحكام بنى مريـن
وضرب الرهب على قلوبهم فخشعت منهم الاصوات وانقادت منهم انهمم ولم
يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يدفى فتنة» وكان مقتل النفر المذكورين خارج
باب الشريعة يوم الاحد الثامن من رجب المذكور



استيلاء الامير ابى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك



لما أكمل الله للامير أبى بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بنى مريـن
بها رجع الى ما كان فيه من منازل بلاد فازاز فافتحها ودوخ أوطان زناتة
واقضى مغارمهم وحسم علل الثائرين بها ، ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا
وربط الفتح سنة تسع وأربعين وستمئة فملكها وتاخم الموحيدين بثغرها ،
واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك
الثغر وضم الاعمال اليه

وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى بمراكش فأهمه الشأن وأحضر الملا من
الموحيدين وفأوضهم واعتزم على حرب بنى مريـن وسرح العساكر سنة خمسين
وستمئة فأحاطت بسلا ثم افتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابی
عبد الله بن يعلو من مشيخة الموحيدين ثم أجمع المرتضى النهوض بنفسه الى
بنى مريـن فبعث فى المدائن والقبائل حاشرين فأهرعت اليه أمم الموحيدين
والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وستمئة
فى نحو الثمانين ألفا ، ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحي
فاس وصمد اليه الامير أبو بكر فى عساكر بنى مريـن ومن اجتمع اليهم من
ذويهم

والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين الجلاب فاختل مصاف الموحدين وانهزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراكز مفلولا ، واستولى بنو مرين على معسكره واستباحوا سرادقه وانهبوا فساطيطه وغنموا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر ، وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده ، وفي القرطاس أن انهزام جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جولان فرس بين أخيتهم ليلا فحسبوا أن بنى مرين قد أغاروا عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء والله أعلم .

ثم غزا الأمير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميتها من بنى جابر عرب جشم واستلحم أبطالهم والان من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخي الأمير أبي بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوئب على الامر فدرس لابنه أبي حديد مفتاح ابن أبي بكر بقتله فقتله في جهات مكناسة سنة احدى وخمسين وستمئة والله تعالى أعلم



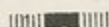
استيلاء الأمير ابى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة



لما كانت سنة خمس وخمسين وستمئة نهض الأمير أبو بكر الى محاربة يغمراسن بن زيان وسمع به يغمراسن فنهض اليه أيضا ، فكان اللقاء بأبى سنيط فاقبلوا وانهزم يغمراسن واعتزم الأمير أبو بكر على اتباعه فثناه عن رأيه في ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع

ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة كانت له من بعض أهلها وعورة أطمعته في ملكها فأسرع الأمير أبو بكر السير بجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن اليها بيوم ، ثم جاء يغمراسن حتى نزل خارجها بباب تاحسنت وسقط في يده

ويش من غلبة الامير أبى بكر عليها ودارت بينهما حرب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق بن أخى الامير أبى بكر ، وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو بكر على سبلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربى وجعل مسلحة الجند بها لنظر أبى يحيى القطرانى ومملكه قيادتهم وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم .



وفاة الامير ابى بكر رحمه الله



لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سبلماسة أقام بفاس أياما ثم نهض الى سبلماسة أيضا متفقا لثغورها فانقلب منها عيلا ووصل الى فاس فتوفى بقصره من قصبتها أواسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة ودفن داخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبى محمد الفشتالى حسبما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما نذكره



الخبر عن دولة ابى حفص الامير عمر بن ابى بكر بن عبد الحق رحمه الله



لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتمل العامة من بنى مرين على ابنه أبى حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا فى خدمته ، ومالت المشيخة وأهل العقد والحل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عند مهلك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أسرع للحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر ، وأحسن عمر بميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأغراه أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ، ثم سعى الناس فى الاصلاح بينهما فتفادى يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على أن تكون له بلاد تازا وبطوية وملوية التى كان أقطعه اياها أخوه من قبل ، فانفصلوا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهرها الى أن غلب عليه عمه المذكور حسبما نقص عليك

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

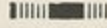


هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بني مرين على الاطلاق
وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف
وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بني عبد الحق وكانت
أمه واسمها أم اليمن بنت علي البطوي رأت وهي بكر كأن القمر خرج من
قبلها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها
فسار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الورياكلى فقصها عليه فقال ان صدقت
رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق
عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بنى مرين
وعذلوهم فيما كان منه من التخلي عن الملك وحملوه على العود فى الامر
ووعده من أنفسهم المظاهرة والنصر الى أن يتم أمره فأجاب وبايعوه وصمد
الى فاس فبرز الامير عمر للقائه

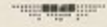
ولما تراءى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مفلولا
ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر ، فأجابه الى ذلك
ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت
كلمته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجلماسة وقصر كنامة
واقصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياها ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه
لنحو سنة من امارته فكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع
والشقاق عن ملكه

وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبى بكر سماله أمل
فى الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بني عبد الواد واستظهر بنى
توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطمعهم فى غيل الاسد ، ثم نهض بهم الى
المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدمان صمد اليهم الامير يعقوب ففلهم وردهم على
أعقابهم ومر يغمراسن فى طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فأحرق واتسف

واستباح وأعظم النكاية ورجع الامير يعقوب الى فاس واقتفى مذهب أخيه الامير
أبى بكر فى فتح أمصار المغرب وتدوين أقطاره وكان مما اكرمه الله به أن
فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي نصارى الاصبنيول فكان له بها أنس
جميل وذكر خالد رحمه الله



استيلاء نصارى الاصبنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها



كان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد استعمله عمه الامير أبو بكر
ابن عبد الحق على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون
من يده أقام يتقلب فى جهاتها مترصدا للفرصة وامكانها فيها ولما بويع عمه
السلطان يعقوب بن عبد الحق آسفته بعض الاحوال منه فذهب مغاصبا حتى
نزل عين غبولة وألطف الحيلة فى تملك رباط الفتح وسلا ليعتدهما ذريعة
لما أسر فى نفسه من التوثب على الامر فتمت له الحيلة وملك سلا وركب
عاملها أبو عبد الله بن يعلو البحر فارا الى آزموور وخلف أمواله وحرمه ،
فتملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالخلع ، وصرف
الى منازعة عمه السلطان يعقوب وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين يعقوبين
وداخل يعقوب سلا تجار الحرب من الاصبنيول فى الامداد بالسلاح
فتباروا فى ذلك وكثرت سفن المتردين منهم اليها حتى كثروا أهلها وزاد
عددهم فغزموا على الثورة بها واهتلوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان
 وخمسين وستمائة عند اشتغال الناس بعيدهم وثاروا بسلا فى اليوم الثانى من
شوال فوضعوا السيف فى أهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم وانهبوا الاموال
وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتحصن يعقوب بن عبد الله برباط
الفتح

وطار الصرينخ الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بمدينة تازا

دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة ، وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والا فالمسافة ما بين تازا وسلا ست مراحل أو أكثر، ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربع عشرة ليلة من حصارها وأئخذ فيهم بالقتل ونجامن نجا منهم الى سفنهم فنشروا قلعوهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ، ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله فى بناء السور الغربى من سلا الذى يقابل الوادى منها فانها كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المومن بن على فانه كان قد هدم اسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه فى دولته ومن هذه الثلثة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله فى بنائه فبناء من أول دار الصناعة قبلة الى البحر جوفاً وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعياً فى صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحسن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة فى هذا الخبر هى الدار التى كانت تصنع بها الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل فى الوادى وكان ذلك من الامر المهم فى دولة الموحدين حسبما سلف قال فى الجذوة : « دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد ابن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة فى نقل الاجرام ورفع الانتقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية » اهـ

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فانه خشى بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسمنه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد

تامسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهى المسماة الان بالدار البيضاء ،
 فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح
 السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمنازلته وسار هو الى لقاء
 يغمراسن فلقه وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب
 ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما ذكره

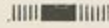


خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق
 رحمه الله



قد تقدم لنا أن الامير عبد الحق المريني كان له تسعة من الولد أكبرهم
 ادريس وقتل مع والده فى حرب رياح وكان لادريس هذا عدة أولاد بقوا فى
 كفالة أعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب وكان أولاد ادريس قد
 ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيמתهم فنفسوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا
 أنهم أحق به منه لان أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على
 عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على
 رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليهم من
 كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض اليهم
 السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس
 منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من
 المتطوعة من بنى مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض
 لهم فى العطاء وشفع بهذه الفعلة ائحسنة عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش
 عبر البحر الى الاندلس من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مواقف
 مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من
 الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله
 وجزاهم عن المسلمين خيرا .

وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجا بالنواحي متقلا في الجهات الى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان يعقوب على ساقية غبولة من ناحية رباط الفتح سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان يعقوب أمره .



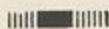
حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبي دبوس منها إليه
وهلاك المرتضى بعد ذلك



لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيته لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم وحضرتهم ورأى أنه أوهن لشوكتهم وأقوى لامره عليهم ، فبعث في قومه وحشد أهل مملكته واستكمل التعبئة وسار سنة ستين وستمائة حتى انتهى الى جبل جيليز فشارف دار الخلافة ونزل بعقرها وأخذ بمخقتها وخفقت ألويته على جناتها ، وعقد المرتضى على حربه لابی دبوس ادريس بن محمد بن أبي حفص بن عبد المومن فعبأ كتابه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها هلك فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق فقت مهلكه في عضدهم وارتحلوا عنها الى أعمالهم واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى ابن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء وتركوا الاموال والاثاث فاحتوى بنو مرين على ذلك كله وهي واقعة أم الرجلين

ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه أبي دبوس بأنه يطلب الامر لنفسه وشعر هو بالسعاية في جانبه فخشى يادرة المرتضى ولحق بالسلطان يعقوب سنة احدى وستين وستمائة عند دخوله الى فاس من محاصرته مراکش فأقام عنده مليا ثم سأله الاعانة على أمره بعسكر يمدد به وآلة يتخذها للملكه ومال يصرفه في ضرورياته ، على أن يشركه في

الفتح والغنيمة والسلطان فأمدد السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بنى مرين وبالمستجاد من الالة والكفاية من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغيرهم أن يكونوا معه يداً واحدة حتى يبلغ مراده من فتح مراكش ، وسار أبو دبوس في الكنايب حتى شارب الحضرة ودس الى أشياعه من الموحدين بأمره فثاروا بالمرتضى فكان من فراره الى آزمور ونزوله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده ما قدمنا ذكره في دولته ، واستتب أمر أبي دبوس بمراكش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة فاستكشف واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بنى مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالاسوار فزحف اليه السلطان يعقوب وحاصره أياماً ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزروع وينسف الاقوات وعجز أبو دبوس عن مدافعتة فاستجاس عليه بيغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله عما أمامه بما وراء فكان ما نذكره



وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراكش ورضى على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو دبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه بيغمراسن بن زيان ليأخذ بحجزته عنها فبعث اليه بالصريح في ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بشن الغارات على ثغور المغرب وإيقاد نار الفتنة بها ، فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهدف منه حدا ماضيا فأفرج للوقت عن مراكش ورجع عوده على بدئه يريد تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان فنزل فاسا وتلوم بها أياما حتى أخذ أهبة الحرب وعدة التزال ثم نهض الى تلمسان منتصف محرم سنة ست وستين وستمائة وسلك على أكرسيف ثم على تافرطاست .

وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبأ كل منهما كتائبه ورتب مصافه وبرز

النساء في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال و طال القراع والنزال ، ولما فاء الفىء ومال النهار وكثرت حشود بنى مريـن جموع بنى عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك فى الحومة أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولى عهده وهلك معه جماعة من عشيرته ، ولما انهزم بنو عبد الواد بقى يغمراسن فى ساقـتهم حاميا لهم من بنى مريـن أن تركبهم من خلفهم فكان ردوا لهم الى أن وصلوا الى بلادهم ، وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الاخرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراکش والله غالب على أمره .



فتح حضرة مراکش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين بها



لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمراسن صرف عزمه الى غزو مراکش والعود الى حصارها كما كان أول مرة فنهض اليها من فاس فى شعبان سنة ست وستين وستمئة ولما عبروا وادى أم الربيع بث السرايا وشن الفارات وأطلق الاعنة والايدي للنهب والعيث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأتخن فيهم واستباحهم ، ثم نزل وادى العبيد فأقام هناك أياما ثم غزا بلاد ضهاجة فاستباحها ولم يزل ينقل ركابه فى أحواز مراکش ويجوس خلالها الى آخر ذى القعدة من سنة سبع وستين وستمئة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة عند أبى دبوس وقالوا له : «يا مولانا كم تقعد عن حرب بنى مريـن وقد ترى ما نزل بنا فى حريـمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا اليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فانهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك الثغر من بنى عبد الواد ولم يزلوا يقتلون له فى الذروة والغارب حتى أجابهم الى رأيهم فاستعد للحرب وبرز من حضرة مراکش فى جيوش ضخمة وجموع

وافرة ، فاستجره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليعبد عن مدد الصريخ
 فيستمكن منه ، فلم يزل أبو دبوس يسعى خلفه حتى نزل ودغفوا فحينئذ كر
 عليه السلطان يعقوب فالتحمت الحرب واختل مصاف أبي دبوس وفر يسابق
 الى مراکش وأين منه مراکش فأدركه الخيول وحطمته الرماح فخر صريعا
 واحتز رأسه وجيء به الى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم
 الاحد ثاني محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم تقدم السلطان يعقوب نحو
 مراکش وفر من كان بها من الموحدين الى تينملل وبايعوا اسحق أخا المرتضى
 فبقى ذبالة هنالك الى أن قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة وجيء به في
 جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبدالمومن
 والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملا وأهل
 الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ،
 ودخل مراکش في عسكر ضخم وموكب فخيم يوم الاحد التاسع من محرم
 المذكور وورث ملك آل عبد المومن وتملاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن
 الناس لبأسه وسكنوا لظل سلطانه ، وأقام بمراكش الى رمضان من سنته ثم أغزا
 ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتحها وأوغل في
 ديارها ودوخ أقطارها ورجع الى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراكش يصلح
 شؤونها الى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة فخرج بنفسه الى بلاد درعة
 فأوقع بعربها الواقعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم ورجع لشهرين من
 غزاته ، ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه بفاس فعقد على مراکش لمحمد بن علي
 ابن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خؤلته وكان من طبقة الوزراء وأنزله
 بقصبة مراکش وجعل المسالح في أعمالها لنظره وعهد اليه بتدوين الاقطار
 ومحو آثار بني عبد المومن وفصل من مراکش قاصدا حضرة فاس في شوال
 من السنة المذكورة والله تعالى أعلم



مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمهما الله

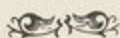
كانت دولة بنى أبي حفص أصحاب تونس وأفريقية فرعا من دولة بنى عبد المومن وشعبة منها حسبما نبهنا عليه غير مرة ، ولما ضعفت دولة بنى عبد المومن بمراكش والمغرب كان صاحب أفريقية أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهتاتى يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى أنه أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بنى عبد المومن لانها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة مراكش لم تعرف الا للمصامدة من قديم الزمان وقبيلة هتاتة هي صميمها وذؤابتها فهذا ونحوه كان بنو أبي حفص يتطاولون الى ملك مراكش ، ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه كانوا يدعون الى أبي زكرياء الحفصي تأليفا لاهل المغرب واستجلابا لمرضايتهم واتيانا لهم من ناحية أهوائهم اذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت في قلوبهم فلو دعوا الى غيرها من أول الامر لحاصوا عنها حصة حمر الوحش ، ولما لم يمكن بنى مرين أن يدعوا الى بنى عبد المومن لانهم أقتالهم واياهم ينازعون ولهم يحاربون ويجالدون دعوا الى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى أصله ، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وانما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا في ارتقاء ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالامر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد أن كان أولا يدعو اليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبي حفص يشطون لذلك ويهادون بنى مرين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازلة مراكش كتب الى أبي عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص يخبره بذلك ويستمدده حتى كأنه نائب عنه لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه دولته فأكرم المستنصر وفادتهم ، ثم لما فتح السلطان

يعقوب مراکش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها من أصناف الخيل الجياد والسلاح والياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكتاني فتلطف الكاتب المذكور في ذكر المستنصر على منبر مراکش حتى تم له ذلك بمحضر وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم بالخبر واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ، ولما هلك المستنصر وبويع ابنه أبو زكرياء يحيى المدعو بالوائق اقتفى سنن أبيه في ذلك فبعث الى السلطان يعقوب بهدية حافلة مع قاضي بجاية أبي العباس الغماري سنة سبع وسبعين وستمائة فعظم موقعها من السلطان يعقوب وكان لابي العباس الغماري هذا بالمغرب ذكر تحدث الناس به دهرا وقطع السلطان يعقوب لاول أمره الدعوة الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم



عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبي مالك بسلا

وما نشأ عن ذلك من خروج قراجه عليه



كان السلطان يعقوب حين خرج من مراکش بعد فتحها قاصدا حضرة فارس دار ملك بنى مرين اجتاز بمدينة سلا فأراح بها أياما فطرقه مرض وعك منه وعكا شديدا ، فلما أبل من مرضه جمع قومه وعقد العهد لأكبر أولاده أبي مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا فأعطوها طواعية وعز ذلك على اقاربة من بنى عبد الحق وهم أولاد سوط النساء بنو ادريس بن عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو بن عبد الحق وانما قيل لهم أولاد سوط النساء لأن هؤلاء الثلاثة من بنى عبد الحق كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء ، فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبي مالك بولاية العهد آسفهم ذلك لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر حسبما سلف فارتدوا على أعقابهم وقلبوا لمهم ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسروا

من ليلتهم من سلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة عس خلاهم
ومدرج فنتهم وكان ذلك فى عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم
اليهم بنو أبى عياد بن عبد الحق وشايعهم على رأيهم ، فخرج السلطان يعقوب
فى أثرهم وقدم بين يديه ابنه الامير يوسف بن يعقوب فى خمسة آلاف فأحاط
بهم وأخذ بمخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك فى عسكره ومعه مسعود بن
كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب فى عساكره فحاصروهم ثلاثة
ولما رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم
واسترضاهم واستل سخائمهم ووصل بهم الى حضرته فسألوا منه الاذن فى
اللاحاق بتلمسان حياء مما ارتكبوه من الخلاف فأذن لهم فأجازوا البحر الى
الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آنس من ميل عمه اليه فبقى بتلمسان
حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منزلة السلطان يعقوب لتلمسان
حسبما نذكره عن قريب .

قال ابن خلدون : « واحتل هؤلاء القرابة من بنى عبد الحق بأرض الاندلس
على حين أفقر من الحماية جوها واستأسد العدو على ثغورها وتحلبت شفاها
لالتهامها ، فتبوأوها أسودا ضارية وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع
الحتوف والنزال مستغلطين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش
فعمظمت نكايتهم فى العدو واعترضوا فى صدره سجي دون الوطن الذى كان
طعمة له فى ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين
وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمداغة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس فى
رياستها بمنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل
العدوة من أعياصهم وغيرهم من أمم البربر وثاقفوه فى مستقر عزه وساهموه ،
فى الجباية بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن
أثرهم فيه حسبما تلمع بالبعض من ذلك ان شاء الله



هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب

لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصارى على مدينة العرائش وتشمس من ثغور العدو المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها واتهبوا أموالها وأضرموها نارا ورجعوا عودهم على بدهم فركبوا أجفانهم ولحقوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراكش فى التاريخ المذكور ولم يبين فى القرطاس هؤلاء النصارى من هم

وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان

لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه فى أقطار المغرب ونواحيه ونفوذ كلمته فى حواضره وبواديه وتم له الصنع بفتح مراكش وورائته كرسى بنى عبد المومن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك ما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن بن زيان وما آسفه به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده ورأى أن وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره لغزوه ونشطه لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان ، فحشد جميع أهل المغرب وعزم على استئصاله وقطع دابره فمسكر بفاس وبعث ولده أبا مالك الى مراكش فى جماعة من خواصه حاشرين فى مدائنها وضواحيها ، فاجتمع عليه من قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج وناشبة الغزو ، استكثر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بفاس كذلك ، ثم نهض منها غرة صفر سنة سبعين وستمائة فسار حتى نزل وادى ملوية فاقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك فى جموعه وتوافت لديه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاتبيح وقبائل ذوى حسان والشبانات من معقل أهل

السوس الأقصى وقبائل رباح أهل أزغار وبلاد الهبط ، فعرض هنالك عساكره وميزها ورتبها فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان

ولما انتهى الى أنكاد قدمت عليه رسل ابن الأحمر ووفد أهل الاندلس يستصرخونه على العدو ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كلب عليهم وشره لالتحام بلادهم فتحركت همته رحمه الله للجهاد ونصر المسلمين واغاثة المستضعفين منهم ، ونظر في صرف الشواغل عن ذلك وجنح للسلم مع يغمراسن وعزم عليها واستشار الملا من أشياخ العرب ، وبنى مرين في ذلك فصوبوا رأيه لما كانوا عليه أيضا من إثار الجهاد ومحبة ، فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشياخ القبائل الى يغمراسن يدعونه الى الصلح واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله : « ان الصلح خير كله فان جنح يغمراسن اليه وأناب فذاك والا فأسرعوا الى بالخبر . » فسار الاشياخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبة واستعد للقاء وحشد قبائل زناتة المجاورين له في تلك البلاد من بنى عبد الواد وبنى راشد وأحلافهم ومغراوة من عرب بنى زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصم عن سماع قولهم وموعظتهم وقال : « أبعد مقتل ولدى أصالحه ، والله لا كان ذلك أبدا حتى أثار به وأذيق أهل المغرب النكال من أجله » فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر ، وتزاحف الفريقان فكان اللقاء على وادى ايسلى من بسيط وجدة وعبأ السلطان يعقوب كتائبه ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد في الميمة وابنه يوسف في الميسرة ووقف هو في القلب ، ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك في الحومة أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان في جماعة من بنى عبد الواد ، وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا معهم لثباتهم بثبات يغمراسن فطحتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برئيس وانهمز الباقون ، ونجا يغمراسن في فله حاميا لهم ومدافعا عنهم من خلفهم ، ومر في هزيمته بفساطيطه فأضرمها نارا فتفاديا من حصرة استيلاء العدو عليها واتهبت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمة وارتحل السلطان يعقوب من الغد في أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها فتسارعت ايدى

الجند اليها وجعلوا عاليها سافلها والصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صفصفا ، وكانت هذه الواقعة منتصف رجب من سنة سبعين وستمائة .

ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدي فلى ساحتها بالنهب والعيث ثم شن الغارات على البسائط فاكسحها سبيا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي وكان من عليه وزرائه وحماة ميدانه وله فى ذلك أخبار مذكورة ، وكان مهلكه فى شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير أبو زيان محمد ابن عبد القوى بن العباس بن عطية كبير بنى توجين من زناتة فى جيش كثيف من قومه مباهايا بنوده وطوله وآلة حربيه ، وكان قدومه هذا بقصد مظاهرة السلطان يعقوب على يغمراسن وتلمسان لعداوة كانت بينهما فأكرم السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس للقائه واتخذ رتبة السلاح لمباهاته واستمر الحصار على تلمسان ، وعظمت نكاية بنى توجين فيها بتخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وافساد الزرع وتحريق القرى والضياع لما كان يغمراسن يعاملهم فى بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ، ولما تمتعت تلمسان على السلطان يعقوب وأيس من فتحها لحصانتها واشتداد شوكة حاميتها عزم على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى بالقبول الى مأمنه قبل أن ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملاحقائهم من التحف وجنب لهم مائة من الخيل المقربات الجياد بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع الفاخرة والصلوات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والغازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا الى منجائهم ومقرهم من جبل وانشريس ، وتلوم السلطان يعقوب عليهم أياما ريشا وصلوا حذرا عليهم من يغمراسن أن ينتهز الفرصة فى اتباعهم ، ثم أقنع السلطان عن تلمسان وثنى عنانه الى المغرب فوصل الى رباط تازا فى أول يوم من ذى الحجة من السنة المذكورة فعيد بها عيد النحر ثم ارتحل الى فاس فدخلها فاتح سنة احدى وسبعين وستمائة فأقام بها الى اليوم الحادى عشر من صفر فتوفى ولده وولى عهده الامير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب ﴿ الاستقصا - ثالث - 3 ﴾

ثم نهض * الى مراكش فدخلها أوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة فأقام بها شهرا حتى أصلح من شأنها ثم نهض الى طنجة وسبته على ما ذكره

فتح طنجة وسبته وما كان من أمر العزفي بهما

قد تقدم لنا في دولة أبي حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفي استبد عليه بسبته وتوارث ذلك بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتات سبته وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ، ولما ضعف أمر بني عبد المومن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي برياستها وضبطها وانتظم في طاعته سائر أعمالها ، ولما كانت سنة ثلاث وستين وستمائة بعث الفقيه المذكور أجفانه الى مدينة أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبتها لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتمنع بها ، واستمرت أموره في سبته ونواحيها على السداد وكانت طنجة تالية لسبته في سائر أحوالها وكانتا معا من أحصن بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني المعروف بابن الامير في طاعة أبي القاسم المذكور ، ثم انتقض عليه لمضى سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه ، وسلك في طنجة مسلك العزفي في سبته ولبثوا على ذلك ما شاء الله ، حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وافتخوا

(*) قال في الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ما نصه : فلما انقضى شهر صفر الذي توفي فيه له ولدا أبو مالك ارتحل أمير المسلمين الى حضرة مراكش فوصل إلى رباط الفتح في الثاني عشر من ربيع الاول فأخذ البيعة لولده الأمير أبي يعقوب علي بن مرين بولاية العهد بها لولده الأمير أبي يعقوب ثم سار إلى مراكش فدخلها في نصف ربيع الآخر فبعد بها أياما ثم ارتحل إلى بلاد السوس الخ ... وهذا خلاف ما عند المؤلف هنا فراجع ذلك ص ١٥٤ طبع الجزائر .

معاقله وحصونه وهلك الامير أبو بكر بن عبد الحق وابنه أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه في أتباعهم وحشهم الى ناحية طنجة واصيلا فأوطنوا ضاحيتها وعاثوا في نواحيها وضيقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ، ثم مكروا وأضرروا الغدر فدخلوا في بعض الايام متأبطين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة ، فثارت بهم عامة أهل طنجة واستلحموهم لحينهم في مصرع واحد سنة خمس وستين وستمائة ، واجتمعوا على ولده فبايعوه وبقيت في ملكته خمسة أشهر. ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فنهض اليها بعساكره من الرجل برا وبحرا وملكها وفر ابن الامير فلحق بتونس ونزل على المستنصر الحفصي واستقرت طنجة في ايالة العزفي فظبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملال من أشرافها في الشورى

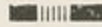
ولما استولى السلطان يعقوب على حضرة مراکش ومحا دولة آل عبد المومن منها وفرغ من أمر عدوه يغمراسن هم بتلك الناحية وأحب أن يضيفها الى ما بيده ليصفو له أمر المغرب الاقصى كله فنهض الى طنجة ونازلها مفتتح اثنتين وسبعين وستمائة لانها كانت في البسيط دون سبتة فكان أمرها أسهل فحاصرها نحو ثلاثة أشهر فامتنت عليه ويش منها وعزم على الافراج عنها فينما هو يقاتل في عشي اليوم الذي عزم على النهوض في غده اذا بجماعة من رماثها قاموا على برج ورفعوا لواء أبيض ونادوا بشعار بني مرين ، وذلك لخلاف وقع بينهم داخل البلد فسارع الجند اليهم فملكوهم البرج فسوروا اليه الحيطان وقاتلوا عليه سائر ليلتهم الى الصباح ثم تكاثرت جيوش بني مرين واقتحموا البلد عنوة ونادى نادى السلطان يعقوب بالامان فلم يهلك من أهلها الا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول ، وكان ذلك في ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولما فرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصر بها العزفي أياما ثم لاذ بالطاعة على أن يبقى ممتعا بحصنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأفرجت عنه عساكره وعاد الى فاس والله غالب على أمره

فتح سجلماسة وما كان من أمرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الأمير أبي بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وأنه عقد على مسلحتها لابي يحيى القطراني الذي كان السبب في فتحها عليه ، ولما هلك الأمير أبو بكر استبد القطراني المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطراني بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بني معقل أهل انصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهي أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمها في ملكه وجه عزمه الى افتتاح سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها فنهض اليها في رجب سنة اثنين وسبعين وستمائة في جموع بني مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ، ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون : « ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها » اه كلامه . قلت وفيه فائدة : أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصراتهم وحروبهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموضوعة في العمل الجارى بفاس قال : « كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعماية حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود » اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته . على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويغلب على ظني أن لفظ الستماية تصحف بالسبعماية فسرى الغلط من ذلك والله أعلم

وأقام السلطان يعقوب على حصار سجلماسة حولا كاملا وكان سفهاؤها يصعدون فوق الاسوار ويعنون بالنسب والفحش الى أن هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف وعاث الجند في أهلها * فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنية ومن كان بها من أشياخ بني عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكمل بفتحها للسلطان يعقوب فتح بلاد المغرب وتمشت طاعته في أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعوته ولا جماعة تحيز الى غير فته



أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين في وقعة العقاب من الظهور والغلبة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالمغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جل ثغورها وحصونها ، ولما ضعف أمر الموحدين بالمغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا الى المنافسة فيما بينهم واستظهار بعضهم على بعض بالطاغية واسلام حصون المسلمين اليه في سبيل تلك الفتنة فمشت رجالات الاندلس بعضهم الى بعض وأجمعوا على اخراج الموحدين من أرضهم فناروا بهم لوقت واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم من بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ونازع ابن هود الرياسة بالاندلس ، ولا تسأل عما ذهب في منازعتهما من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة الشهيرة التي منها قرطبة واشبيلية قاعدتا أرض الاندلس كان كل واحد من هذين النائرين يتقرب الى الطاغية بما غلب

(*) الذي في الذخيرة السنية صفحة ١٥٨ أن السلطان يعقوب أمن سائر أهلها وعفا عنهم ونظر في مصالحهم ورفع مظالمهم وأصلح أحوالهم وبلادهم

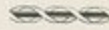
عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده ، وانقرض أمر ابن هود عن أمد قريب واستمرت دولة ابن الاحمر في عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب أمر ابن الاحمر بالاندلس عقد السلم مع الطاغية على أن ينزل له عن جميع بساطط عرب الاندلس فنزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتمدين بأوعاره ومتشبثين بمعاقله وحصونه ، واختار ابن الاحمر لنزوله مدينة غرناطة واتخذها كرسى مملكته وأبنتى بها لسكناء حصن الحمراء

وكان ابن الاحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لاتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا ناب عنه أمر من العدو أو وصل اليه مكروه أن يستنصر عليه بنى مرين ويدراً بهم في نحره ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين ، فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل بشاره والده وأوفد (*) مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب رحمه الله فلقية وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة فبادروا للسلام عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم واستبشر بمقدمهم وبادر لاجابة داعي الله واشار الجنة وكان السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كلفابه مختاراً له لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية ، فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزيمة وايقظوا همته فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس في شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هنالك وجهاز خمسة آلاف من قومه أزاح عنهم وأجزل أعطياتهم وعقد عليهم لابنه أبى زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفي صاحب سبنة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه

(*) راجع نص الكتاب الذي جاء به مشيخة الاندلس من ابن الاحمر الى السلطان يعقوب يستعرضه فيه للجهاد في كتاب الذخيرة السنينة صفحة ١٥٩ طبع الجزائر .

وراجع ايضا جواب السلطان يعقوب على كتاب ابن الاحمر في الذخيرة السنينة ايضا صفحة ١٦٢ .

عشرون أسطولاً فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من
 ذي القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثاً ثم دخل دار
 الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبساطها وامتلات أيديهم من المغنم
 وأتخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة
 شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالأسوار وقفل الأمير أبو زيان إلى
 الجزيرة الخضراء وقد امتلات أيدي عسكره من الأموال وحقائبهم من السبي
 وركائبهم من السلاح والاثاث ورأى أهل الاندلس أن قد ثأروا بعام العقاب
 بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره .



الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد



ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد
 وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه ، وخشى على
 ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد
 الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع
 لاتفاق والمواذعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد
 فأكرم موصله وموصل قومه ، وبادر إلى الإجابة والالفة وأوفد مشيخة بني عبد
 الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع
 الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه
 من الميل إلى الجهاد وإثارة مبرورات الاعمال ، فبث الصدقات شكراً لله تعالى
 على ما منحه من التفرغ لذلك ، ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع
 ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من زناتة
 والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل
 البربر من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فأجازهم من
 فرضة قصر المجاز في صفر سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف

وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس
اشترط عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال
عساكره بها فتجافى له عن ردة وطريف

ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة باجازه السلطان يعقوب قدم اليه
الوفد من أهل مالقة بيعتهم وصريخهم وكان أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو
اسحق من أصحاب ابن الاحمر وكانا مستولين على مالقة ووادي آش وقمارش
ووقعت بينهما وبين ابن الاحمر منافسة فخرجا عن طاعته ، ولما عبر السلطان
يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقيلولة اليه واتصل به وأمضه النود
والنصح وسابق ابن الاحمر في ذلك ونازعه في برور مقدمه والاذعان له وربما
صدرت من ابن اشقيلولة في حق ابن الاحمر جفوة بمحض السلطان يعقوب
أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاحمر مغاضبا للسلطان من أجل ذلك

ولما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كائبه ساحة الارض ما بينها وبين
الجزيرة الخضراء ، ثم نهض الى العدو قبل أن يسبق اليهم الخبر فدخل دار
الحرب وانتهى الى الوادي الكبير فعقد هنالك لولده الامير يوسف على خمسة
آلاف من عسكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره وسرح كائبه في البسائط
وخلال المعال تسف الزروع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتتهب
الاموال وتكسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية حتى انتهى الى
حصن المدور وبياسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة ، وأتى على سائر الحصون
في طريقه فطمس معالمها واكسح أموالها

وقفل السلطان يعقوب رحمه الله والارض تموج سببا الى أن عرس
بأستجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير باتباع العدو آثاره لاستنقاد أسراه
واسترجاع أمواله وأن زعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج في طلبهم في أمم
النصرانية من المحتلم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا
من الفرسان أمامها وسار يقتفيها من خلفها حتى اذا أطلت رايات العدو من
ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرّد السيف وذكر اسم الله وراجعت
زنانة بصائرهما وعزائمهما وتحركت هممهما وأبليت في طاعة ربها والذب عن دينها

وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كالا ولاحتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا اللعين زعيم النصرانية بالاندلس قد قدمه الفئش على جيوشه واستعمله على حروبه وفوض له في جميع أموره وكان النصارى قد سعدوا بطائره وتيمنوا بنقيته لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالا على بلاد الاسلام كثير الغارات عليها حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكد الغارات وألحقه بأمة الهاوية ، ومنح المسلمين رقاب الفرنج واستحر فيهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الالوف وجمعوا من رؤوسهم ما آذن أذنوا عليها نصلاتى الظهر والعصر ، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين (*) أكرمهم الله تعالى بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أوليائه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يكن يحتسبه بمحاربة هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رحمه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاحمر فيقال انه بعثه سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ، ومداراة وانحرافا عن السلطان يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين

واعلم أن هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه ولفظة دون معناها في لسانهم السيد أو العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها

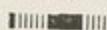
وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع من السنة المذكورة فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ، ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبى ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فأسعت عن الحصر كثر حتى لقد زعموا أنه قد بيعت الشاة الواحدة بدرهم وكذلك السلاح

وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم نهض في جمادى الاولى من

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن عددهم أربعة وعشرون صفحة ١٧٣ طبع الجزائر .

السنة المذكورة غازيا اشيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعاث فى عمرانها وأوغل فى مسيره حتى وقف على بابها وزعقت طبوله فى جوها وخفقت ألويته على جناتها ولجأت الفرنج الى الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ، ثم ارتحل الى شريش فأذاقها من وبال العيث والاكساح مثل ذلك أو أكثر ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته فبيعت الفرنجية من سبيه بها بمئقال ونصف لكثرة السبي حينئذ (*)

ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب فى اختطاط مدينة بفرضة المنجاز من العدو لنزول عسكره متبذرا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لهما مكانا ملاصقا للجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية ، ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمئة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل الى فاس فدخلها فى النصف من شعبان من السنة المذكورة



فتح جبل تينملل ونش قبور بنى عبد المؤمن على يد المليانى عفا الله عنه



قد تقدم لنا أن جبل تينملل كان حصنا للموحدين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده مزارا عظيما لهم لانه مدفن امامهم وملحد خلفائهم فكانوا يعكفون عليه ويلتمسون بركة زيارته ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم قربة يتقربون بها الى الله تعالى ، ولما استولى السلطان يعقوب على مراکش فر من كان بها من الموحدين الى الجبل المذكور واعتصموا به وبايعوا اسحق أخا المرتضى

(*) ذكر فى الذخيرة السنية أن السلطان يعقوب كتب بهذا الفتح لبلاد العدو وقرئ كتابه على المنابر وكذلك كتب الفقيه أبو القاسم العزفى رسالة إلى فقهاء المغرب وصلاحه بشرح هذه الغزاة فانظرها هناك صفحة ١٧٥ طبع الجزائر .

وأملوا منه رجوع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك الى هذه السنة فنهض عامل مراكش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد بن علي بن محلي أحد خؤله ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم اقتحمه عنوة وافتض عذرتة وفك ختامه وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن أبي الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة من مراكش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب القبائلي وأولاده

وعاثت عساكر بنى مرين فى جبل تينملل واكسحوا أمواله ونشوا قبور خلفاء بنى عبد المومن واستخرجوا أشلاءهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو علي بن أحمد الملياني ، كان أبو علي هذا ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فجهزوا اليه عساكرهم وأجهضوه عنها ففر الى السلطان يعقوب فقبله وآواه وأقطعه بلد أغمات اكراما له ، فحضر هذه الوقعة فى جملة العسكر وارتكب هذا الفعل الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبث بأشلائهم وقد انكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوها ومع ذلك فقد تجاوزله السلطان يعقوب عنها تأنيسا لغربته ورعا الجواره ولما توفى السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى اليه فى المليانى هذا فكتبه على ما تذكره ان شاء الله

ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته الى فاس انتقض عليه طلحة بن محلي أحد أخواله وتمنع بجبل آصروا من بلاد فازاز فسار اليه السلطان يعقوب وحاصره به فأتاب الى الطاعة ونزل على الامان(*) وذلك فى منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وستمائة وفى ثانى يوم من شوال من هذه السنة ثارت العامة باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر يهوديا ولولا أن السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها .

* وطلب من السلطان أن يبيع له التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج وأسعفه ووصله بمال جليل وخيل عتاق وما يحتاج إليه . الذخيرة السنية صفحة ١٨٦ طبع الجزائر

بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد



لما فتح جبل تينملل ومحيت منه بقية آل عبد المومن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأى أن يخطط بلدا ينسب اليه ويتميز بسكناه وينزل فيه بحاشيته وأولياؤه الحاملين لسرير ملكه ، فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاصقة لمدينة فاس على ضفة واديهما المخترق لها من جهة أعلاه وشرع في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة ، وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطلت مساحتها وأسست جدرانها وجمع الايدى عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة والمعدلين لحركات الكواكب فاختاروا لها من الطوالع ما يرضون أثره ويحمدون سره وأسست فيه وكان في أولائك المعدلين امامان شهيران أبو الحسن بن القطان * وأبو عبد الله ابن الجباك المقدمان في الصناعة فأكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم رحمه الله وكما رضى ، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة ، واحتط الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور ، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام

قال ابن أبي زرع : ومن سعادة طالعتها أنه لا يموت فيها خليفة ولم يخرج

منها لواء قط الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا

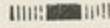
ثم أمر رحمه الله ببناء قصبة مكناسة فشرع في بنائها وبناء جامعها في السنة المذكورة ثم استوزر صنيعته أبا سالم فتح الله السدراتى وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم

ثم كافأ يغمراسن بن زيان على هديته التى كان بعث بها اليه قبل اجازته الى الاندلس فبعث اليه فسطاطا رائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من ابغال الفاراهة ذكرانا واناثا وغير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب

وفى سنة خمس وسبعين وستمائة أهدى اليه الامير محمد بن عبد القوى

(*) في الذخيرة السنية بدل ابن القطان أبو الربيع سليمان الغياش صفحة ١٨٧ طبع الجزائر

التوجيني صاحب جبل واشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب
كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر
الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه سائر أعماله حسبما نذكره ان شاء الله



الجواز الثاني للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما قفل السلطان يعقوب من غزوته الاولى واستنزل الخوارج وثقف
الثغور وهادى الملوك واحتط المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا ، خرج فاتح
سنة خمس وسبعين وستمئة الى جهة مراکش لسد ثغورها وتثقيف أطرافها
وتوغل في أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتي في العساكر
فجاس خلالها ثم انكفأ راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رحمه الله قبائل
المغرب كافة بالنفير الى الجهاد فتأقلموا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يسوفون
الى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ، ولما رأى تتأقلم الناس عليه نهض الى
رباط الفتح وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فأبطأوا عليه فخف في خاصته
وتقدم في حاشيته حتى انتهى الى قصر المجاز ، وقد تلاحق به الناس من كل
جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فأجاز بهم البحر واحتل بطريف آخر
محرم من السنة المذكورة ، ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة ،
فوفاه بها الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن اشقيلولة
صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسن برسم الجهاد معه
ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الاول من السنة المذكورة حتى
انتهى الى اشبيلية فعرس عليها يوم المولد النبوي وكان بها يومئذ ملك
الجلالة ابن اذفوش فلم يجد بدا من الخروج اليه بعد أن خام عن اللقاء
أولا فبرز في جموعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية السلطان
وأظهر من أبهة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الدروع السوابغ
والبيض اللوامع والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد

شعاعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان يعقوب رحمه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده الامير يوسف في المقدمة وزحف على التعبية فاقتتلوا ملياً ، ثم انهزمت الفرنج فانساقط بعضهم في الوادي واتحدر آخرون مع صفته وتساعد آخرون كذلك واقتحم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلوه في لجنه حتى صار الماء أحمر وطفئت جيفهم من الغد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر ، وبات السلطان والمسلمون تلك الليلة على صهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرمو النيران بساحة اشيلية حتى صار الليل نهارا وباتت الفرنج على الاسوار ينفخون في القرون ويحترسون طول ليلتهم

ثم ارتحل السلطان من الغدالي جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطنيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأتخن في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم والانتقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فأراح بها وقسم الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب ووبال الحصار وقطع الزيتون والاعناب وسائر الاشجار وأباد خضراءها وحرق ديارها وأتخن فيها بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والتمر بيده وسرح ولده الامير يوسف من معسكره في سرية للغارة على اشيلية وحصون النوادي الكبير فبالغ في النكاية واكسح حصن روطه وشلوكة وجليانة والقناطر ثم صبح اشيلية فاكسحها وانكفأ راجعا بالمغانم والسبي الى السلطان يعقوب فسر بمقدمه وقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراح السلطان بها أياما وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم جمع أشياخ القبائل وندبهم الى غزو قرطبة وقال : « يامعشر المجاهدين ان اشيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولا نكاية وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الفرنج ومنها معاشهم وما دتهم فان غزوتموها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشيلية وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية

بهذا القطر » فأجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم الاموال والخلع
 وخطب ابن الاحمر يستنفره للجهاد معه وقال : « ان خروجك معي الى قرطبة
 يكون لك مهابة في قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجه من الله تعالى
 من الثواب في ذلك »

ونهب السلطان الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين
 المذكورة فوافاه ابن الاحمر بناحية شدونة فاكرم موصله وشكر خفوفه الى
 الجهاد وبادره اليه ونازلوا حصن بنى بشير فدخلوه عنوة وقتلت المقاتلة
 وسبيت النساء ونقلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ثم بث
 السلطان رحمه الله سرايا والغارات في البساط. فاكسحها وامتلات الايدي
 وأثرى العسكر وفاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والخيول والبغال والحمير
 والقمح والشعير والزيت والعسل ما لا يوصف ثم ساروا يتقرون المنازل
 وال عمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية
 السلطان في نواحيها وزعقت طبوله في فضاءها وتقدم في أبطاله وحماته حتى
 وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة في قتالها ووقف ابن
 الاحمر بعساكر الاندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا من كرة العدو
 وخس الفرنج وراء الاسوار وانبث بعوث المسلمين وسرايهم في نواحي
 قرطبة وقراها ، فنفسوا آثارها وخربوا عمرانها وترددوا على جهاتها
 ودخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على
 قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك
 ثم قدم بعثا الى مدينة جيان فقاسمها حظها من الخسف والدمار ، وخام
 الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه
 من السلطان يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الاقسة والرهبان للوساطة في ذلك
 فرفعهم السلطان يعقوب الى ابن الاحمر وجعل الامر في ذلك
 اليه تكريما لمشهده ووفاء بحقه وقال لوفد الفرنج : « انما أنا ضيف والضيف
 لا يصلح على رب المنزل » فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له : « ان السلطان يعقوب
 قد رد الامر اليك ونحن قد جئناك لنعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا

حرب » وأقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفئس ليخلعنه لانه لم ينصر الصليب ولا حمى الحوزة فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ انسد الطويلة فانعقد السلم فى « آخر شهر رمضان من السنة المذكورة وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وساقها الى غرناطة وقال له السلطان يعقوب: « يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف ابن تاشفين رحمه الله مع أهل الاندلس يوم الزلاقة »

ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن مالقة ودعاه الى حوزها منه وقال له : « ان لم تحزها أعطيتها للفرننج ولا يملكها ابن الاحمر » فحازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه أبى زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها ، وعز ذلك على ابن الاحمر غاية لانه لما بلغه وفاة أبى محمد بن اشقيلولة سما أمه اليها وأن ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعة له لا يبنى به بدلا فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ، ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من السنة وبرز اليه أهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان واغتباطا بدخولهم فى دعوته وانخراطهم فى سلك رعيته ، وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم ، وأنزل معه المسالحي وترك عنده زيان بن أبى عياد بن عبد الحق فى طائفة لنظرة من أبطال بنى مرين ، واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة الخضراء ، ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلات القلوب سرورا بما هياه الله من نصر المسلمين بالاندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك



قد تقدم لنا أن بنو اشقيلولة كانوا أصحابا لابن الاحمر وأنهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء في جوازه الاول صدرت من ابن اشقيلولة كلمات أحفظت ابن الاحمر وغاظته فذهب لاجلها مغاضبا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الغزو ولا عرج على الجهاد ، ولما نصر الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العليج وبعث برأسه الى ابن الاحمر طيبه وبعثه الى قومه انحرافا عن السلطان وموالاة للعدو ، ولما جاز السلطان يعقوب الجواز الثاني انقبض عنه ابن الاحمر ولم يلقه حتى خاطبه السلطان واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونة كما مر ، ولما صنع الله للسلطان ماصنع من الظهور والعز الذي لاكفاه له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيلولة ارتاب ابن الاحمر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف ففص بمكانه وأظلم الجو بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على ألسنة الكتاب في معنى العتاب ولم تنزل القوارص بين السلطانيين تجرى وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الاحمر على ملكه يشتد ويزيد وأوامر الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى أن استحكمت البغضاء وضاق بينهما رجب الفضاء ففزع ابن الاحمر الى مداخلة الطاغية في شأنه واتصال يده بيده وجبله بجبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فاعتصم الطاغية هذه الفرصة ونكت عهد السلطان يعقوب ونقض السلم وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالحي السلطان يعقوب وجنوده وأرست بالرفاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغاثته اياهم واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية واتفقا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداخل

﴿ الاستقصا - ثالث - 4 ﴾

ابن الاحمر عمر ابن يحيى بن محلى صاحب مالقة فى النزول له عنها بعوض
ففعل واستولى ابن الاحمر عليها ثم راسل هو والطاغية يغمراسن بن زيان
من وراء البحر وراسلهم هو فى مشاققة السلطان وافساد ثغوره وانزال
العوائق المانعة له من حركته والاخذ بأذياله عن النهوض الى الغزو وأسنوا
فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عتاق
الخيال مع ثياب من عمل الصوف ، وبعث اليه ابن الاحمر مكافأة على ذلك
عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال ورده وأصفت آراؤهم جميعا على السلطان
يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا فى احكام أمرهم وسد مذهبهم اليهم .

واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو بمراكش كان خرج اليها
مرجه من الغزو فى المحرم سنة سبع وسبعين
وستمائة لما كان من عيث عرب جشم بتامسنا وافسادهم السابلة ، فقف
أطرافها وحسم مادة فسادها ، ثم اتصل به خبر ابن محلى ونزوله عن مالقة
لابن الاحمر ومنازلة الطاغية باساطيله للجزيرة الخضراء وتضييقه على
المسلمين بها ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مراكش ثالث شوال من
السنة يريد طنجة فوصل الى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه بها
الامطار والسيول وعاقته عن النهوض ، وبينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر
أيضا بنزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا واحاطة عسكره بها بعد أن
كانت أساطيله منازلها فى البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وانه مشرف على
التهامها وبعثوا اليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل .

ثم اتصل به الخبر ثالثا بخروج مسعود بن كانون السفينانى ببلاد نفيس من أرض
المصامدة خامس ذى القعدة من السنة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه
وغيرهم ، فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما
يصنع ، الا أنه رأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب فكر راجعا اليه وقدم
بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم العلوى وجاء
هو على ساقتهما ، وفر مسعود بن كانون وجموعه أمام السلطان فاتهب
معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفیان ، ولحق مسعود بجبل

سكسيوة فاعتصم به وشايح عبد الواحد السكسيوى القائم به على خلافه ،
ونازله السلطان يعقوب بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أبا زيان منديل الى
بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه فى
آخر يوم من السنة المذكورة .

واتصل بالسلطان ما تضاغف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة
القتال واعواز الاقوات ، وانهم ختنوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من
مكرة الكفر فاهمه ذلك .

وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كانون حتى ينزل على حكمه
أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص
أهل الجزيرة فمقد لولى عهده ابنه الامير يوسف ، وكان
بمراكش على الغزو اليها وكان أهل الجزيرة كما قلنا قد أحاط بهم العدو
برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعميت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام
من جبل طارق ، وفنى أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار
وشدة الحصار حتى أشرف بقيتهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، فحينئذ
جمعوا صبيانهم وختنهم كما مر وبينما هم على ذلك قدم الامير يوسف
بجيوشه الى طنجة وكان قدومه فى اوائل صفر من سنة ثمان وسبعين
وستمائة

وكان السلطان يعقوب لما بعث ابنه الامير يوسف الى طنجة قد كتب الى
الثغور باعداد الاساطيل وعمارتها وتوجيهها اليه وقسم الاعطاءات وحض
الناس على النهوض فتوفرت هم المسلمين على الجهاد وأجابوا من كل
ناحية ، وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبتة لما بلغه الخطاب من
السلطان فى شأن الاساطيل البلاء الحسن ، وقام فيه المقام المحمود ، فهيا خمسة
وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم الى الشيخ فركبوا
البحر أجمعون ولم يبق بسبتة الا النساء والشيخ والصبيان ، ورأى ابن
الاحمر ما نزل بأهل الجزيرة واشراف الطاغية على أخذها فقدم على ممالاته
إياه وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة فكانت اثنى عشر اسطولا

فبعثها مددا للمسلمين ، وقدم من بادس وسلا وآنفي خمسة عشر أسطولا
فنهض في الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بمرفأ سبتة وقد
أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زى وأكمل استعداد ثم تقدمت الى طنجة
ليراها الامير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة من أبطال
نبي مرين رغبوا في الجهاد .

ثم أفلعت الاساطيل عن طنجة ثامن ربيع الاول سنة ثمان وسبعين
وستمائه وانتشرت قلعوهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم
بمرفأ جبل الفتح وصبحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمئة فظاھر
المسلمون في دروعهم وأسبغوا من شكهم وأخلصوا لله
عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطباؤهم وذكر صلاحوهم ، والتحم
القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل ففسدت
أفروطتهم واختل مصافهم وانكشفوا وتساقطوا في عباب البحر ، فاستلحهم
السيف وغشيهم اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فملكوها وأسروا
قائدها المنند في جماعة من حاشيته ، واستمر متقفا بفاس حتى فر بعد ذلك
وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد أفروطة العدو وهلاكها .

ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر منهم من القتل والاسر
داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيما بساحل
طنجة مستعدا للعبور فقبضوا أبنيهم وأفرجوا عن البلد لحينهم وانتشر
المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت مقاتلتهم
كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الخنطة والادام والفواكه ما ملا
أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحي

وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل الجزيرة وأرهب
العدو في كل ناحية لكنه صده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى
أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل يده بيده لمنازلة غرناطة دار ابن الاحمر
فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر في مدد أهل

الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير يوسف الى أبيه وهو بناحية مراكش فغضب لها وأنكر عنى ابنه وزوى عنه وجهه رضاه ، وأقسم أن لا يرى أسقفا منهم الا أن يراه بارضه ورجعهم الى طاغيتهم مخفقي السعى كاسفى البال

ووصلت فى هذه السنة هدية السلطان أبى زكرياء يحيى الواثق الحفصى مع أبى العباس الغمارى حسبما مرت الاشارة اليه قبل هذا

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الافاق مستفرا للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة حتى انتهى الى طنجة وعاین ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ، ومن فيها وكان قد أمر أمره فى هذه المدة وظاهره أعداء ابن الاحمر من بنى اشقيلولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة ومرج أمر الاندلس ونغلت أطرافها وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحمر مما ناله من خسف الطاغية فراسله فى الموادعة واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التى خادع عنها ابن محلى كما تقدم ، فامتنع ابن الاحمر وأساء الرد فى ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه فى الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية ابن اذفونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن الغزو فبعث الى يغمراسن يسأله عن الذى بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة ، فليج فى الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدو الاندلسية مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معترم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها اواخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه وقال له فيما خاطبه به : «الى متى يا يغمراسن هذا النفور والتمادى فى الغرور ؟ أما آن أن تشرح الصدور وتنقضى هذه الشرور ؟» فى

كلام غير هذا فصم يغمراسن عن ذلك كله ولم يرفع به رأسا ، ولما أيسر
السلطان يعقوب من أقلاعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع
وسبعين وستمائة وقدم ابنه الامير يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بتازا ،
ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما في انتظار العساكر ثم ارتحل حتى نزل وادي
تافنا وصمد اليه يغمراسن بجموع زناتة والعرب بحللمهم ونجمهم وشائهم
ونعمهم والتقت طوابع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما
العسكران والتحم القتال سائر النهار ، وكان الزحف بالموضع المعروف بالمعب
من أحواز تلمسان ثم انكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القوم واتهب
معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتاع وبات عسكر
السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم ،
واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلاأت أيدي
بنى مرين من شائهم ونعمهم وتوغلوا في أرض يغمراسن ، ووافاه هناك
محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين لقيه بناحية القصبات وعانوا جميعا في
بلاده تخريبا ونها ثم أذن السلطان يعقوت لبنى توجين في اللحاق ببلادهم
وأخذ هو بمخنق تلمسان محاصرا لها حتى يصل محمد بن عبد القوى الى
مأمنه من جبل وانشريس خوفا عليه من غائلة يغمراسن واتباعه اياه ، ثم
أفرج عنها وقفل الى المغرب فدخل حضرة فاس في رمضان سنة ثمانين
وستمائة ، ثم نهض الى مراکش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها فبنى
بها بامرأة مسعود بن كانون السفيناني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة
وسرح ابنه الامير يوسف الى السوس لتدوين أقطاره ثم وافاه وهو بمراكش
صريح الطاغية على ما نذكره الان



الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الأندلس مغنيا للطاغية

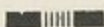
ومغتنا فرصة الجهاد



لما كان السلطان يعقوب رحمه الله بمراكش سنة احدى وثمانين وستمائة قدم عليه كتاب طاغية الاصبيول واسمه هراندة مع وفد من بطارفته وزعماء دولته مستصرخا له على ابنه سانجة الخارج عليه فى طائفة من النصارى وأنهم غلبوه على أمره زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستتصره عليهم ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من يدهم فاعتزم السلطان يعقوب هذه الفرصة فى الحال وجعل جوابه نفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يعرج على شىء حتى أتى قصر المجاز وهو قصر مصمودة فعبّر منه واحتل لوقته بالجزيرة الخضراء فى ربيع الثانى من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عباد وهناك قدم عليه الطاغية هراندة ذليلا لعزة الاسلام مؤملا صريح السلطان فأكرم موصله وأكرم وفادته .

وذكر ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الانبات :
 « ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان رحمه الله بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرنجة ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمهده بشىء من المال ليستعين به على حربه ونفقاته ، فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه ، قال ابن خلدون : «وبقى هذا التاج بدار بنى يعقوب بن عبد الحق فخرا للاعقاب لهذا العهد» قلت : «وما أبعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطارذ بن حاجب التميمى الذى لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين فى الابتذال والصون»

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها يومئذ سانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتنقل في جهاتها وبعث سراياه الى جيان فافسدوا زروعها ثم ارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها ففقل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتل بها في شعبان وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بمثلها وفي هذه السنة توفي يغمراسن بن زيان على ما في القرطاس . وذكر ابن خلدون : أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له : « يا بني ان بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بلقائهم فايك أن تحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يفرنك اني كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقائهم لانني كنت أخشى معرفة العجب عنهم بعد التمرس بهم والاجترأ عليهم وأنت لا يضررك ذلك لانك لم تحاربهم ولم تمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها ملكك وتكافىء حشد العدو بحشدك » قال : « فعمل ابنه عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس في جوازه الرابع فعمد معه السلم على ما أحب وانكفا راجعا الى أخيه فطابت نفسه وتفرغ لافتتاح البلاد الشرقية



انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الأحمر والسبب في ذلك



لما اتصلت يد السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع ملكه خشي ابن الأحمر عاديته فجنح الى موالاة ابنه سانجة الخارج عليه ووصل يده بيده وأكد له العقد واضطربت الاندلس نارا وفتنة بسبب هذا الخلاف ، ولما قفل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه

أجمع على منازلة مالقة التي استحوذ عليها ابن الأحمر وخذع عنها ابن محلي
 فهض السلطان إليها من الجزيرة الخضراء فاتح سنة اثنتين وثمانين وستمائة
 فغلب أولا على الحصون الغربية كلها ثم أسف إلى مالقة فأناخ عليها بعساكره
 وضاف على ابن الأحمر النطاق ولم تغن عنه موالاة سانجة شيئا وبدأ له سوء
 المغبة في شأن مالقة وندم على تناولها فاعمل نظره في الخلاص من ورطتها
 ولم ير لها إلا الأمير يوسف ابن السلطان يعقوب فخطبه بمكانه من المغرب
 مستصرخا له لرفع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين على
 عدوهم فأجابوه واغتم المشورة في مسعاه وعبر البحر إلى الأندلس في صفر
 سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوافى أباه بمعسكره على مالقة ورغب منه
 السلم لابن الأحمر في شأنها والتجافى له عنها فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل في
 ذلك من رضى الله عز وجل في جهاد عدوه وإعلاء كلمته ، وانعقد السلم
 وانبسط أمل ابن الأحمر وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان
 يعقوب إلى الجزيرة الخضراء فبث السرايا في دار الحرب فأوغلو وأئخذوا ثم
 استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثانى
 من سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى إلى قرطبة فأتخن وغنم وخرب
 العمران وافتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وترك محلته على بياسة
 بالمغانم والانتقال وترك معها خمسة آلاف فارس يحمونها من كرة العدو ثم
 أغذ السير في أرض قفرة ليلتين حتى انتهى إلى البرت من نواحي طليطلة
 فسرح الخيل في البسائط وجالت في أكنافها ولم تنته إلى طليطلة لتأفل الناس
 بكثرة الغنائم وأئخن في القتل وقفل على غير طريقه فأئخن وخرب
 وانتهى إلى أبدة فوقف بساحتها وقتلها ساعة من نهار فرماه عليج من خلف السور
 بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها إلى معسكره ببياسة فأراح بها ثلاثا ينسف
 آثارها ويقتلع أشجارها وقفل إلى الجزيرة وبين يديه من السبي والغنائم ما
 يعجز عنه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة فقسم الغنائم
 ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن
 يعقوب فهلك شهيدا على شريش بسهم مسموم لشهرين من ولايته

ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ومعه ابنه أبو زيان منديل فأراح
 بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك
 عيده ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتقيد أحوالها وقسم من نظره لنواحي
 سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العز
 بنت محمد بن حازم العلوى وهى أم الامير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح
 فدفنت بشالة . ثم نهض السلطان يعقوب الى مراكش فدخلها فاتح ثلاث
 وثمانين وستمئة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع
 النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فتحركت همته الى الجهاد ثم سرح
 ابنه الامير يوسف الى عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين
 بها وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المتزين على الدولة فأجفلوا أمامه
 واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر
 العرب فى تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتلال والده
 انسلطان يعقوب فوصل الى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد
 شكرا لله تعالى على نعمة العافية ، وفى هذه السنة وصل ماء عين غبولة الى
 قصبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبى
 الحسن على بن الحاج والله تعالى أعلم



الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور الى الأندلس عرض جنوده وحاشيته
 وأزاح عنهم وبعث فى قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش فى جمادى
 الآخرة ثلاث وثمانين وستمئة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان ففضى
 به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع فى اجازة العساكر
 والحشود من المرتزة والمتطوعة خاتم سنته ، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر
 من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ، ثم سار الى الجزيرة

الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها فى العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث سرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور فتوافت لديه ولحقه حافده عمر ابن عبد الواحد بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصّة الغزى صاحب سبّة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوغز الى ولى عهده الامير يوسف باستنفار من بقى من أهل العدو .

وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران عيونا فوافوا حصن القناطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ، ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بنى مرين والغز وعرب العاصم والخلط والاتيح وأعطاه الراية وبعثه لغزو اشيلية وذلك فى يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فغنموا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأخذوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلات أيديهم من الغنائم ، ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان فى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادى لك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أخذوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها .

ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكرا من خمسمائة فارس للاغارة على حصن ركش فوافوه على غرة فاكسحوا اموالهم وسبوا ، ثم عقد تاسع ربيع ايضا لابنه ابى معرف على الف من الفرسان وسرحه لغزو اشيلية فساروا حتى هجموا عايبها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فخرّب عمرانها وقطع أشجارها وامتلات ايدي عسكره سبيا واموالا ورجع الى محلة السلطان وهى نازلة على شريش كما قد منا مملو الحقايب .

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من

معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بآلات من المساحى والفؤس ، وأمدّه بالرجل من المصامدة وغزاة سبّة فافتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية والصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ، ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن مرتقوط قريبا من معسكره فخرّبه وحرّقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الاهد ، ولعشرين من شهره المذكور وصل الى عهده الامير يوسف من العدو المغربية بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان للقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد فعقد السلطان لولى العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الاول المذكور وسرحه لغزو اشيلية والانشان فى نواحيها فعبا كتابه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكسحوا الاموال وعاج الى العهد على الشرف والغابة من بسط اشيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل الى معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش . وفى يوم الاثنين السادس من ربيع الثانى قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب فى جيش كئيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بنى جابر أهل تادلا مع كبيرهم يوسف ابن قيطون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كبير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمدّه بمعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادى الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها فى المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أدخلوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشيلية فأغار واقتحم برجا كان هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلات أيدى عساكره وقفل الى معسكر السلطان على شريش ، ولثلاث عشرة ليلة

من ربيع الثانى عقد السلطان لولى العهد الامير يوسف لمنازلة جزيرة كبتور فصمد اليها وقتلها واقتحمها عنوة ، وفى ثانى جمادى الاولى عقد السلطان للحاج أبى الزبير طلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخلته أخاه عمر فى شان مالقة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج ففضى فرضه ورجع ومر فى طريقه بتونس فاتهمه الدعى ابن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنتين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع السلطان يعقوب فعقد له فى هذا اليوم على مائتين من الفرسان وسرحه الى اشبيلية ليكون ربيثة للمعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية سانجة ، والسلطان يعقوب رحمه الله أثناء هذا كله يغادى شريش ويراوحها بالقتل والتخريب ونسف الآثار وبث السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوم من تجهيز عسكر أو اغراء جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران فى جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط اشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وجميع بسائط الفرتيرة

وأبلى فى هذه الغزوات عياد بن أبى عياد العاصمى من شيوخ جشم والخضر الغزى من أمراء الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت وكذلك غزاة سبتة وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلهل ابن يحيى الخلطى صهر السلطان ويوسف بن قيطون الجابرى وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم

فلما دمرها تدميرا وأوسعها تخريبا ونسفها نسفا واكتسحها غارة ونهبها وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعتزم السلطان على القفول وأفرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد أن حاصرها نحو من ثلاثة أشهر وعشرة أيام واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فاعوز السلطان الى جميع سواحله من سبتة وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح والمنكب والجزيرة وطريف بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة فى عدتها

فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء وهي المسماة اليوم بخوزيرت غرة رمضان من سنة أربع وثمانين وستمائة ونزل بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بازائها فبرزت أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره فلبعوا بمرأى منه في البحر وتجاولوا وتناطحوا وتطاردوا كفعلهم ساعة الحرب فسر بذلك وأحسن اليهم وصرفهم الى حال سبيلهم



وفادة الطاغية على السلطان يعقوب بأحوال الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب في ذلك



قال ابن خلدون رحمه الله : لما نزل ببلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبى نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلمهم وانتساف عمرانهم زاعت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لاعاصم لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم سانحة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين في السلم وايضاد الملا من كبار النصرانية عليه في ذلك والا فلا تزال تصيهم منه قارعة أو تحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهزيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وهو بالجزيرة الخضراء وفدا من بطارتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعترازا عليهم ، ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صاغتهم اليه وذلهم لغز الاسلام وأجابههم الى ما سألوه واشترط عليهم ما قبلوه من مسالة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين

يدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة ، واستدعى السلطان الشيخ أبا محمد عبد الحق الترجمان وبغته لاشتراط ذلك واحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سانجة وهوباشيلية فعقد معه الصلح واستبلغ وأكد في الوفاء بهذه الشروط ، ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وان يكون معه يدا واحدة عليه فأحضرهم الطاغية بمشهد عبد الحق وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة ، وقال لهم : « انما أتم عيد آبائي فلستم معي في مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عن نفسي فكيف عنكم » فانصرفوا ولما رأى عبد الحق ميله الى رضا السلطان وسوس اليه بالوفادة عليه لتتمكن الالفه وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك في سل السخيمة وتسكين الحفيظة فمال الى موافقته وسأله لقي الامير يوسف ولي عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء السلطان يعقوب وكان قد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واطهار شعائر الاسلام وأبتهه وأن لا يلبسوا الا اليباض ، فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية

وقدم الطاغية في جماعته سود اللباس خاضعين ذليلين فاجتمعوا بالامير بحصن الصخرات على مقربة من وادي لك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقية أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقي بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أتخف بها السلطان وولى عهده كان فيها زوج من الخيول الوحشى المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان وابنه وأضعفوا له المكافأة وكمل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بجز الاسلام عليه وانتقل الى قومه بملء صدره من الرضى والمسرة وسأل منه السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التى بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا

فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والثعلبي ومن كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها الى فاس وتحسيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة لليتين بقيتا من شعبان فقصى صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليله جزءاً لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا في مجلس السلطان ، وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة أبو فارس عبد العزيز المزوزي الاصل المكناسي الدار ويعرف بعزوز أتى بقصيدة طويلة من بحر الوافر على روى الباء المفتوحة المردوفة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وغزوات بنيه وحفدته وامتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلمهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على اختلافها وانشدت بمحضر السلطان والحاشية فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة ولمنشدها بمائتي دينار ، ثم أعمل السلطان نظره في الثغور فرتب بها المسالحي وبعث ولده الامير أبا زيان منديلا ليقف على الحد بين أرضه وأرض ابن الاحمر وعقد له على تلك الناحية وأنزله بحصن ذكوان قرب مالقة وأوصاه أن لا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثاً وعقد لعلي بن أبي عياد العاصمي على مسلحة أخرى وأنزله بأسطونة وأجاز ابنه الامير يوسف الى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره ان يبنى على قبر والده ابي الملوك عبد الحق بتافراطست زاوية فاخط هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الامير عبد الحق ادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعاً وأرضا تسع حرث أربعين زوجاً رحم الله الجميع بمنه



وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

وفى آخر ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وستمائة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذى توفى منه فلم يزل أله يشتد وحاله يضعف الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس فى ضحى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمائة وحمل الى رباط الفتح من بلاد العدو فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس الاعلام رحمه الله

بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته

كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكين كامل اللحية معتدلها أشيب نقى البياض حلما متواضا جوادا مظفرا منصور الراية ميمون النقية لم يقصد جيشا الا هزمه ولا عدوا الا قهره ولا بلدا الا فتحه صواما قواما دائم الذكر كثير البر لا تزال سبخته فى يده مقربا للعلماء مكرما للصلحاء صادرا فى أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الامر بنى المرستانات للمرضى والمجانين ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على الكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمي والعمى والفقراء رتب لهم مالا معلوما يقبضونه فى كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى



لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرن بالخبر الى ولي عهده الامير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخبر وهو بأحواز فاس فأسرع السير الى طنجة وقد مات أبوه قبل وصوله فأخذ البيعة له الوزراء والاشياخ ولما عبر اليهم البحر واحتل بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها له على الكافة فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلمهم فيها الى أمانتهم وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الانزال عن دور الرعية وصرف اعتناؤه الى اصلاح السابلة فأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب الا ما كان منها في الاقطار الخالية والمفاظات المخوفة فخضعت مريـن تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه ، وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر اليه ولقيه بظاهر مربالة في العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فلقاه السلطان مبرة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملكة أبيه ونزل له عنها ما عدى الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فقدم عليه بها وفد الطاغية سنانة مجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله

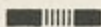
ولما تمهد للسلطان يوسف امر الاندلس عقد لاخته أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشيخ المجاهد أبي الحسن على بن يوسف بن يزكانن على مسلحتها وجعل اليه أمر الحرب وأغنة الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بنى مريـن والعرب ثم عبر البحر الى المغرب

يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى حضرة فاس فدخلها ثاني عشر جمادى الاولى منها ولحين استقراره بها اخرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق في بنيه واخوته ومن انضم اليه ولحق بجبال ورغة ودعا لنفسه فشرح اليه السلطان يوسف أخاه أبا معرف محمد بن يعقوب فبدا له في النزوع اليهم فلحق بهم وشايعهم على رأيهم من الخلاف فاغزاهم السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوث والكتائب ثم تطف في استنزال أخيه حتى نزل على الامان وفر بنو ادريس الى تلمسان فقبض عليهم أثناء طريقهم وجرى بهم في الحديد الى تازا فبعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان قتلهم خارج باب الشريعة منها في رجب من السنة ورهب الاعياص من بنى عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلحقوا بغرناطة ملتفين على بنى ادريس منهم ثم ارتحل السلطان في رمضان من السنة المذكورة الى مراکش لتمهيد نواحيها وتقيف أطرافها فدخلها في شوال وأقام بها الى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فهض من مراکش لغزو عرب معقل بصحراء درعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم في اثني عشر ألفا من الخيل ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم نواجع بالقفر فأنخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراکش وسجلماصة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة المذكورة الى مراکش فنكب محمد بن علي بن محلى عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة الموحدية لما وقع من الارتباب بأولاد محلى بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبته غرة محرم سنة سبع وثمانين وستمائة وهلك في السجن في صفر الموالى له ، وعقد السلطان يوسف على مراکش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاتاني من موالى دولتهم ولاء حلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل السلطان يوسف الى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصر كتامة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ان بنى اشقيلولة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الاحمر بابنته وأخته وقاموا معه فى اثبات قواعد ملكه ثم انحرفوا عنه الى موالاة بنى مرين ونزل محمد بن عبد الله بن أبى الحسن منهم الى السلطان يعقوب عن مالقة وكان عمه أبو اسحق بن أبى الحسن صاحب وادى آش وأعمالها واتصل ذلك فى بنيه الى أن بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت المودة بين السلطان يوسف وابن الاحمر على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الاحمر من السلطان يوسف أن ينزل له عن واد آش التى هى لبنى اشقيلولة المتمسكين بدعوته كما نزل له عن غيرها من الثغور فأجابه السلطان الى ذلك وكتب الى أبى الحسن بن اسحق بن اشقيلولة يأمره بالتخلى له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته البحر الى السلطان يوسف سنة سبع وثمانين المذكورة فلقبه بمدينة سلا فأعطاه السلطان يوسف القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها فلم تزل ولايته متوارثة فى بنيه حتى انقضوا آخر دولة بنى مرين واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم



حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان

صاحب تلمسان



قد تقدم لنا أن يغمراسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان أن لا يحدث مع بنى مرين حربا ولا يوافقهم فى زحف. ما استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بملكهم المغرب الأقصى وأعماله وأن عثمان قد عمل على ذلك فأوفد أخاه

محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع الى أخيه كما تقدم ولما ولي السلطان يوسف وقفل من مراکش الى فاس في هذه المرة بعد أن ترك ابنه أبا عامر عبد الله مع محمد بن عطوا عامل مراکش ثار أبو عامر المذكور بها وخلع طاعة أبيه ودعا الى نفسه وشايعة ابن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير الى مراکش وبرز اليه ابنه أبو عامر فاقتلوا ثم انهزم أبو عامر فعاد الى مراکش واكتسح بيت المال بها وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور فقدمها سنة ثمان وثمانين وستمائة فأواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مليا

ثم عطف السلطان على ابنه الرحم فرضى عنه وأعادته الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم في النفاق مع ابنه فأبى من اذاعة جواره واخفاه ذمته وأغلظ له الرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فثارت من السلطان يوسف الحفائظ الكامنة وتحركت منه الاحسن القديمة والنزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مراکش في صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أن عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ثم نهض من فاس اليها آخر ربيع الآخر من سنته في عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها في رمضان من السنة المذكورة ثم سار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه الى تامت وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضرها ولما امتعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناسن ونسك الاضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد على ما نذكره

انتقاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه



لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتازا أن الطاغية سانجة قد انتقض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور ، فأوعز السلطان الى قائد المسالح بالاندلس على بن يوسف بن يزكان بن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية ، فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمائة وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكاية .

ثم فصل السلطان يوسف من تازا غازيا أثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر أهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع في اجازتهم البحر ، فبعث الطاغية أساطيله الى الزقاق حجزا لهم دون الاجازة فأوعز السلطان يوسف الى قواد أساطيله بالسواحل بعمارتها لمقابلة أساطيل العدو ففعلوا ، وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو وبحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله وقتل قواد الاساطيل ، فأمر السلطان يوسف باستئاف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكه أساطيل السلطان ، فأجاز أخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فانزل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا في أرض العدو ، وردد الغارات على شريش واشيبيلة ونواحيها الى أن بلغ في النكاية والاثخان غرضه وقضى من الجهاد وطره ، وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمائة ، فظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه من الجواز مرة أخرى كما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها



لما قفل السلطان يوسف من الاندلس وقد أبلغ في نكاية العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره ونقلت عليه وطأته فشرع في أعمال الحيلة ففى الافساد بينه وبين ابن الاحمر ، وكان ابن الاحمر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخلص مع الطاغية نجيا وتفاوضا فى أمر السلطان يوسف وان تمكنه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفايه وتصرف شوانهم وسفنهم فيه متى أرادوا فضلا عن الاساطيل الجهادية وان أم تلك الثغور هى طريف وانهم اذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عينا لهم على الزقاق وكان أسطولهم بمرفئها رصد الاساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر ، فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وبها يومئذ مسلحة بنى مرين وتكفل له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك والتزم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على أن تكون له ان خلصت للطاغية ، وتعاهدوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات من المجانيق والعرادات واحاط بها برا وبحرا ، وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريخ السلطان واضطرب ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة واصناف الاقوات ، وبعث عسكرا لمنازلة حصن اسطوبونة فتقلب عليه بعد مدة من الحصار ، واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية فى الصلح والتزول عن البلد ، فصالحهم واستزلهم وتملكها آخر يوم من شوال سنة احدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشرف ابن الاحمر الى تجافى الطاغية له عنها حسبما تعاهدا

عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حانه في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا

اعلم أن بني وطاس فخذ من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبني الوزير منهم ، وبني الوزير يزعمون أن نسبهم دخل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني لحقوا بالبادية ونزلوا على بني وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم ، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدمنا بقيت بلاد الريف خالصة لبني وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب ، ولما غلب الأمير ابوبكر بن عبد الحق على مكناسة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المامون الموحدى من مراكش لغزوه فرأى أمامه إلى حصن تازوطا هذا ونزل به على بني الوزير هؤلاء لاجئا اليهم ومستنجرا بهم فأرادوا الفتك به غيرة منه وحسدا له فشرع بهم وتحول عنهم إلى عين الصفا من بلاد بني يزناسن حسبما تقدم ذلك كله

ولما انقرض أمر بني عبد المومن واستقام ملك المغرب لبني مرين صرفوا عنايتهم إلى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يتقون بفنائه واضطلاعهم ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط من بني وطاس لما يعلمون من سموهم إلى الرياسة وتطلعهم إليها ، وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ، وكان عمر وعامر ابنا يحيى بن الوزير رئيسين على بني وطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا انفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتك الناحية ، فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد

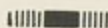
فى شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وفك بحاشيته ورجاله وأزعجه
عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع واعشار للسرور
كانت مخزنة هنالك وضبط الحصن وشحنه بـرجاله ووجوه قومه ولحق منصور
بن عبد الواحد بعمه السلطان يوسف فهلك لليال أسفا على ما أصابه .

وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا على عمر بن السعود بـبن
خرباش الحشمى بالحاء المهملة فى العساكر لمنازلة حصن تازوطا فأناخ عليه
بكلـكـله ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفى صحبته عامر بن يحيى بـبن
الوزير أخو عمر النائر ، فانه كان قد نزع اليه فأحاط السلطان بالحصن وضيق
عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويش من الخلاص وظن انه قد أحيط
به فـدس الى أخيه عامر فى كشف ما نزل به ، فضمن عامر للسلطان يوسف
نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فأذن له السلطان يوسف
فى ذلك فصعد اليه وتفاوضا فى أمرهما وآخر الامر أن عمر احتمل الذخيرة
وفر ليلا الى تلمسان وبدا لعامر فى النزول عند ما صار فى الحصن فامتنع به
قليل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذا بثار ابن أخيه منصور
ولافلاته أخاه من يده

واستمر على ذلك الى أن قدم على السلطان يوسف وفد الاندلس وفيهم
الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغبا فى الصلح
مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسى أساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان
وقدم بين يده هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسى وهو فى الحصن
فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجاهتهم لديه فشفع له
الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينتقل بحاشيته الى
الاندلس وكره عامر ذلك فأظهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته
الى المرسى وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من
الحصن وخاض القلاة الى تلمسان فبعث الخيل أثره فقاتهم وأدركوا ولده
أبا الخيل فجيء به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فضربت عنقه وحب
هنالك ، وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم

فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم ، وتلمك
السلطان يوسف حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقتل الى حضرته
بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة

ولما كان السلطان نازلا على تازوطا قدم عليه رجل من فرنج جنوة بهدية
جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيّار تصوت بحركات هندسية مثل
ما صنع للمتوكل العباسي ، وفي هذه المدة سعى عند السلطان يوسف بأولاد
الامير أبى بكر بن عبد الحق وأنهم أرادوا الخروج عليه فحقد عليهم لذلك
وأحسوا بالشر ففروا الى تلمسان وأقاموا هنالك الى أن بعث السلطان يوسف
اليهم بالامان فأقبلوا حتى اذا كانوا بصبرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير
أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلحمهم اجمعين وهو يرى انه قد
ارضى اياه بذلك الفعل ، واتصل الخبر بالسلطان يوسف
فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريدا ببلاد الريف وجبال
غمارة الى أن هلك بنى سعيد منهم آخر سنة ثمان
وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التى داخل باب الفتوح
وخلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداود فكفلهم جدهم السلطان يوسف الى
أن هلك فولى الامر بعده حافده نأمر وبعد عامر سليمان وسيأتى ذكرهما ان
شاء الله



انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجة



لما استولى الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها وتقض
الطاغية عهد ابن الاحمر فى النزول له عنها سقط فى يد ابن الاحمر وندم
على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف ، فاوفد عليه ابن عمه الرئيس
أبا سعيد فرج بن اسماعيل ووزيره أبا سلطان عزيز الدانى فى وفد من أهل

حضرته لتجديد العهد وتأكيده المودة وتقرير المذرة عن شأن طريف ، فوافوه
بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا
الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسعاف غرضه من المؤاخاة
واتصال اليد ، فوق ذلك منه أجمل موقع وطار سرورا من أعواده ، وأجمع
الرحلة الى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ فى العذر عن واقعة طريف
والرغبة اليه فى نصرة بلاد الاندلس واغاثة المسلمين الذين بها ، فتهيا لذلك
وعبر البحر فى ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل
سيونش من ناحية سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة فلقية بها الاميران أبو عامر عبد
الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال
يومئذ من أبيه بعين الرضا

ولما علم السلطان يوسف بقدومه خرج من فاس للقاءه وبرور مقدمه
فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يدي نجواه هدية اتحف بها السلطان
يوسف كان من أحسنها موقعا لديه المصحف الكبير الذى يقال انه مصحف
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة
ثم خلس الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف فى هذه المرة ، فقبل
السلطان ذلك وكافاه بأضافه وبالغ فى تكريمه واسعفه بجميع مطالبه واراد
ابن الاحمر أن يبسط العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن
سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبر وأحفى ووصل وأجزل ، ونزل *
لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغريبة وعشرين حصنا من ثغور الاندلس
كانت قبل فى ملكه وملكة أبيه ، وعاد ابن الاحمر الى أندلسه آخر سنة
اثنتين وتسعين وستمائة محبوا مجبورا وعبرت معه عساكر السلطان يوسف
لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربها لوزيره الشهير الذكر عمر بن
السعود بن خرباش الحشمى فنازلها مدة فامتنت عليه وافرغ عنها
وفى سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا

* فى النسخة الصحيحة من ابن خلدون طبع الجزائر ان النازل عن هذه الثغور هو ابن
الاحمر للسلطان يوسف وهو ما يقتضيه الحال

وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون فطارا
وعدد كؤسها خمسمائة كأس واربعة عشر كاسا ، وأنفق السلطان فى بناء
الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبا

وفى سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف لغزو تلمسان فوصل
الى تاوريرت وكانت تخما لعمل بنى مرين وبنى عبد الواد ، فنصفها للسلطان
يوسف ونصفها لعثمان بن يغمراسن ولكل واحد منهما بها عامل من ناحيته
فطرد السلطان يوسف عامل ابن يغمراسن وشرع فى بناء الحصن الذى هنالك
فادار سورته وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بنائه
بنفسه من صلاة الغداة الى المساء لا يغيب عن العملة الا فى أوقات الضرورة ،
وفرغ من بنائه وتحصينه فى رمضان من السنة المذكورة ولما تم شحنه
بالعسكر والسلاح وعقد عليه لآخيه أبى بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفا
راجعا الى الحضرة ، ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد
تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشدد فى قتالها ورمائها
بالمجنيق اربعين يوما فامتعت عليه فأفرج عنها ثانى عيد الفطر من السنة
المذكورة ، ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فسار الى تلمسان وبـرز
عثمان بن يغمراسن لمدافته فانهزم وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف
حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقلع عنها ورجع الى المغرب
فقضى نسك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها ،
وسار الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكناسة
فقضى بها بعض الوطر ثم عاد الى فاس ، ثم خرج منها فى جمادى الاولى من
السنة المذكورة غازيا لتلمسان ومر فى طريقه بمدينة وجدة فأمر ببنائها وكان
أبوه السلطان يعقوب قد هدمها كما مر فبناها السلطان يوسف فى هذه المرة
وحصن اسوارها وبنى بها قصبة ودارا لسكناه وحماما ومسجدا ثم سار الى
تلمسان فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها احاطة الهالة بالقمر ونصب
عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها
المهندسون والصناع وتقربوا الى السلطان بعملها فأعجبته وكانت تحمل على

أحد عشر بغلا ولما امتعت تلمسان عليه أفرج عنها فاتح سنة ثمان وتسعين
وستمائة ومر في عوده الى المغرب بوجدة فأنزل بها الحامية من بنى عسكر
ابن محمد لنظر أخيه الامير أبى بكر بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأمرهم
بشن الغارات على أعمال تلمسان مع الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير
أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم

فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب في ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تينملل أن أبا علي الملياني كان قد
سعى في نبش قبور بنى عبد المومن والبعث بأشلائهم وأن الناس قد غاضهم
ذلك لاسيما المصامدة منهم ، ولما هلك السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف
استعمل أبا علي الملياني على جباية المصامدة فباشرها مدة ثم سعى به شيوخ
المصامدة عند السلطان بأنه احتجن المال لنفسه ، فأمر السلطان بمحاسبته
فحوسب وظهرت مخايل صدقهم عليه فنكبه السلطان يوسف أولا ثم قتله
ثانيا ، واصطنع ابن أخيه أبا العباس (*) أحمد بن علي الملياني واستعمله في
كتابه وأقامه ببابه في جملة كتابه ، وكان السلطان يوسف قد سخط على بعض
شيوخ المصامدة منهم علي بن محمد كبير هنتاة وعبد الكريم بن عيسى كبير
قدمية وأوعز الى ابنه الامير علي بن يوسف بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما
فيمين لهما من الولد والحاشية ، وأحسن بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل
الثار الذي كان يعتده عليهم في عمه أبى علي

وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة الى كتاب الدولة لم تختص
بواحد منهم لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط
فكتب احمد بن الملياني الى الامير ابى علي كتابا على لسان والده يأمره فيه
أمرا جزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليه العلامة

التي تنفذ بها الاوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، قال ابن الخطيب : « ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل تأنى حتى اذا علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهي بحال حصارها فانصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب الناس من فراره وسوء اغتراره ورجعت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنعاء على الايام وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام » اهـ ولما وصل الكتاب الى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين الى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهتاتى وولده وعبد الكريم بن عيسى القديموى وبنوه الثلاثة عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الامير على بالاعلام الى والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتل الامر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظا عليه وأنفذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقعد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقير الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين وكان من الكفاة المضطلمين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها ، وأما ابن الملياني فانه فر الى تلمسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل الى الاندلس فبقى هنالك الى أن توفى بغرناطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله :

العز ما ضربت عليه قبابى	والفضل ما اشتملت عليه ثيابى
والزهر ما أهداه غصن يراعتى	والمسك ما أبداه نقس كتابى
فالمجد يمنع أن يزاحم موردى	والعزم يأبى أن يضام جنابى
فاذا بلوت صنعة جازيتها	بجميل شكرى او جزيل ثوابى
واذا عقدت مودة اجريتها	مجرى طعامى من دمي وشرابى
واذا طلبت من الفراقد والسهى	نارا فاوشك أن أنال طلابى

الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الاحداث على تلمسان



تقدم لنا أن السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلمسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر في طريقه بوجدة فأنزل بها الحامية من بنى عسكر الى نظر أخيه الامير أبى بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بنى زيان فامتلأ الامير أبو بكر أمره والح على النواحي بالغارات وافساد السابلة ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفدا منهم على الامير أبى بكر يسألونه الامان لهم ولبن ورائهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان يوسف فبذل لهم من ذلك ما أَرْضاهم ، ونهض الى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الامير أبو بكر جماعة من أهل البلدين على أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم فقبلها ، ورجعوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزمه على النهوض ، فنهض لحيته من فاس فى رجب المذكور بعد أن استكمل حشده ونادى فى قومه وعرض عسكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عنهم ، وسار فى التغيية حتى نزل بساحة تلمسان ثانى شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأناخ عليها بكللكه ورفض قبالتها على ترائبه وأنزل محلته بفنائها وأحاط بجميع جهاتها ، وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار .

ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها فى وسطه ، ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالحي تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يخلف الى تلمسان برفق أو يتسلل اليها بقوت وأخذ بمخفقتها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مائة شهر ، ولما دخلت

سنة اثنتين وسبعمئة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبائه قصرًا
 لسكنائه واتخذ به مسجدًا لصلاته وأدار عليهما سورًا يحرزهما ، ثم أمر
 الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحية والقصور الانيقة
 واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق
 والمارستان ، وابتنى مسجدًا جامعًا أقامه على الصهرريج الكبير وشيد له منارا
 رفيعا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب صير عليها سبعمئة دينار ثم أدار
 السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفتت أسواقها
 ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة ، فكانت من
 أعظم أمصار المغرب وأحفلها الى أن خربها آل يفراسن عند مهلك السلطان
 يوسف وارتحل جيوشه عنها ، ولما تمكن السلطان يوسف من حصار تلمسان
 سرح كتابه وسراياه فى أعمالها وحصونها فاستولى فى مدة قريبة على ندرومة
 وهنين ووهران وتالموت وتامزردكت ومستغانم وتيس وشرشال وبرشك
 والبطحاء ومازونة ووانشريس ومليانة والقصبات ولمدية وتافرجينت ، وجميع
 بلاد بنى عبد الواد وبلاد بنى توجين وبلاد مغراوة وبايعه ابن علان صاحب
 الجزائر وأخذ رعبه بملوك النواحي ، وكانت دولة بنى أبى حفص يومئذ قد
 انقسمت بقسمين فصار كرسى منها بتونس وآخر ببجاية فتنافس صاحب
 تونس وصاحب بجاية فى مصانعة السلطان يوسف والتقرب اليه بالهدايا
 والتحف وصار السلطان يوسف فى ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة
 والاطلاق والله غالب على أمره



نكبة بنى وقاصة من يهود فاس



كان بنو وقاصة هؤلاء من يهود ملاح فاس وكانوا مداخلين للسلطان
 يوسف من صفه الى كبره ، وكانوا يتولون قهزمة داره ويقضون أموره
 الخاصة به ويخلصون الى الكثير من باطن أمره ، قد التحموا به التحاما

وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه فى خلواته وينادمونه فى أنسه ، فعظم
 جاههم عند الحاشية لأقبال السلطان عليهم واستتبعوا الوزراء فمن دونهم من
 رجال الدولة ، وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاص
 وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم
 واستمروا على ذلك برهة من الدهر ، ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقة
 والتفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته فى شأنهم فأهمه أمرهم وشعر كاتبه بذلك
 القائم بأمور دولته أبو محمد عبد الله بن أبى مدين ، فسعى عنده فيهم
 وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة منكرا واعتقلوا فى شعبان من سنة
 احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه
 ابراهيم وموسى بن السبتي واخوته بعد أن امتحنوا ومثل بهم وأنت النكبة
 على حاشيتهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية ، الا أن السلطان استبقى منهم
 خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره ، وعيث بسائرهم
 وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله
 سبحانه

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفى عثمان بن يغمراسن فى الحصار
 عقب شربة لبن يقال أنه جعل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تفاديا من معرة
 غلبة عدوه عليه ، فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان
 واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت
 وبلغ الخبر الى السلطان يوسف ففجع على عثمان وعجب من صرامة قومه من
 بعده

﴿ الاستصا ناك 6 ﴾



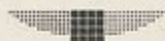
انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة



كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة ، وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ، وكان من أول ما فعله محمد المخلوع بعد استقلاله بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فأوفد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم ، فوصلا الى السلطان يوسف بمعسكره من حصار تلمسان فلقاهما بالقبول والمبرة وجددت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشتبهن العودين منازل الحصون والمناغرة بالرباط فأسعفوه ، ثم فسد ما بينهما لمنافسات جرت الى ذلك فانتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الطاغية وممالاته على المسلمين أهل المغرب وأحكم العهد مع هراندة بن سانحة من بني اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله

ثم أوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الحيلة في الغدر بأهل سبتة ففعل ، وداخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فأمكنه من البلد فافتحمها بأساطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فتلقاهم ابن الاحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقروا بالاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف اطرافها وسد ثغورها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فحمى أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم في جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تازا فلم يغن شيئا ورجع مهزوما فسخطه السلطان لذلك وأهمله وبقي على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتقاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة



كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الحق من أعياص الملك المريني وكان قد قدم من الاندلس في صحبة الرئيس أبي سعيد عند استيلائه على سبتة ثم نار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقي متنقلا هنالك مدة ، فتغلب على تكساس وآصيلا والعرايش وانتهى الى قصر كنامة وخب في الفتنة ووضع الى أن الحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبي الربيع فولى بها مشيخة الغزاة وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء كما سيأتي ان شاء الله .

وفي سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين ، واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة فارس من الابطال ، وخاطب صاحب الديار المصرية لعهدده وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من ممالك بنى أيوب المعروفين بالبحرية ، واستوصاه بحاج أهل المغرب وأحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العرب والمطايا الفارغة يقال كان عدد الخيل والمطايا أربعمائة الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصحفا ضخما اعتنى به واستكبه وجعل له غشاء مكلا بنفس الدر وشريف الياقوت ورفع الاحجار ، ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب والهدية السبيل لحاج المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وافر وركب ضخمة فعقد السلطان يوسف على دلاتهم لابي زيد الغفارى وفصلوا من تلمسان في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وفي شهر ربيع الاخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين حملوا المصحف والهدية ووفد معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد لبيدة بن أبي نمى نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد مهلك أبيهم أبي نمى صاحب مكة ، فاستبلغ السلطان يوسف في اكرامه والتنويه بقدره وسرحه الى المغرب ليحول في أقطاره

ويطوف على معالم الملك وقصوره ، وأوعز الى العمال بالبرور به واتحافه على ما يناسب قدره ، ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلمسان سنة خمس وسبعمائة ثم فصل منها الى مشرقه ، وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفارى دليل ركب الحاج الثانى ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالتقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف ثوبا من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا للبوسه فى الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركا به

وأما الملك الناصر صاحب مصر فانه كافأ السلطان يوسف على هديته بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوفد به مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبعمائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة فى جمادى الآخرة سنة ست بعدها واهتز لقدمهم وأركب الناس للقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة فى مرة أمثالهم ، وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى حافده أبى ثابت فاحسن منقلبهم وملا حقايبهم وفصلوا من المغرب الى بلادهم فى ذى الحجة من سنة سبع وسبعمائة ، ولما انتهوا الى بلاد بنى حسن فى ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر بجريعة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيئا



وفاة السلطان يوسف رحمه الله

كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ في جملة حاشيته ومماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تصير اليه من جهة أبي علي الملياني أيام كان عاملا له على مراکش وكان السلطان يوسف في ابتداء أمره يخلط الخصيان بأهله ولا يحجبهم عن حرمة وعياله ثم حدثت للسلطان ربة في بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم غبر الكبير عريفهم ، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسولت لهذا الخصى الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض حجر قصره فاستاذن عليه فأذن له فالفاه مستلقيا على فراشه مختضا بحناء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء في أثره فأدركه من العشي بناحية تاسلة فقبض عليه وجيء به الى القصر فقتلته العبيد والحاشية وصابر السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذى القعدة من سنة ست وسبعماية (*) وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الان

وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن وقومهم من بني عبد الواد وسائر أهل تلمسان وكانت المدة في ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران ، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما

* وزعم التونسي ان رجلا ممن يشار لهم بالصلاح من اهل أغمات جاء الى السلطان يوسف وهو تحت اسوار تلمسان ورغب منه ان يرفع الحصار عن بني زيان فرفض الساطان طلبه فتأثر الرجل من ذلك وانصرف وهو يقول : « سيحدث بعد حادث يكون فيه ما طلبت » ثم ساق ذكر فتك الخصى بعد بالسلطان يوسف رحمه الله

تجاوز حد العادة وعجز وجدهم عنها فكان ثمن مكيال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمان الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمان المثقال ومن الخيل بعشر المثقال والرطل من الجلد البقرى مئة أو مذكى ثلاثين درهما والهر الداجي بمثقال ونصف والكلب بمثله والفأر بعشرة دراهم والحية بمثل ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة ستة دراهم والعصافير كذلك والواقية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين درهما ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن الفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القناء والفقوس باربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاحاص بدرهمين ، واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاعت أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعترموا على اللقاء باليد والخروج للاستماتة فهياً الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخنقهم بمهلك السلطان يوسف على يد الخصى المريب وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما نشروا من القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة في سكتهم : « ما أقرب فرج الله » استغرابا لها (*)

قال ابن خلدون : حدثني شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي قال: جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء سابع ذى القعدة في زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن جحاف خازن الزرع فسأله كم بقي من الاهراء والمظامير المختومة فقال له : انما بقي عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمان ذلك وبينما هم يتذاكرون في ذلك دخل عليهم أخوه أبو حموا فأخبروه بذلك فوجم وجلسوا سكوتا لا ينطقون واذا بدعد قهرمانة القصر وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبسى

* ذكر صاحب بغية الرواة انه بلغ في هذا الحصار عدد موتى اهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مائة الف وعشرين الفا ص ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣

اسحق حظية أبيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيثهم وقالت لهم : « تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم : » ما لنا والبقاء وقد أحيط بكم واسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الافواق ناقة لمصارعكم فأريحونا من معرة السبى وقربونا الى مصارعنا وأريحوا أنفسكم فينا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم » فالتفت أبو حموا الى أخيه أبي زيان وكان من الشفقة بمكان فقال : « قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن » فقال : « ياموسى أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما شاء » فغضب ابو حموا وانكر عليه التأخير فى ذلك وقال : « انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا » وقام عنه مغضا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء قال ابن جحاف : « وأنا بمكانى بين يديه لا أملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعنى الا حرسى بالباب يشير الى أن أعلم السلطان بمكان رسول جاء من محلة بنى مريـن وها هو بسدة القصر » قال ابن جحاف : « فلم أطق رد جوابه الا بالاشارة » واتبه السلطان من همسنا فزعا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال : « ان السلطان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وأنا رسول حافده أبى ثابت اليكم » فاستبشر السلطان أبوزيان واستدعى أخاه وقومه حتى بلغ الرسول المذكور رسالته بمسمع منهم فكانت احدى المغربات فى الايام وكان من خبر هذه الرسالة أن السلطان يوسف لما هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتحيز حافده أبو ثابت الى بنى ورتاجن لخؤلة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوبوا عليه وبعث الى بنى زيان أن يعطوه آلة الحرب ويكونوا مفزعا له ان أخفق مسعا على أنه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مريـن وافرغ عنهم ، فعاقدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التى كان السلطان يوسف غلب عليها من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غالب على أمره



بقية اخبار السلطان يوسف وسيرته



كان السلطان يوسف رحمه الله أبيض حسن القد مليح الوجه أقنى
الانف مهيا لا يكاد أحد يبدأ بالكلام جوادا مشفقا على الرعية متفقا لاحوالها
شجاعا شهما ذا عزيمة .

إذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
وهو أول من هذب ملك بنى مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك
وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد ، ومن أعيان كتابه
الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني ، ومن أعيان شعرائه أبو
الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو فارس عبد العزيز المزوزي المكناسي
وغيرهما والله تعالى أعلم

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث (ففي سنة ست وخمسين
وستمائة) وهي السنة التي بويغ فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان
الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيرها ربع منه بدرهم
والقمح ستة دراهم للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة ، وأما القطنى
فلم يكن لها ثمن والعسل ثلاثة أرتال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم
والزبيب درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرتال بدرهم والموز صاع بدرهم
والشابل الطرى فردة بغيراط والملح حمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية
بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا
وفى سنة احدى وستين وستمائة ظهر النجم أبو الذوائب وكان ابتداء
ظهوره ليلة الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقي يطلع كل ليلة
وقت السحر نحواً من عشرين يوماً

وفى سنة أربع وستين وستمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن
قاسم الحسنى من أرض ينبع الحجاز الى سجلماسة وهذا الشريف هو جد
الاشراف العلويين السجلماسيين ملوك المغرب الاقصى فى عصرنا هذا أعلى

الله تعالى قدرهم وخلد مجدهم وفخرهم ، وعند الكلام على دولتهم السعيدة نذكر كيفية دخول هذا الشريف الى المغرب والسبب فيه ان شاء الله
وفى سنة ست وستين وستمائة سرق من بيت المال بقصبة فاس اثنا عشر ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك

وفى حدود السبعين وستمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة فى هذه المدة والله تعالى أعلم

وفى سنة سبع وسبعين وستمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد ، وفى سنة تسع وسبعين وستمائة علقت به ثرياه وذلك يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الاول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا وعدد كؤوسها مائتا كأس بالثنية وسبع وثمانون كأسا وفيها كان الجراد العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الارض وبلغ القمح عشرة دراهم للصاع

وفى سنة ثمانين وستمائة بنيت قنطرة وادى النجاة وقنطرة ماريـج وفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس قنطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذى توفيت فيه الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوية من بنى على بن عسكر وهى أم السلطان يوسف ففات الله العباد وأحیی برحمته البلاد

وفى سنة خمس وثمانين وستمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبت الناعورة الكبرى على وادى فاس شرع فى عملها فى رجب من السنة المذكورة ودارت فى صفر من السنة بعدها

وفى سنة ست وثمانين وستمائة بنى سور قصر المجاز وركبت أبوابه وفيها غرس بستان المصارة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء بها أيضا وفى سنة تسع وثمانين وستمائة كانت الرياح الشرقية المتوالية الهبوب ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك الى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله بلاده وعباده وفيها توفى الشيخ الصالح أبو يعقوب الاشقر بالكندرتين من

بلاد بنى يهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذى تنسب إليه
الحمة التى قدمنا الكلام عليها فى أخبار المنصور الموحدى والله أعلم وفيها
بنى المسجد الجامع بمدينة تازا وبنيت قبة مكناسة الزيتون ورباعها

وفى سنة احدى وتسعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال له (*) وصيره عيدا من الاعياد
فى جميع بلاده وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وكان الامر
به قد صدر عنه وهو بصرة من بلاد الريف فى آخر صفر من السنة فوصل
برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبى الصبر واعلم أنه قد
كان سبق السلطان يوسف الى هذه المنقبة المولدية بنو العزفى أصحاب سبته
فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كان كسوف الشمس وذلك قـرب
زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها
نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب
أبو عبد الله بن أبى الصبر حتى انتجلت فخرج من المحراب ووقف بأزائه
فوعظ الناس وذكرهم وفى هذه السنة رفعت أيدي الموتقين من الشهادة بفاس*
ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلا من أهل العدالة والمعرفة وكانوا
قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادى عشر من شوال من
السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد
المغرب وافريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على الغتسل
وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم وأمر السلطان
يوسف بتبديل الصيعان وجعلها على مد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

(*) يعنى بالمغرب واما بالشرق فاول من أحدثه الملك المظفر صاحب اربل فى
اواخر المائة السادسة انظر ترجمته فى حرف الكاف من وفيات الاعيان .

* وذكر فى الفائق ان السلطان ابا عنان المرينى الاتى امر بالاختصار على عشرة
من الشهود بمدينة مكناسة انظر تمام كلامه

بالحضرة على يد الفقيه أبى فارس عبد العزيز المازوزى الشاعر المشهور .
 ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة فيها صلح أمر الناس وانجبرت
 أحوالهم ورخصت الاسعار فى جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما
 للصحفة وفى هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلى بحيث غاب
 قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التى تكون ما بين العشاءين
 وظهرت النجوم وماج الناس وضاعت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم
 بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة الظهر الثلاثاء الثامن
 والعشرين من ذى الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة
 وفى سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة
 بازاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبا مر الخبر على ذلك
 مستوفى وبالله تعالى التوفيق



الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



قد تقدم لنا أن أبا عامر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد انتبذ عن
 أبيه وبقي متقلا فى جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك فى بلاد بنى
 سعيد منهم ، وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا
 الذى ولى الامر بعد جده ، وذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله
 بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا فى جملة وكان له فى بنى
 ورتاجن من أهل تلك البلاد خولة فلحق بهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه
 فى أمره ، وبايعه معهم أشياخ بنى مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس
 ثانى يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايعهم بداخل
 المنصورة الى بيعة الامير أبى سالم بن السلطان يوسف وكاد أمر بنى مرين
 يفسد وكلمتهم تتفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحيته وكان شهما مقداما الى

صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن فقد لهما
 عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يمدوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم
 ويضموه اليهم ان خاب أمله ولم يتم له أمر فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد
 أبو حمو فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة
 بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وان من أراد الإقامة بها
 من أهلها فما لاحد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد استوطنوها وألقوها
 وطاب مقامهم بها وتأنلوا بها الاثاث والمتاع والخزنى وسائر الماعون مما يثبت
 المرتحل ويثقل جناح الناهض فقبل أبو حمو ذلك كله

وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبي سالم
 فلم يتم وكب السلطان أبو ثابت الى حامية بنى مرين وحصصها التي كانت
 متفرقة فى الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته
 فأقبلوا اليه ينسلون من كل حدب وأسلموا البلاد الى أهلها من بنى عبد الواد
 وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعم أبيه أبي بكر بن
 يعقوب فى آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر ببقية
 القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلحقوا بعثمان بن أبي العلاء
 النائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم
 على ما نذكره ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس فى جموع
 لاتحصى وأمم لاتستقصى فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمائة فى
 طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمائة
 ثم نهض بعد ذلك الى مراکش على ما نذكره ، ولما علم بنو يغمراسن أن أبا
 ثابت قد أبعد عنهم وأنه توغل فى البلاد المراكشية واشتغل بحروب النائرين
 بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحووا آثارها
 فأصبحت كأن لم تغن بالامس



ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره



كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن ابن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر في أحوال فاس والمغرب ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثه نفسه بالانتزاع فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالى بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان أبى ثابت وهو بفاس فسرّح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاء المهمة ويعقوب بن آصناك فى خمسة آلاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبى عياد الى حربهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبى عياد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكورى ولحق به موسى بن سعيد الصيحي من اغمات تدلى من سورها فلحق به

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبى عياد فى انتزائه فاستلحموا جميعا ، ولما لحق ابن أبى عياد بمخلوف بن هنو الهسكورى واستجار به لم يجره على السلطان أبى ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم فى الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا فى مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبى عياد الى فاس فطيف به ونصب على سورها ثم أئخذ أبو ثابت

فى كل من كان على رأى ابن أبى عياد وخاض معه فى الفتنة فاستلحم منهم
بمراكش ما ينيف على الستمائة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب
مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل فى اغمات منهم مثل ذلك وخرج
منتصف شعبان الى منازل السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فنزل بتامزوارت
وتلقاه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ،
ثم بعث قائده يعقوب بن آصناك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة
برسم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة وانقطع أثرهم
ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها ، فانكفأ
السلطان أبو ثابت راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع
وسبعمائة . ثم خرج منها فى منتصفه قاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة
وعبر وادى أم الربيع من مشرع كتامة فى القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم
ارتحل فاجتاز ببلاد تامسنا فلقاه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى
جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنفى بعد أن استأذنوه فى الرجوع
فلم يأذن لهم ، ولما احتل بآنفى دعا بأشياخهم فحضرُوا عنده فقبض على ستين
منهم أودعهم سجن آنفى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبيل
وصلبهم على سور آنفى ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله فى السابع والعشرين
من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين
بالحراة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ، ثم ارتحل منتصف
شوال لغزو عرب رياح المواطنين بأبى طويل وفحص آزغار وبلاد الهبط ،
ففزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذرارهم واتهب أموالهم
ونهب الى فاس فاحتل بها منتصف ذى القعدة وعيد بها عيد الاضحى ثم نهض
الى سبتة على ما نذكره

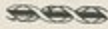


غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارقة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء

قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبي سعيد بن الأحمر المتغلب على سبتة أيام السلطان يوسف وأنه ناز بجبال غمارقة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه خبره وأهمه شأنه إلا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض إليه فعاجله الحمام دون ذلك ولما أفضى الأمر إلى السلطان أبي ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بمراكش كما قدمناه ففقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فرحف إليه ونهض عثمان بن أبي العلاء إلى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلحم من كان معه من جند الفرنج وهلك في تلك الوقعة عبد الواحد الفودودي من رجال الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بن أبي العلاء إلى قصر كامة فدخله واستولى على جهاته وكان بطيلا من الإبطال وعلى أثر ذلك كان رجوع السلطان أبي ثابت من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومجى أثر النفاق فاعتزم على النهوض إلى بلاد غمارقة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبتة من يد ابن الأحمر المتغلب عليها لأنها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله

فنهض السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى إلى قصر كامة فقلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والرماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارقة ، وكان عثمان بن أبي العلاء قد فر أمامه إلى ناحية سبتة فسار السلطان أبو ثابت فسي اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ، ثم نازل بلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية واتهب الأموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه إلى القصر في وسط

بلادهم وبالغوا فى تضييفه واكرامه ودخلوا معه القصر وآصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلهم ، ثم ارتحل السلطان أبو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمائة وتحصن ابن أبى العلاء بسبته مع أوليائه من ابن الاحمر وسرح السلطان أبو ثابت عسكره ففرقت فى نواحي سبته بالغارات واكساح الاموال

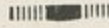


بناء مدينة تطاوين



ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره وللاخذ بمحقق سبته هكذا عند ابن أبى زرع وابن خلدون . واعلم أن تطاوين هذه هى تطاوين القديمة وقد تقدم لنا أن قصبتها بنيت فى سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها فى هذا التاريخ الذى هو فاتح سنة ثمان وسبعمائة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثيقا ، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبا يأتى الخبر عن ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى ، قالوا : ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها فى لسان البربر العين ووين وهى كناية عن المخاطب نحو يافلان وما أشبه ذلك ، قالوا : والسبب فى تسميتها بذلك أنهم فى وقت اختطاطهم لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين ، أى يافلان افتح عينك لان عادة الحارس أن يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها ويظهر أن هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها المقلة ومعنى مجموع الكلمتين مقلة العين والاضافة مقلوبة كما هى فى لسان بعض الامم العجمية فانه لامستند له والله تعالى أعلم ولما شرع السلطان أبو ثابت فى بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبى الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبته فى شأن النزول

له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفي(*) يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رحمة الله عليه وعليهم



الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحقر حمة الله



لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن يوسف المعروف بابن زريقاء وهى أمه ، وعلى هذا هو الذى قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن الملياني كما تقدم وخلص الملاء من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أبي الربيع المذكور أخى أبي ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه على بن زريقاء وسجنه بطنجة فبقى مسجوناً بها الى أن هلك سنة عشر وسبعمئة وبث السلطان أبو الربيع العطاء فى الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفا له الامر ، ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه وأرضاهم بالمال كذلك ، ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبى العلاء من سبتة فى جيش كثيف ليضرب فى محله ليلا فنذر به عسكر السلطان أبى الربيع فأسهروا ليلتهم وباتوا على صهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك فناجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبى الربيع الظهور الذى لا كفاء له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر من الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الأحمر صاحب غرناطة

ولما رأى عثمان بن أبى العلاء ذلك سقط فى يده وأيس من المغرب فمصر

(*) ذكر فى روضة التشرين فى دولة بنى مرين لابن الأحمر أنه توفي مسموما

البحر فيمن معه من القرابة الى الاندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في
جهاد العدو اليد البيضاء وعلا أمره بالاندلس وزاحم بنى الاحمر ملوكها في
رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الامر من أيديهم وشرقوا بدائه
ومارسهم ومارسوه مدة طويلة ، وعدلوا في أمره الى المصانعة والمجاملة في
أخبار ليس جلبها من غرضنا الى أن توفي ، لكننا نذكر من ذلك انموذجا يستدل
به الواقف عليه على ما وراءه ، فنقول : « لما توفي عثمان بن أبي العلاء رحمه
الله كتب على قبره ما صورته : « هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال
والكفاءة ، واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار
الاسلام ، صاحب الكتاب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة
وامام الصفوف ، القائم باب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم
الاعاد وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى
البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل
الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله
ابن عبد الحق »

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفق ما بين روحه في سبيل الله وغدوة حتى
استوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا
مجتهدا في طاعة الرب محتسبا في ادارة الحرب ماضى العزائم في جهاد
الكفار، مصاد ما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع
الكبار ما سار ذكره في الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رحمه
الله وغبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على
ما عاش عليه وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه واستأثر به سعيدا مرتضى
وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد
وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس بعده
أتحفه الله برحمة من عنده توفي يوم الاحد الثانى لذي الحجة من سنة
ثلاثين وسبعمائة رحمه الله .

وأما السلطان أبو الربيع فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى

عشر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعمائة فأقام بها سنة المولد الكريم وفرق الاموال واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته مجتئيا ثمرة ملكه ، وكان فى أيامه غلاء الا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا فى أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين ، وتنافس الناس فى البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وأنواع النقوش ، وتأنقوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلوى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى



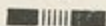
نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين

واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك



كان الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبى مدين شبيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان احدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير ، وكان بيته بيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وفوض اليه فى حسابان الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاته والافضاء اليه بسره ، ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف رتبة هذا الرجل وشفع لديه حفظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره ، ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد ببن أبى مدين بأمور دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبى محمد فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلت من تلك النكبة كما ذكرناه

فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة هذا بداره فى بعض المهن فباشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبى محمد بن أبى مدين ، وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع أنه يختلى مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان « بأن ابن أبى مدين يعرض باتهامك فى ابنته وأن صدره قد وغر لذلك وأنه مترصد بالدولة ومتربص بها الدوائر » فتمكنت سعايته من السلطان وظن أنه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبى مدين بما كان له من الوجاهة فى الدولة ومداخلة القليل فاستعجل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس الى قائد جند الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبى بكر بن العربى فرصده وأتاه من خلفه قطعنه طعنة كبته على ذقنه واحتز رأسه وألقاه بين يدى السلطان أبى الربيع ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودى وأطلعاه على خبئه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبى مدين معه الى السلطان يتصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده ، فكتبه السلطان لمكر اليهودى وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لم ينفعه الندم ، وفك حينه بخليفة بن وقاعة وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثلا للآخرين

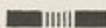


انتقاض أهل سبته على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين



كان أهل سبته قد سُموا ملكة أهل الاندلس وثقلت عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبى العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبى الربيع فانتهاز الفرصة فيهم وعقد لثقتهم تاشفين بن يعقوب الوطاسى أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بنى مرين وسائر طبقات الجند وبعثه الى سبته فأعذ السير اليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين

وناروا على من كان بسبته من حامية ابن الاحمر فاخرجوهم منها ، واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمئة وتقبض على قائد القصبه أبى زكرياء يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبى الحسن بن كماشة وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطير تاشفين بالخبر الى السلطان أبى الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل ذلك بابن الاحمر فضاق ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه ورأى أن يجنح الى السلم مع السلطان أبى الربيع لشدة شوكته ولكب الطاغية عليه فى أرضه لولا أن غزا بنى مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاحمر وهو أبو الجيوش نصر ابن محمد أخو المخلوع الذى كان قبله ، وأوفد رسله على السلطان أبى الربيع راغبين فى السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان أبى الربيع فى الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما أراد ، وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاحمر اياها وبعث السلطان أبو الربيع اليه بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقتة عثمان بن عيسى اليرينانى أخى وزيره ابراهيم بن عيسى واتصلت بينهما الولاية الى أن توفى السلطان أبو الربيع رحمه الله



انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى على السلطان أبى الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب فى ذلك



لما انعقد الصلح بين السلطان أبى الربيع وابن الاحمر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت رسل ابن الاحمر لاتزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس فقدم منهم ذات يوم بعض المنهمكين فى اللهو المدمنين للشرب والقصف ، فكشف صفحة وجهه فى معاقرة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس ، وكان السلطان أبو الربيع قد عزل قاضى فاس أبا غالب المغلى وولى القضاء مكانه

الشيخ الفقيه أبا الحسن الزرويلي المعروف بالصغير صاحب التقييد على المدونة وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر ، فسيق اليه ذات يوم هذا الاندلسي وهو سكران فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم على ذلك ، فأمضى القاضي حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم الاندلسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي ويقال له رحو باللسان الزناتي فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه سوء هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالاثم ولعله كان في قلبه شيء على القاضي فأمر وزعته باحضاره على أسوأ الحالات وعزم على البطش به فبادروا اليه ، واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ونادى فسى المسلمين فارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق ، واتصل الخبر بالسلطان فتلافى الامر وأحضر أصحاب الوزير ف ضرب أعناقهم وشرد بهم من خلفهم جزاء الله خيرا ، فأسرها الوزير في نفسه ودخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد وكان من شيوخ بني مرين وأهل الشورى فيهم ، ودخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة الجند وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروه على السلطان ، فدعاهم لخلع طاعة السلطان أبي الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد ابن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم ، ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة فر الوزير المذكور وقائده الفرنجي ومن شايعهم على رأيهم فخرجوا الى ظاهر البلد الجديدة وجأهروا بالخلعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو ، ثم ساروا الى ناحية تازا ولما استقروا برباطها أخذوا في جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من بني مرين والعرب يدعونهم الى بيعه سلطانهم والمشايعه لهم على رأيهم وأوفدوا على أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه الى المظاهرة على أمرهم واتصال اليد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم يقدم ولم يحجم وبقي ينتظر عماذا ينجلي أمرهم ، واتصل خبر ذلك كله

واحتوى على أمواله وذخيرته ، وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان أبى سعيد بظاهر تازا على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام بالأمر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة فصلح حال الناس فى أيامه ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها وقدم عليه وفود التهئة من جميع بلاد المغرب ، ثم خرج فى ذى القعدة الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أمور الرعية وانشاء الاساطيل الجهادية فعيد هنالك عيد الاضحى وباشر أمور الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار الصناعة من سلا برسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس فعقد سنة احدى عشرة وسبعمائة لاختيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليهما من الحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الى ناحية مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه موثقاً فى الحديد الى فاس فأودعه المطبق وقفل راجعا الى حضرته فاحتل بها مؤيدا منصورا والله تعالى أعلم



غزو السلطان أبى سعيد ناحية تلمسان



كان بنو مرين قد حققوا على أبى حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه فى أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى وتسهيله الطريق لهم الى الاندلس ومداهنته فى ذلك ، وكان مقتضى الصلح المنعقد بينه وبين السلطان أبى الربيع أن يقبض عليهم ويبعث بهم اليه حالا فحقق بنو مرين على أبى حمو ووجدوا فى أنفسهم عليه ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد

واستوسق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعترم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة أربع عشرة ، ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنه الاميرين أبا الحسين وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعية فاكسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حموا بالاسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بنى يزنانن وأئخن فيهم ، وانتهى في قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على أبي حمو ورجع السلطان أبو سعيد على التعية فاتته الى تازا فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما ذكره



خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك



كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الأكبر من أمته الجبشية وهو أبو الحسن علي بن عثمان ، وثانيهما وهو الأصغر من علجة من سبى الفرنج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الأصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ، ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كتبه ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليريناني من كبار الدولة ووجوهها ، وكان أخوه الأكبر أبو الحسن شديد البرور بأبيه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه على انحاش هو أيضا اليه وصار في جملة وخلط نفسه بحاشيته طاعة لابيه ومسارعة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص

وكاد يستبد بالامر كله

ولما قفل السلطان أبو سعيد من تلمسان أواخر سنة أربع عشرة وسبعمائة أقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو علي بها حدثته نفسه بالقيام على أبيه وخلع طاعته ، فراوده المداخلون له على التربص حتى يمكر بأبيه ويقبض عليه باليد فأبى واستعجل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ، ودعا لنفسه فأطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم ، وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو أبيه ، فبرز السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم بدا للامير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى وعزم على القبض عليه لانه بلغه أنه يكتب أباه فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف الفودودي ، وتفقطن الوزير لما أراده من المكر به فقبض هو على الفودودي ونزع الى السلطان أبي سعيد فقبله ورضى عنه ، وكان الامير أبو الحسن قد لحق بأبيه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل الى لقاء ابنه أبي علي ، ولما تراء الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازا اختل مصاف السلطان وانهزم جريحا الى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصره بها ، ويقال أن أبا الحسن انما لحق بأبيه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي بالصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط ، فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهل الامصار واستحكم العقد بينهما وانكفا الامير أبو علي راجعا الى حضرة فاس مملكا على المغرب وتوافت اليه بيعات الامصار ووفودهم واستوسق أمره

ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بلطفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب وذلك أن الامير أبا علي اعتل عقب وصوله الى فاس واشتد وجعه حتى أشرف على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بموته فتسايلاوا الى والده السلطان أبي سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وحملوه على تلافي الامر وانتهاز الفرصة ، فهض من تازا واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا له وابتنى دارا لسكناء وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لآخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير

أبى على اختلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح على أن يعوض سبجلماسة وما والاها فأجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سبجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمائة فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون الدواوين واستلحق واستركب واستخدم طواعن العرب من بنى معقل وافتح معاقل الصحراء وقصور توات وتكرارين وتامنطيت وغير ذلك .

وأما السلطان أبو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كبة وسائر ما كان لآخيه ووفدت عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الى طاعته ، وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة وفيها سار الى مراکش فأقام بها أياما حتى أصلح شؤونها وعاد الى الحضرة .

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن محمد الكنانى وكان السبب فى ذلك أنه لما ثار الامير أبو على على أبيه وخلعه انحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبى على عاد منديل الى السلطان أبى سعيد وترتب فى منزلته التى كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انحياشه الى أخيه لما كان بينهما من المناسفة وكان هو كثيرا ما يوعز صدر أبى الحسن بايجاب حق أخيه عليه وامتهانه فى خدمته ، فطوى له أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو على الى سبجلماسة وانفرد أبو الحسن بمجلس أبيه وخلال له وجهه أحكم السعاية فى منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما يفضب السلطان فى المحاوراة والخطاب دالة عليه وكبرا ، فاعتد السلطان عليه بشيء من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يغريه به فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وأذن لابنه أبى الحسن فى نكته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعا وذهب فى الذاهبين ، وأبوه أبو عبد الله محمد الكنانى هو الذى بعث السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصى عند فتح مراکش وعاد اليه منه بالهدية صحبة وفد أهل تونس وتلف أبو عبد

الله الكنانى حتى ذكر المستنصر فى الخطبة على منبر مراكش وفرح الوفد
بذلك حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى ، ونشأ ابنه منديل هذا فى ظل الدولة
المرينية فكان من أمره ما قصصناه عليك



وفادة أهل الاندلس على السلطان ابى سعيد واستصراخهم ايا لا على الطاغية وما نشأ عن ذلك



كان الملوك من بنى مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر
منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله فى آخر أمره بحصار تلمسان
واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فطاول العدو وراء البحر
على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع أن القرابة من بنى
مرين كانوا شجى فى صدره وقذى فى عينيه فى تلك البلاد حسبما ألعنا اليه غير
مرة ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد اشتغل فى صدر دولته بأمر ابنه
أبى على وخروجه عليه ، فاهتبل الطاغية الغرة فى الاندلس وزحف فى جموعه الى
غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الطاغية بطرة
ابن سانجة ويقال دون بطرة وقد نهبا على لفظة دون فيما سبق ذهب الى طليطلة
ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه
استئصال ما بقى من المسلمين بأرض الاندلس وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية
الاهبة ، فوصلت أنقاله ومجانيقه وآلات الحصار والاقوات فى المراكب وتقدم
فى جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة وكان رديفه فى ذلك الجند علجا آخر يقال له
جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قيل سبعة وقيل أكثر
وامتلات الارض بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس ، وكان
جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفا من الفرسان وعلى نحو مائة
ألف من الرجال المقاتلة

ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان أبى سعيد فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحائها الشيخ أبو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي والشيخ أبو اسحق بن أبى العاص وغيرهم فاعتذر اليهم السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبى العلاء من دولتهم ومحلّه من دار ملكهم ، وكان عثمان بن أبى العلاء يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمائة حسبما مر فشرط عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنه منه ليتأني له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمته حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم ، فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبى العلاء وادلاله بأسه وبأس عشيرته فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا في التهامها

ثم ان الله تعالى نفس عن مخيقهم ودافع بقدرته عنهم وهياً لعثمان بن أبى العلاء في الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة وسبعمائة عمد عثمان بن أبى العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بنى مرين منهم نحو المائتين وقيل أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرنج فظن النصارى أنهم انما خرجوا لامر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية وردفه جوان صمموا نحوهما حتى خالطوهما في مراكزهما فصرعوهما في جملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الادبار واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شنيل فقتلوا فيها وهلك أكثرهم واكسحت أموالهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل

الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكي بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك ، قلت : « هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة » قالوا : وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ، ويقال : « انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق » واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك السبعة جميعهم ، وقيل خمسة وعشرون واستمر البيع في الاسرى والسبي والدوا بستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن العجب أنه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وسلخ الطاغية بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنين وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم والله تعالى أعلم



انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك



لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو علي صاحب سجلماسة والصحراء على أبيه السلطان أبي سعيد وتغلب على درعة وسما الى طلب مراکش فعقد السلطان أبو سعيد على حربه لاختيه الامير أبي الحسن وأغزاه اياه ، ثم نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها لكدوز ابن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ، ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة نهض الامير أبو علي في جموعه من سجلماسة وأغد السير الى مراکش فافتحمها بعساكره قبل أن يجتمع لكدوز أمره وتقبض عليه وضرب عنقه ورفع على القناة وملك مراکش وسائر ضواحيها

وبلغ الخبر الى السلطان أبي سعيد فخرج من حضرته في عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده وجاء هو على ساقته وساروا على هذه التعية ، ولما انتهوا الى وادي ملوية اتصل بهم الخبر أن أبا علي يريد أن يبتهم فأسهروا ليلتهم وباتوا على ظهور خيلهم وبعد مضي جزء من الليل طرقتهم أبو علي في جموعه فكانت الدبرة

عليه وقل عسكره وارتحلوا من الغد في أثره وكان قد سلك جبل درن فافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحي مراکش وعقد عليها لموسى بن علي الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلعه وامتدت أيام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو علي بالخضوع ورغب اليه في الصفح والرضا والعود الى السلم فأجابته السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يوثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو علي بمكانه من مملكة القبلة الى أن هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله



بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله



قد تقدم لنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق التنبيه عليه، ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها اليه الطاغية سانحة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك ، واقتفى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية ، فأمسكوا بسبب ذلك من رفق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه جزاهم الله عن نيتهم المصالحة خيرا .

ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت أتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر ، وحبس عليها الرابع والضياح ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده وفي سنة احدى وعشرين بعدها بنى ولي عهده الامير أبو الحسن المدرسة

التي بغربى جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكمل الهيات وأعجبها
وبنى حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك
كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جلية
تزيد على مائة ألف دينار ، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها ربعا
كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الانفاق والكسوة نفعة الله
بقصده

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو
سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة اليوم
بمدرسة العطارين ، فبنيت على يد الشيخ أبى محمد عبد الله بن قاسم المزوار
وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه فى جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست
وشرع فى بنائها بمحضره ، فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث
لم ين ملك قبله مثلها ، وأجرى بها ماء معين من بعض العيون هنالك وشحنها
بالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء للتدريس
العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية ، واشترى عدة أملاك
ووقفها عليها احتسابا بالله تعالى ، وسياتى التنبيه على ما بناه ابنه أبو الحسن من
ذلك أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله ، وبالجمله ، فقد كان
لبنى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى
الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها ، وفى مثل ذلك يحسن أن ينشد :

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن



أخبار بني العزفي أصحاب سبته

قد تقدم لنا أن الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبته وقبض على رؤسائها من بني العزفي ، وغر بهم الى غرناطة سنة خمس وسبعمائة فاستقروا هنالك في ايالة السلطان ابن الاحمر المعروف بالملخوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المريني على سبته ونفى بني الاحمر عنها استأذنه بنو العزفي في الرجوع الى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبو زكرياء يحيى وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي من سرواتهم وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من انتحاله ، وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بني أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن الصغير وكان أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده ، فلما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد رعى لبني العزفي تلك الوسيلة فأنعم عليهم وعقد لابي زكرياء منهم على سبته وردهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبعمائة ، وأقاموا فيها دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته

ولما فوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبي علي الامر وجعل له الابرام والنقض عقد أبو علي على سبته لابي زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل أبا زكرياء يحيى بن أبي طالب منها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس أثناء تلك المدة * ثم كان من خروج الامير أبي علي على أبيه وانتفاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكرياء بن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه الناصر عليه واستمروا في جملة الى أن مرض الامير أبو علي

* في شعبان عام ثلاثة عشر وسبعمائة كما في الجذوة

وزحف أبوه اليه وحاصره بفاس حسبما مر ، فحينئذ عقد السلطان أبو سعيد
 لابی زكرياء على سبته ثانيا وبعثه اليها ليقم دعوته في تلك الجهات وترك ابنه
 محمد بن أبي زكرياء تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكرياء بامارتها
 وأقام دعوة السلطان أبي سعيد بها واتصل ذلك منه نحو سنتين ، ثم هلك عمه أبو
 حاتم بسبته سنة ست عشرة وسبعمائة وانتقض أبو زكرياء بن أبي طالب على
 السلطان أبي سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد
 واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان الذي كان خرج على السلطان أبي
 الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق
 به كلمة بنى مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأتهم

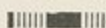
واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سعيد فقام وقعد وجهز الى سبته العساكر من
 بنى مرين وعقد على حربها للوزير ابراهيم بن عيسى اليريناسي فزحف اليها
 وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكرياء بحبس ابنه عنه ومفارقتة له وانه اذا رجع اليه
 ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد
 ليسلمه الى أبيه بعد أن يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبي
 زكرياء بان ابنه قد قدم وانه كائن بفسطاط الوزير بساحل البحر بحيث تتأني
 الفرصة في أخذه فبعث أبو زكرياء الى عبد الحق بن عثمان قائد الحرب وأعلمه
 بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ، ثم هجم ليلا في جماعة من
 حاشيته على فسطاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر
 الوزير بالهبة فركبوا وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذي
 كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بانه مالا شيعه أبيه على أخذه والا فلا
 يقدم أحد هذا الاقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبضوا على الوزير
 وحملوه الى السلطان ابلاء في الطاعة وابلاغا في العذر فشكر لهم ذلك واطلق
 الوزير لعلمه ببراءته ونصحه



ثم رغب أبو زكرياء بعدها في رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكرياء فبان له صدقه وعقد له على سبته واشترط هو على نفسه حمل الجباية الى السلطان واسناء الهدية في كل سنة واستمر الحال على ذلك الى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمائة وقام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكرياء الى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم ، وكان قائد الاساطيل بسبته ولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحي الى الاندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبته واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الامر على بنى العزفي بها

فاتهنز السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبته بايتاء طاعتهم وعجز محمد ابن أبي زكرياء عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه فعرض للامر في أوغاد من ليفها اجتمعوا اليه فدافعهم الملا من أهل سبته عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفي الى السلطان أبي سعيد فانقادوا اليه واحتل السلطان بقصبة سبته وثقف جهاتها ، ورم مثلها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها ، فقعد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميتها وعقد لابي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانها واخراج الاموال للنفقات فيها ، وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبته فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعا الى حضرته ، وقد ذكر ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي زكرياء هذا فقال فيه ما صورته : « فرع تأود من الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعلمه وتنهله والدهر يسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتهت اليه رياسته سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيمة الذي كان تتسم وعاق هلاله عن تمة ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم

الاقدار وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جناية واسعة ورعاية متتابعة .
الى آخر كلامه ويعنى بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم



المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن

وبين أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى والسبب في ذلك



كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان قد ضايق بنى أبي حفص أصحاب تونس وافريقية فى بلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعوث والسرايا الى أطراف ممالكهم وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ، ونصب مع ذلك الملك تونس وافريقية بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبي عمران كان لجأ اليه فى بعض الفتن التى كانت له مع بنى عمه ، وتقدم هذا الجيش الى أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى فهزموه واقتحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا للملكها والولاية عليها محمد بن أبي عمران المذكور ، ليس له من الملك الا الاسم ، والامر كله بيد يحيى ابن موسى قائد الجيش ، وخلص السلطان أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصى الى بونة جريحا مطرودا عن كرسى ملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفاة على السلطان أبي سعيد المرنى ليأخذ له حقه من آل يغمراسن المتغلبين عليه وأراد مع ذلك تجديد الوصلة التى كانت لسلفه مع بنى مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبي زكرياء صاحب الثغر استكافا له عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أبا محمد عبد الله بن تافراجين نافضا أمامه طرق المقاصد والمحاورات ونزلوا بمرسى غساسة من ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته فأبلغوه رسالة أبي بكر الحفصى فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين :

« والله لا بدلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولا سيرن بعساكرى الى

تلمسان فأنزلها » وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفصى بعساكره الى منازل تلمسان معه فقبلوا وانصرفوا الى منازلهم مسرورين

ونهب السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى الى وادى ملوية وعسكر بصبرة جاءه الخبر اليقين بعود أبي بكر الحفصى الى تونس وجلوسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكرياء ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم من غساسة

وبعث معهم ابراهيم بن أبي حاتم العزفى والقاضى بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان أبي بكر الحفصى لابنه الامير أبي الحسن فوصلوا الى الحفصى وأدوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم فى ابنته فاطمة شقيقة الامير أبي زكرياء وزفها اليهم فى أساطيله مع مشيخة الموحدىن وكبيرهم أبي القاسم بن عتو ، فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فقام بنو مرين لها على أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها ، وصيغت حكومات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المفضاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يسمع بمثله فى دولتهم وتحدث الناس به دهرا وهلك السلطان أبو سعيد بين يدى موصلها كما نذكر



وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما بلغه الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ارتحل بنفسه الى تازا ليشارف أحوالها كرامة لها ولايتها وسرور اعراس ابنه فاعتل هنالك وازداد مرضه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به ولى العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة ، وحمله فى فراشه على اكناد الحاشية والجند حتى نزل بوادى

سبوا ، ثم أدخله كذلك ليلا الى قصره فأدركه المنية في طريقه فتوفى ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ، وكان مرضه بعلة النقرس فوضعه بمكانه من بيته واستدعى ابنه أبو الحسن الصالحين لمواراته فدفن(*) ببعض قبابه رحمه الله وكانت أيامه أعيادا ومواسم ، ومن أكابر كتابه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي



الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله ابى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان هو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والانديلس ، ويعرف عند العامة بالسلطان الاكلحل لان أمه كانت حبشية* فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود أكلحل وانما الاكلحل فى لسان العرب أكلحل العينين فقط ، وكان أخوه أبو على لملوكة من سبى النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا على الحضرة وأبو على ملكا على بلاد القبلة فكانا أخوين ملكين فى عصر واحد أحدهما أسمر والآخر أبيض فعرف هذا بالاكلحل والآخر بالابيض للمقابلة ولما هلك السلطان أبو سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة على ولى عهده أبى الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم فأمر للحين بنقل معسكره من ناحية سبو الى الزيتون من ناحية فاس ، ولما فرغ من دفن أبيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بفسطاطه ، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار فى لسان زناتة معناه الرئيس وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطاني قديم الولاية فى ذلك منذ

(*) الذى فى كتاب روضة النسرين فى دولة بنى مرين أنه دفن بشالة

☆ تسمى الغنبر

عهد السلطان يوسف بن يعقوب ، ثم زفت على السلطان أبي الحسن زوجته الحفصية فبنى بها بمكانه من المعسكر المذكور وأجمع رأيه على الانتقام لابيها من عدوه أبي تاشفين الزياني على ما نذكره



حدوث الفتنة بين الاخوين ابى الحسن وابى على ثم مقتل ابى على والسبب فى ذلك



كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه أبي الحسن وتحقق مصيره اليه كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي على لكلفه به وشقيقته عليه فلما خلص الامر الى أبي الحسن وكان موثرا رضا أبيه جهده اعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشاركة أحوال أخيه واختبار أمره وما هو عليه من سلم أو حرب ليعمل على مقتضى ذلك ، فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة فتلقتهم وفود أخيه أبي على أثناء الطريق مؤديا حقه وموجبا مبرته ومهنتا له بما آتاه الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاف عن المنازعة له قانع من تراث أبيه بما فى يده طالب منه أن يعقد له بذلك ، فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل وعقد له على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيه وأشهد على ذلك الملاء من بنى مرين وسائر زناتة والعرب ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى تلمسان عازما على الانتقام من أبي تاشفين الزياني فسار حتى انتهى الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظرا لقدم صهره السلطان أبي بكر الحفصى عليه وفاء بالعهد الذى كان انعقد له مع السلطان أبي سعيد أيام وفادة ابنه ابى زكرياء عليه من انهما يكونان يدا واحدة على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فعسكر أبو الحسن بتاسالت ثم بعث بحصة من جنده فى البحر الى صهره الحفصى مددا له وهو يومئذ بجاية يقاتل جيش بنى زيان عليها .

ولما اتصل الخبر بأبي تاشفين صاحب تلمسان فكر في أمر أبي الحسن وأعمل الحيلة بأن دس الى أخيه الامير أبي على صاحب سبجلماسة في اتصال اليد به والاتفاق معه على أخيه أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكن منه ووعد أبو تاشفين ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سبجلماسة الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا من قبله ، ثم سرح العساكر الى جهة مراکش وأجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن وهو بمعسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصي عليه فانكفأ راجعا الى الحضرة مجمعا الانتقام من أخيه ، ولما انتهى في طريقه الى حصن تاويرت شحنه بالعسكر وعقد عليه لابنه تاشفين بن أبي الحسن ووقف أمره على نظر منديل بن حمامة شيخ بنى تيربعين ثم أعد السير الى سبجلماسة فنزل عليها وأخذ بمخنفها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغادها بالقتال ويراوحها حولا كاملا ونهض أبو تاشفين في عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كي يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فاتتهى الى تاويرت فبرز اليه تاشفين بن أبي الحسن في عساكر مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ، ثم بعث بحصة من جنده مددا للامير أبي على ففسروا الى سبجلماسة جماعات وأفذاذا حتى تكاملوا لديه فلم يغنوا شيئا وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزل بهم أنواع النكال حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وتقبض على الامير أبي على عند باب قصره ووجيء به الى أخيه أبي الحسن وقد خامره الجزع فلما مثل بين يديه تضرع اليه وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتقيفه وحمله على بغل الى فاس وانكفأ هو راجعا الى الحضرة فلما دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدأ وخنقا وكانت سن أبي على يومئذ سبعا وثلاثين سنة وكانت دولته بسبجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرها وكان رقيق الحاشية ينتمى الى الادب وهو الذي استقدم أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي من سبتة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبي على يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسبجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
 الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لابد من فرح فيه ومن حزن
 أين الملوك التي كانت تهابهم أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
 بعد الاسرة والبيجان قد محيت رسومها وعفت عن كل ذي حسن
 فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا واستغن بالله في سر وفي علن
 واختر لنفسك أمرا أنت أمره كأنني لم أكن يوما ولم تكن



وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان ابي الحسن بحضرة فاس

وفتح جبل طارق



لما هلك السلطان أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن الاحمر
 المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش ، قام بالامر بعده ابنه
 محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شب وعقل
 وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبعمائة
 وزاحم الفرنج به ثغور المسلمين وصار شجى فى صدر الدولتين المرينية
 والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى أن بويع الامير السلطان أبو الحسن
 وكان له رغبة فى الجهاد اقتداء بمذهب جده يعقوب بن عبد الحق فبادر السلطان
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر الى الوفاة عليه لاحكام عقد المودة معه وللمفاوضة
 فى أمر الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح لدولته فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة
 اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأكبر السلطان أبو الحسن موصله وأركب
 الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ فى اكرامه ، وفأوضه
 ابن الاحمر فى شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال
 الجبل واعتراضه شجى فى صدور الثغور وقبل وشكى اليه أمر بنى عثمان بن أبي
 العلاء لانهم كانوا قد استطالوا عليه فى أرضه فأشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى

فى أسباب الجهاد ، وكان يومئذ مشغولا بفتنة أخيه أبى على ومع ذلك فقد أمده
 بالجند وعقد لابنه أبى مالك على خمسة آلاف من أنجاد بنى مرين وأنفذهم مع
 ابن الأحمر لمنازلة جبل الفتح فاحتل أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتابعت اليه
 الاساطيل بالمدد ، وأرسل ابن الأحمر فى الاندلس حاشرين فتسائل الناس اليه
 من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبلوا فى منازلته البلاء
 الحسن الى أن فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة وافتحمه المسلمون عنوة
 ونقلهم الله من كان به من النصارى بما معهم ، وشرع المسلمون فى شحنه
 بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم خوفا من كره العدو وبأشر
 نقلها الاميران أبو مالك وابن الأحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتحيز الامير
 أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من
 وزراء أبيه ، ووصل الطاغية بعد ثلاث من فتحه فأناخ عليه وحاصره وبرز أبو
 مالك بعساكره من الجزيرة فنزل بازائه وزحف ابن الأحمر فنزل بازائه أيضا
 ثم خاف ابن الأحمر عادية العدو لقرب العهد بارتجاع الجبل وخفة من به من
 الحامية والسلاح ، فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا بائعا
 نفسه من الله فى رضا المسلمين وسد خلتهم فتلقاء الطاغية راجلا حاسرا اعظاما
 له وأجابه الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بذخائر مما لديه
 وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك فى تحصين ذلك الثغر وسد فروجه
 وقال أبو العباس المقرى فى النفح : ارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارف
 بعد أن أنفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده
 وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم ببنائه وتحصينه
 وأنفق عليه أحمال المال فى بنيه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره
 ومجاريه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصر المسلمون وخب الله سعى
 الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع
 جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عليه بمحاصرته ،
 ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه
 احاطة الهالة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره

السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو غناى رحمهما الله تعالى

وأما ابن الأحمر فان أولاد عثمان بن أبي العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما رأوا ما حصل بينه وبين السلطان ابى الحسن من الوفاق واتصال اليد خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم اذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة المغرب فبخروجهم عليهم ومناذتهم اياهم غير مرة ، وأما دولة الاندلس فباستحواذهم على أهلها ومزاحمتهم اياهم فى رياستها فتشاوروا فيما بينهم وفتكوا بابن الأحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف بن اسماعيل مكانه فقام بالامر بعده وشمر للاخذ بثأر أخيه فاحتال على بنى أبي العلاء حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غربهم الى تونس الى أن كان من أمرهم ما نذكره



فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابى تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبني زيان بهلكه



لما استقام ملك المغرب للسلطان أبى الحسن بمقتل أخيه أبى على صاحب سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام من صاحبها أبى تاشفين الذى ضايق أصهاره من بنى أبى حفص فى أرضهم ونازعهم فى ملكهم ، وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لاول بيعته شفعا الى أبى تاشفين فى أن يتخلى عن عمل الموحدىن ويرجع الى تخوم أعماله التى ورثها عن سلفه وقال له فى جملة ذلك : « كف عنهم ولو سنة واحدة لسمع الناس انى نافحت عن صهرى ويقدرؤا قدرى » فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ للرسل فى القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده فى الرد عليهم بمجلسه ونالوا

من السلطان أبي الحسن بمحضره فعاتد الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحمى لذلك وغضب وتأكد عزمه على النهوض الى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتقاض أخيه عليه وعوده اليه من تاسالت ما قصصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض الى تلمسان في هذه المرة فعسكر بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجموع ثم تعجل وعرض جنوده وأزاح عللهم وعبى مواكبه وفصل فى التعبئة من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فصار يجر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة فجمر عليها الكتابب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها، ثم سار على التعبئة حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز اليهم بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحي وحشودها، ووفدت عليه قبائل مغراوة وبنى توجين فأتوه طاعتهم وشرح كتابه الى القاصية فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبي تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاه مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه، وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكرى شيخ بنى عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فسار فى الالوية والجنود فطوع ضاحية الشرق وافتتح أمصاره حتى انتهى الى لمدية ونظم البلاد فى طاعة السلطان أبي الحسن واحتشد جموعها فدخلوها بمعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات

واخطط بغربى تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزول عساكره، وأحيا معالم المنصورة التى كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق وآلات من وراء خندقه وجعلت رماته تنضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليه ورتب المجانيق لرحمها وأحكم عملها لدكها فالت من ذلك فوق الغاية،

وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تائق أبو تاشفين في تشييدها ، وكان السلطان أبو الحسن يصبح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مراكزهم وربما انفرد في طوافه فطاف في بعض الايام متبذرا عن الحاشية ، فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونها فرصة كالتي كانت ليغمراسن بن زيان في السعيد الموحدى ، واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد ، وأحس أهل المسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابناء الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناحا عسكره وعقابا جحافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار منهزمين لايلوى أحد منهم على أحد ، واعترضهم مهوى الخندق فطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح ، وهلك من بنى توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد ابن سلامة بن على كبير بنى يدلتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما في زناة الى أشباه لهما استلحموا في هذه الوقعة فحصد هذا اليوم من جناح دولة بنى زيان وحطم منها ، واتصل الحصار مدة من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة اقتحم السلطان أبو الحسن مدينة تلمسان عنوة ، ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره في جماعة من أصحابه منهم ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق ابن عثمان وهو الذي كان خرج على السلطان أبي الربيع وبايعه عبد الرحمن ابن يعقوب الوطاسي حسبما مر ، فانه لحق به بعد تلك الوقعة بتلمسان ثم منها الى الاندلس ثم حضر انتفاض العزفي بسببة سنة ست عشر كما مر ثم لحق بأبي بكر الحفصى ثم نزع عنه الى أبي تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشاهده في جماعة من بنيه وبنى أخيه وكانوا احلاس حرب وفتيان كريهة فمانعوا دون القصر واستماتوا عليه الى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصا الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكضت ابوابها بالزحام حتى

لقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا على مساربهم ، فوطئوا بالحوافر وتراكت
أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك ما بين السقف ورجة الباب وانطلقت
الأيدي على المنازل نهبا واكتساحا

وأما أبو تاشفين فانه قاتل حتى قتل ابنه عثمان ومسعود أمامه وخلصت اليه
جراحات فائخته وتقبض عليه بعض الفرسان فساقه الى السلطان فلقيه ابنه الامير
أبو عبد الرحمن فأمر به بقتل في الحين واحتز رأسه وسخط السلطان ذلك من
فعله لانه كان حريصا على توبيخه وتقريعه ، وقال ابن الخطيب : وقف أبو
تاشفين وبنوه بازاء القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع
وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى أن كوئروا وأعجلتهم ميتة العز عن شد الوثاق
وامكان السمات فكان في شأنهم عبرة رحمهم الله

وخلص السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ
الفتيا بلمسان وهما الامامان الشهيران أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى
ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب
والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدي الجند عن الفساد وعاد
الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو
الحسن على تلك الامارة المؤتلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلى وثمان الذخيرة
وفاخر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال وضروب الرقيق وصنوف
الاثاث والماعون ، ورفع القتل عن بني عبد الواد أعدائه وشفا نفسه بقتل سلطانهم
وعفا عنهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستبعمهم على راياتهم
ومراكزهم وجمع كلمة بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين
وسائر زناتة وصاروا عسبا تحت لوائه وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ،
فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس
حامية ومرابطين واندرجوا في جملة واتسع نطاق مملكته ، وأصبح أبو الحسن
ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان
المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

مراسلة السلطان ابي الحسن لسلطان مصر
وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله



كان للسلطان أبي الحسن مذهب ورأى في ولاية ملوك المشرق والمكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء في ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين ديانته ورفيع همته ، ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغربين خاطب لحيته صاحب مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج في سابلتهم ، وكان سفيره في ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف ، فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قرابة الى الله تعالى وابتغاء للمشوبة فاتسخها بيده وجمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها وعاء مؤلفا من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال ومثل السابق المقدم فى بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وعريف الوزعة باباه الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم المزوار

واحتفل فى الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا قال ابن خلدون . « وقفت على برنامج الهدية بخط أبى الفضل بن أبى مدين الرسول المذكور ووعيته ثم أنسيته وذكر لى بعض قهارمة الدار أنه كان فيها

خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسمائة حمل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير القائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة الى اللط ومن خرثى المغرب وما عونه ما تستطرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجواهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحجج في ذلك الركب فاذن لها واستبلغ في تكرمها واستوصى بها وفده وسلطان مصر في كتابه ، وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة ووصلوا الى مصر في الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وقدّموا هديتهم اليه قبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرا ولقاهم سلطان مصر في طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبه ، وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المشرقية الغربية الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكرمهم وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد » اه كلام ابن خلدون بعض ايضاح

وقد ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه «المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن» هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والتمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجواهر النفيس الملوكي ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهب ثلاثة عشر ومن الانان عشرين مذهب ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهب ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن

المشققات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف
الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة
ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنايل مائة واثني عشر كلها
حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلات بالذهب المنظم
بالجوهر عشرة والسروج عشرة يركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة
ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية
حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة
عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة
وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لقط منها مائتان
بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنية لها أربعة
أبواب وقبة أخرى مضرية من ست وثلاثين بنية مبطنة بحلة مذهبة وهى من
حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة
مذهبة ومن البزات الاحرار المتتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب
ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال
سبعمائه ، وتوجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحج مع الربعة المكرمة يعنى ربعة
المصحف الكريم ، وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف
وخمسمائة ذهبا ولقاضى الركب ثلاثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة
وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ، ولشيخ الركب أحمد
ابن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج
ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرباع ستة عشر
ألفا وخمسمائة ذهبا ه ، وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن
أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية
فى مرات ، ومنها للملك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلطين السودان كصاحب
مالى ، ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان ه ، وقال العلامة المقرئ
مؤرخ مصر فى «كتاب السلوك» ما نصه: «وفى ثمان وعشرين من رمضان سنة
ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان
(الاستقفا - ثاك - 9)

ابن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جلييلة الى الغاية نزل
لحملها من الاسطول السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان
من حملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها
بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك
لجملها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها
اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها
مائة كساء وغير ذلك من القماش العالى ، وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم
وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع
الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر
مراتبهم حتى نفذت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فانه اختص به ، فقدرت قيمة
هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها
ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشيرة
ما عمهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف
أردب أرزا وقنطار حب رمان وربيع قنطار سكرا وثمان فانوسيات شمعا وتوابل
الطعام ، وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل
أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة
الخلع مائتين وعشرين خلة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين
قادوا الخيول ، وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجلب قدره وقيل لها أن تملئ ما
تحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد عناية السلطان اكرامها واکرام من معها
حيث كانوا ، فقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن بغا بتجهيزها اللائق
بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوءية وهياكل ما تحتاج اليه فى
سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبجماط وطلبا الجمالة لحمل
جهازها وأزودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره
أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمثل كلما تأمر به وكتب
لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن
مرزوق فى الهدية والخطب سهل

ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس ، قال العلامة أبو العباس المقرئ فى نفح الطيب « كان السلطان أبو الحسن المرىنى قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التى تشهد اليها الرحال ، ووقف عليها أوقافا جلييلة كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصرى ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله :

«وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وطر الختمات الشريفة فأيد الله حربه بما سطره من أحزابها ، واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لاملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندي ، ورتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها ، والله تعالى يتمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له فى أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف » اه ، قال المقرئ : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى بيت المقدس وربعته فى غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم

واتصلت الولاية بين السلطان أبى الحسن وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما تذكره بعد ان شاء الله



نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبى الحسن

وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان أولا وثانياً ينتظر قدوم صهره السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى عليه لما كان انعقد بينه وبين أبيه أبى سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على حصارها ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان فى التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ أبو محمد بن تافراجين شاهداً لذلك الفتح قدم رسولا من عند مخدومه السلطان أبى بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبى الحسن بأن مخدومه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ، وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر بمتيجة منتظرا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصى عن القدوم بسبب تسيط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك وقال له : « ان لقاء سلطانين لا يتفق الا فى يوم على أحدهما » فكره الحفصى ذلك وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبى الحسن فى انتظاره ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى تحدث أهل العسكر بمهلكه

وكان ابنه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين فى ولاية عهده منذ أيام جدهما أبى سعيد وكان أبوهما قد جعل لهما لاول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعكسره على حدة وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى سلطانه ، ولما اشتد وجع السلطان فى هذه المرة تمشيت سماسرة الفتى بينهما وتحزب أهل العسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيعا ، وهم الامير أبو عبد الرحمن

بالتوئب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك .
وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى
الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه
وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبل يده ، وتقبض على أهل
الفتنة من الجيش فأودعهم السجن وسخط على الاميرين وأمر برحيل من كان
معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة
وسكن سعى المفسدين واتبذ الناس عن الاميرين المذكورين فبقيا أوحش من
وتد بقاء ، فاشتد جزع الامير أبى عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض
الليل فأصبح بحلة أولاد على أمراء بنى زغبة من هلال المواطنين بأرض حمزة
فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل وردة الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب
العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين أصحاب
تونس فأجاروه ، ورضى السلطان صبيحة فرار أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى
مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ راجعا الى تلمسان
والله أعلم



ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من امره



لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبى عبد الرحمن وأودعه السجن
تفرق خدمه وحشمه فى الجهات ، وكان منهم رجل جزار مرتب فى مطبخه ،
يعرف بابن هيدور وكان له شبه فى الصورة بأبى عبد الرحمن فلحق ببنى عامر
ابن زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن طاعة السلطان أبى الحسن لاختصاصه
عريف بن يحيى أمير بنى سويد أعدائهم ، فلما لحق بهم ابن هيدور هذا انتسب
لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا
به على نواحي لمدينة فبرز اليهم قائداهم فهزموه ، ثم جمع لهم ونزمر بن
عريف بن يحيى فهزمهم وافترق جمعهم ونبذوا للجزار عهده ، فلحق ببنى

يزنان من زواوة فنزل على شيختهم شمسى من بنى عبد الصمد منهم ، وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وغلبت عليهم بقومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستفحل أمرها بهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبى الحسن قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع فى الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال فى قومها ونيها على اسلامه اليه فأبت ثم نمت اليها الخبر بكذبه وتمويهه فبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلحق بالدواودة أمراء رياح من بنى هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن على وانتسب له فى مثل ذلك فأجاروه ان صدق نسبه وأوعز السلطان أبو الحسن الى صهره أبى بكر الحفصى فى شأن الجزار فبعث الحفصى الى يعقوب بن على فى ذلك ، فأشخصه الى السلطان أبى الحسن مع بعض حاشيته ، فلحق به بمكانه بسببة يريد الجهاد فامتحنه وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقي المغرب تحت جرایة من الدولة الى أن هلك فى بعض السنين ، وأما الامير أبو عبد الرحمن فانه لما سجن بوجدة بقى هنالك الى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد فقفى عليه رحم الله الجميع

اخبار السلطان ابى الحسن فى الجهاد وما كان من وقعة طريف

التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك



لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدى يده وانفسح نطاق ملكه دعتهم الى الجهاد وكان كلفا به فأوعز الى ابنه الامير أبى مالك امير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء ، فشخص أبو مالك غازيا وتوغل فى بلاد النصرانية واكسحها وخرج بالسبى والغنائم الى أدنى صدر من أرضهم ،

وأناخ بها فاتصل به الخبر ان النصارى قد جمعوا له وأنهم أغدوا السير فى
تباعه فأشار عليه الملاء بالخروج من أرضهم وعبور الوادى الذى كان تخما بين
أرض المسلمين ودار الحرب ويتحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فليج فى اباته
وصمم على التعريس وكان قرما ثباتا الا أنه غير بصير بالحرب لصغر سنه ،
فصحبتهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم فى بيئاتهم
وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجذلوهم* واستلحموا
الكثير من قومه واحتوا على المسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم
ورجعوا على أعقابهم ، واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فتفجع لهلاك ابنه
واسترحم له واحتسب عند الله أجره ، ثم أنفذ وزرائه الى سواحل المغرب
لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح عللهم واستنفر أهل
المغرب كافة ، ثم ارتحل الى سبتة لياشر أحوال الجهاد وتسامعت به أمم النصرانية
فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة
واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى المغرب ، وبعث الى أصحابه
الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه ففقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية
ووافى سبتة فى ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس
وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة
تناهز المائة ، وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة
يوم فتحها أيام السلطان أبى سعيد وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق
وقد تكامل عديدهم وعدتهم ، فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى
أسطول النصارى وتوافقوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها من بعض وقرنوها
للمصاف ، فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين
بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيف وطعنا بالرمح
وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم الملند ، واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى

* وحملت جثته الى شالة وأقبر بها وقد وقف القنصل الفرنساوى شينى Chénier

على رخامة ضريحه انظر تاليفه المسمى أبحاث فى تاريخ المغرب ج ٣ ص ٢٨٧ فقد
استقصى ذلك واستدل عليه بالاثار الذى عثر عليه بنفسه

مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء ، وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الاسلام ، ثم شرع السلطان أبو الحسن فى اجازة العساكر من المتطوعة والمرتقة ، وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدو الى العدو ، ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع فى منازلتها ، ووفاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن الاحمر فى عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحامية الثغور ورجالة البدو ، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات ، وجهاز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففئت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واحتلت أحوالهم ، ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا الى المسلمين لسته أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها الى وقت الحاجة اليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مرادهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ، ثم زحف الطاغية من الغد فى جموعه الى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفها وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذى دخل ليلا وخالفوا المسلمين الى معسكرهم وعمدوا الى فسطاط السلطان فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلحموهم لقتلهم ، ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن كذلك وخلصوا الى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبى بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى وغيرهما من حظاياهم فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا

بهن وانهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر ناراً ثم أحس المسلمون بماوراءهم
 فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين بن
 السلطان أبى الحسن صمم فى طائفة من قومه وحاشيته حتى خالطهم فى صفوفهم
 فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصاب بأسره ، وكان الخطب على الاسلام قلما
 فجع بمثله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة احدى
 وأربعين وسبعمائة وولى السلطان أبو الحسن متحيزاً الى فئة المسلمين واستشهد
 كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى الى فسطاط السلطان من المحلة فانكر
 قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ، ثم انكفأ راجعاً الى بلاده ولحق ابن
 الأحمر بقرناطة وخلص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى
 جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة فى ليلة غده ومحض الله المسلمين
 وأجزل نوابهم



استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء



لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى
 التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل أولاً قلعة بنى سعيد ثغر قرناطة وعلى
 مرحلة منها ، وجمع الآلات والايدي على حصارها وأخذ بمحققها فأصابهم
 الجهد من العطش فزلوا على حكمه سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، وأدال الله
 الطيب منها بالخيث وانصرف الطاغية الى بلاده ، وكان السلطان أبو الحسن لما
 أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعود الى الجهاد لرجع الكرة فأرسل فى المدائن
 حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل فتكامل له منها عدد
 معتبر ، ثم ارتحل الى سبتة لمشاركة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره
 عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن
 تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مدداً من العسكر مع موسى بن ابراهيم

اليريناني من المرشحين للوزارة نيابة ، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فملكه دون المسلمين ، وأقبل الطاغية من اشبيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضه المجاز ورجا أن ينظمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاوله ، وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبته يسرب الى أهل الجزيرة المدد من الفرسان والمال والقوت في أوقات الفعلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ، ولم يغن عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئا واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد ، وأجاز السلطان أبو الحجاج الى السلطان أبي الحسن يفاضه في شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن الطاغية له في الاجازة مكرأ به وأصدر له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق ، وضافت أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا الطاغية الامان على أن ينزلوا له عن البلد فبذله لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما عوضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم ووصلهم بما تحدث الناس به ، وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة له على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون



بقية اخبار بنى ابي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان يلي مشيخة الغزاة بالاندلس وانه استشهد سنة ثلاثين وسبعمائة * وقام بأمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بعصبيته وقومه على بنى الاحمر ، فقتلوا محمد بن اسماعيل منهم مرجعه من فتح جبل الفتوح ونصبوا للامر أخاه يوسف بن اسماعيل حسبا تقدم الاماع بذلك ، ثم ان السلطان أبا الحجاج هذا بقى بين جنييه داء دخيل من بنى أبي العلاء الذين فتكوا بأخيه فلم يزل يسعى فى أمرهم حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ، ثم غربهم الى تونس فنزلوا على السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ، ثم بدا له فبعث اليه مع عريف الوزعة ببابه ميمون بن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف الحفصى عن ذلك وأبى من اخفار ذمتهم ، فأشار عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين ببعثهم اليه وانه لا يريد بهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم فقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلقاهم بالبر والكرامة اكراما لشفيعهم وأنزلهم بمعسكره وحملهم على الخيول المسومة بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم فى أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملة ، ولما احتل بسبته لمشاركة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الامر فتقبض عليهم وأودعهم السجن بمكناسة الزيتون ، واستمروا هنالك الى أن قام أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم على أمره حسبما تذكره ان شاء الله



مراسلة السلطان ابي الحسن لصاحب مصر ابى الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن راسل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه
بما عظم وقعه عند الخاصة والعامة ، واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى
أن هلك سنة احدى واربعين وسبعمئة وولى الامر من بعده ابنه أبو الفداء
اسماعيل ، فخاطبه السلطان أبو الحسن أبضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفدعليه
كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبى عبد الله ابن أبى مدين وفى
صحفته الحرة أخت السلطان أبى الحسن فقضى من وفادته ما حمل ، وأصبحه
السلطان أبو الحسن كتابا الى الملك الصالح أبى الفداء وكان وصوله الى مصر
منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمئة

ونص الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : «من
عند أمير المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل
عليه المعتمد فى جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين موثر المراقبة
والمناغرة موازر حزب الاسلام حق الموازنة ناصر الاسلام مظاهر دين
الملك العلام ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين
حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل
الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال
أبى سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين حسنة الايام
حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع
علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء
دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده
ويسر فى قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا
تما وصدع بأنواع الفخار فجلى ظلما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية

فاعلى منها علما وأحى رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط
الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تأمينه بحياطة النفوس
والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل
الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم
الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبى الوليد اسماعيل ابن
محل أخينا الشهير علاؤه المستطير فى الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال
عين انسان المجدوانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه فى
عقود أهل الملل والنحل حامى القبلتين بعدله وحسامه النامى فى حفظ
الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم أحزاب المعاندين وجيوشها هادم
الكنايس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل
الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد
المرباط المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر
زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبى المعالى محمد بن الملك الارضى الهمام
الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر فى قهر الارمن والفرننج
والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فى البلاد جمال الايام
ثمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور
المسدّد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين
قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلعها له السعد شمسا
فى سمائه وأحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح
زهر الربى مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم ما دامت
تقل الفلك حر كاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمه الله وبر كاته أما بعد حمد
الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدءا باليقين ودفعاً للشك وخادل من أسر
التفاق فى النجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسوله الذى محى بأنوار الهدى ظلم الشرك ونبه الذى ختم به الانبياء وهو
واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الافلاك
وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هدها

فسلك في قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب
أنجح السلك وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب
يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر
لمضائه في العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك
الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا
مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب اللطاف ويكيف
مواهب تلهج الالسة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره
العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد
سلطانته وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح
في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكيننا وأفاد مقامكم
تحسينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سيلا مينا فلا خفاء بما
كانت عقده أيدى التقوى ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين
والدكم نعم الله روحه وقده ويقربه مع الابرار في علين أنسه من مؤاخاة
أحكمت منها العهد تالية الكتب والفتاحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتها
المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت
بتعارف الارواح عند تنازع الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت
كلحمة النسب لحة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن
الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول « ومن
يسأل الركبان عن كل غائب » أنبا باستشارة الله تعالى بنفسه الزكية واكنان درته
السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفقده في
الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حانا للاسلام بتلك
الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء القتن عارض
الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم عميت
الاخبار وطويت طى السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن
استقر له ذلكم الملك حقا وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ
أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب

أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخير الوارد من تلکم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لائى وقفنا منها على الخير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفتح الخير من أبوابه فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدنا من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاین أنار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا المواريث فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفتنة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين أوانه ولكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلکم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفتموه فما مات ذكره ومن قتم بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداء ومحتضره هنيئا بما من الاجرا كسب وصار حميدا الى خير منقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية وفى ذات الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة وموالاته محققة وثناء كمائمه عن أذكى من الزهرغب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا للمصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وآوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من البر الذى لا يضيع حتى طبق فعله الاتفاق ذكرا وطوق أعناق الوارد والقصاد برا وكان

من أجمل ما به تحفى وأتحف واعظم ما يعرفه الى الملك العلام فى ذلك تعرف
اذنه للمتوجهين اذ ذاك فى شراء رباغ توقف على المصحفين ورسم المراسم
المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما
بذلك الخراج المستفاد ريشما يصلهم من خراج ما وقفه عليهم بهذه البلاد على
ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها
به متوفرة متحصلة وقد أمرنا مؤدى هذا لكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا
الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل
الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبى عبد الله بن أبى
مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال
تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن
يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم فى
هذا الشأن جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى
فى ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل
وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشديد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل
والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني فى اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على
ما يتوخاه فى ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم التناء الذى يفواح
زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالة
نشرح لكم المترايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب
على ذلكم الجنب وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منالجهاد
عزما لمثل ندائه يصيح أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب
وفرض عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وان تقصد طوائفهم البلاد
الاندلسية بايجافها وتقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحو كلمة الاسلام
منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد
وسرنا على أثرهم الى سبته منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا
وقد أخذ أخذ العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور
وأوتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز

الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء
أعادها الله بكل من جمعوه من الاعداد لكننا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور
نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد
وأصرخناهم بما أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة
تردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال
بما يجهز به حركه لدانة محلة حزب الضلال واجرينا له ولجيشه العطاء
الجزل مشاهرة وأرضنا لهم من النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت
أجفاننا تردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحتراز الامن
الآجل مشحونة بالعدد المفورة والابطال المشهورة والخييل المسومة
والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهد مضى لما عند الله عز
وجل وما زالت الاجفان تردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون
قطعة غزوية أجراها عند الله يدخر ثم لم تقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا
أحد أولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر
وارتجاجه والحاح العدو ولجاجة ما به الامثال تضرب وبمثلته يتحدث
ويستغرب ولما خلاص لتلك العدو بمن أبقتة الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد
حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه
بحرب بها يمنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت
فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة
البيضاء فى البعر الاورق الا أن المطاولة بحصارها فى البحر مدة ثلاثة أعوام
ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى
فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من
الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس
يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين
من وجوه النجاح فأذننا له فيه الاذن العام اذفى اصراخه واصراخ من بقطره
من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد
كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من

بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولا رزئوا مالا ولا عدة ولا لقوا في
خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصلوا إلينا
فأجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالجاء فمن خيل تزيد على ألف
عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى وانقير
ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها
وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين
قضى بأخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو المثل
على هذه المدة والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار
ويفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار فلولوا اجلاهم من كل جانب
وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا بأصفاقهم
ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت به
الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخبرنا له ولسائر تلك البلاد العدد
والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعشاء السفر ونرتبط
الحياد ونتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ونكون على أهبة الجهاد وعلى
مرقبة الفرصة عند تمكثها في الاعاد وعندنا لكم ما عند أخنى الآباء واعتقادنا فيكم في
الحجازى موجها الى هناك رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود
الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أخنى الآباء واعتقادنا فيكم في
ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ومالككم من غرض بهذه الانحاء موفى
قصده على أكمل الاهواء موالى تسميمه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد النود
متحدة والقلوب والأيدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة جعل الله
ذلكم خالصا لرب العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة يوم
المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب
وتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتقاصر عن نيل مجده متطاولات
المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أميرا ورحمة الله وبركاته وكتب في
يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين
وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ

قال ابن خلدون : « فقصى أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين من وفادته ما حمل وكان شأنه عجباً في اظهار أبهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم رحمه الله » وقال العلامة المقرئى : « وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك » اهـ ولعل هذا الكتاب آخر غير الذى سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم

ونسخة الجواب عن الكتاب الذى سردناه من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم : بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث : « عبد الله ووليه » صورة العلامة ، ولده اسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد الم رابط المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار ، اسكندر الزمان مملك اصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلطين جامع كلمة الموحدين ، ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة انصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد الم رابط المناغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمد الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الاصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء

اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه بالتغريد فى الروض سواجعه وجلى
فى كأسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه
«أما بعد» حمد الله على نعم ادت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثة
وأجلستنا على سرير مملكة زرايبها بين النجوم مبنوثة ، واحسنت بنا الخلف
عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوتة ، وصلاته على سيدنا محمد
عبد ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله وسؤله
صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجرب بالفقران ذبولها ما تراسل أصحاب
وتواصل أحباب فيوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق
على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ، ويصنع خد الورد بالخبجل منوره
ويحكى الرياض اليانة فالافات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع
على الآفاق حلل الايام والليالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب
ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب
فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألقاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبها الفاته
بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بأفواه الجراح وسطوره
المنتظمة بالفرسان المزدحمة يوم الكفاح وانهينا الى ما أود غتموه من اللفظ
المسجوع والمعنى الذى يطرب طائر المسموع والبلاغة التى فضح التطبع بيانها
المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده واحسن
لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه فى عدة الشهداء
ما رام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيد ايملك الارض ومات شهيدا
يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الآفاق
ويوقف عند نظارة حدائقه الاحداق وورثانته حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة
تشبه فى اللطف شمائلكم - واما الهناء بوراثه ملكه والانخراط مع الملوك فى
سلكه فقد شكرنا لكم منحة هذه المنحة وقابلناها بثناء يعطر النسيم فى كل نفحه
ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه
وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يمد طود رسوخه
ولا يميل

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الكريمين الشريفين الذين
وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى
الاسمى ابا المجد ابن كاتبكم ابنى عبد الله بن ابنى مدين اعزه الله لتفقد
احوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه فى حرز
السلامة واكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان
اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا
فى أمر المصحفين الشريفين بما اشرتم ورسومنا لنوابنا فى توخى اوقافهما بما
ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على احسن عادة ألفها واثبت قاعدة عرفها
مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن ازالة رسمه أو اذالة حكمه
بدره ابدا فى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كفه لا يزداد الا تخليدا ولا
اطلاق ثبوته الاتقيدا ولا عنق اجتهاده الاتقيدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة
تصرفاتنا فى مسالكتنا وله مزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية. وأما ما وصفتموه
من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق
علينا سماعه الذى انكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانامل
الحققان وطالما فزتم بالظفر ورزقم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر
ولكن الحرب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو امكنت
المساعدة اطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم باطحهم بقسنا
المعوجة وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج
ممزقا بروق الصفاح واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق
الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك
الاسنة وقلقنا الصخرات بالصراخات واسلنا العبرات بالربعات ولكن اين الغاية
من هذا المدى المتطاوول واين الثريا من يد المتناول وما لنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى
نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا
- وأما - ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف الاتلاف وام حرم فنائها الفناء
وطاف به بعد اللطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على
اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار لا يخلو صفوها من كدر القدر وطالما

أُنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلى
عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامرهين لان الدر يفدى
بالذهب - وأما - ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وامر ما فيه فارطعزم
وان كان فيتدارك والامر يجيء كما يحب لا كما تحب والحروب يزورها
نصرها تارة ويغيب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد الظفر بالعدا
وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا
لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى
التدبير سرورى التثمين لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة
صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب
وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى
فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما
شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى كدر ورد
الصبر لما ورد فعادة اللطاف بكم معروفة وعزما تكم الى جهات الجهاد
مصروفة وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق
وجبل يعصم من سهم يمر من قسى الكفار ويمرق وأما ما منحتموه من الخيل
العناق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال
التي زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم
فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنتها وتحفكم
تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج
كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا
أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤوس الاعتناء بهم ينضد حبها واذا كان
أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم
بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجراته الشريفة
حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل
ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق
والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاهما

لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لآخذ النار حماكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لايلى قشيه وعز لايمحو شبابه مشيه وتحيته المباركة تغادىكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها المعبرة وتنافحكم بمنه وكرمه ، فى سادس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة »

قال ابن خلدون : « ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افريقية كما نذكره فى كتب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها » اه وهو يقتضى أن السلطان المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين آنفا مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبى العباس المقرئ أنه وقف على النسخة الموقوفة بيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .



هدية السلطان ابى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب



أعلم أن أرض السودان المجاورة للمغرب تشتمل على ممالك منها مملكة غانة ومنها مملكة مالى ومنها مملكة كانغو ومنها مملكة برنو وغير ذلك، وكان ملك مالى وهو السلطان منسا موسى بن أبى بكر من أعظم ملوك السودان فى عصره ، ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره فى الاتفاق فسما هذا السلطان وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبى الحسن وكان مجاورا لمملكة المغرب على نحو مائة مرحلة فى القفر ، فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من المثلثين المجاورين لبلادهم من صنهاجة ، فوفدوا على السلطان أبى الحسن فى سبيل التهئة بالظفر فاكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى مذهبه فى الفخر فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونه وشيا من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب

الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه غنبر الخصى فأوفدهم بها على ملك مالى منسا سليمان لمهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى أعراب القلاة من بنى معقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين فشمرو لذلك على بن غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم فى طريقهم امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركب فى القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم ، وعادوا الى مرسلهم فى وفد من كبار مالى يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبى الحسن واعتماله فى مرضاته ما استوصاهم به

واعلم أن منسا موسى الذى ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو الذى صحبه أبو اسحاق الساحلى المعروف بالطويجي (*) من شعراء الاندلس ، كان قد لقيه فى الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى بلاده وأقام عنده مصحوبا بالبر والكرامة وبنى للسلطان المذكور قبة رائعة فازدادت حظوته عنده ، قال ابن خلدون : « أطرف أبو اسحق الطويجين السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدى وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة ، فجاءت من أتقن المبانى ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باثنى عشر ألفا من مثاقيل النبر مثوبة عليها » اهـ وكانت وفاة أبى اسحق بتبتيكوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة



(*) صوابه الطويجين تصغير طاجين الاناء المغربى المعروف

مصاهرة السلطان أبي الحسن ثاني مع السلطان أبي بكر الحفصى رحمهما الله

قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبى الحسن من جملتهن فاطمة بنت السلطان أبى بكر الحفصى فلما فقدوها أبو الحسن بقى فى نفسه منها حنين الى ما شغفته به من خلالها ولذاذة العيش فى عسرتها فسمأ أمله من الاعتياض عنها بعض أخواتها ، فأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد من بنى زغبة الهلالين و كاتب الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى ، فوفدوا على السلطان أبى بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فأنزلهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافراجين غرض وفادتهم وانهم قدموا خاطبين بعض كرائمه لسلطانهم فأبى من ذلك صونا لحرمة عن جولة الاقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع فى ابنته الاولى ، فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانهقد الصهر بين السلطانين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبى العباس الفضل بن أبى بكر صاحب بونة ، وأخذ الحاجب فى شوار العرس وتأنق فيه واحتفل واستكر وطال مقام الرسل بتونس الى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها فى ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابيه جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبى الحسن واتصل بهم الخبر فى طريقهم بوفاة السلطان أبى بكر فجاء ليلة الاربعاء ثانى رجب من السنة المذكورة ، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى اكرامهم وأجمل موعد

أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار عند
السلطان أبي الحسن الى أن سار في جملة وتحت لوائه الى افريقية كما
نذكره ان شاء الله



غزو السلطان ابي الحسن افريقية واستيلاؤه على تونس واعمالها



كان السلطان أبو بكر الحفصى رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي
العباس أحمد ، وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجبه أبا القاسم بن
عتوا في غرض له وأصحه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه
فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه
الله وأحكم العقد في ذلك ، ولما مات السلطان أبو بكر كان ولى العهد غائبا
عن الحضرة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر .

ذكر الشيخ أبو العباس الوائسرى فى أقضية «المعار» عن الشيخ ابن
عرفة أن سلطان افريقية أبا بكر الحفصى كتب العهد لولده أحمد فلما توفى
السلطان المذكور أحضر أبو محمد بن تافراجين قاضى تونس قاضى الجماعة
أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضى الانكحة أبا عبد الله الأجمى
وأمرهما أن يبايعا ولد الخليفة عمر فقالا : « كيف نبايعه ونحن شهدنا بيعه
أخيه أحمد والتزمناها » وكان الحاجب ابن تافراجين نبىلا فلما رأى امتناعهما
قال : « ادخلا دار السلطان واشتغلا بغسله وتكفينه » فلما دخلا أحضر الحاجب
المذكور أهل العقد والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه ، فلما خرج
القاضيان وجدا البيعة قد حصلت وكان فى انتظار أحمد المشهود له بالعهد
وهو غائب بقصة خوف الفتنة فبايع القاضيان ، وكان ابن عرفة يستصوب
فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا وبيعتهما ثانيا ، ثم قدم ولى العهد ووقع
بينه وبين أخيه قتال وجرت خطوب كان فى آخرها قتل ولى العهد وقتل ولى

أبى الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم فى «آخرين منهم وقطع عمر
 أيضا أخويه عبد العزيز وخالدا من خلاف فهلكا» وكان الحاجب أبو محمد
 ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه
 فسلل الى قصره وأخذ ما خف من ذخيرته ولحق بالسلطان أبى الحسن
 وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها
 وكان السلطان أبو الحسن يتمنى ذلك لولا مكان صهره أبى بكر فأقام يتحين
 لها الاوقات ويترب لها الفرص حتى كانت هذه ، (وانما تنجع المقالة فى المرء
 اذا صادفت هوى فى القواد) فأظهر أبو الحسن الامتناع لما فعله عمر
 بأخيه ولى العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقة دمه ثانيا لاسيما وقد كان
 أعطى خط يده بالمواقفة على العهد المذكور ، فأجمع الحركة الى افريقية ولحق
 به خالد بن حمزة بن عمر أخو أبى الهول المقتول مع ولى العهد فاستعداه على
 عدوه ، ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى
 افريقية وأزاح عنهم وعسكر بظاهر تلمسان ثم نهض فى صفر من سنة ثمان
 وأربعين وسبعمئة يجر الدنيا بما حملت ، بعد أن عقد لابنه الامير أبى عنان
 على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جايته
 وقدمت عليه فى طريقه أعراب افريقية وولاء قابس وبلاد الجريد وأطاعته
 طرابلس والزاب وبجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء
 ابن ابى بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه ابناء الامير أبى عبد الله بن
 أبى بكر فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم
 جبايتها ، وأنزل بقسنطينة خلفاءه وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب
 بجاية الى ندرومة فأنزله بها وأقطعته الكفاية من جبايتها ، ثم وفد عليه بنو
 حمزة بن عمر أمراء الكعوب من سليم فأخبروه باجفال عمر المتغلب بتونس
 مع ظاعنة أولاد مهلهل واستحثوه فى اعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر ، فسرح
 معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو بن يحيى العسكرى

وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطح الجعاب
 منها ، ثم ارتحل على أثرهم وأخذ حمو بن يحيى السير مع ناجعة أولاد أبى

الليل فلحقوا بعمر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم انهزموا وكبا بعمر جواده فى نافقاء بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاه ظافر راجلين فقبض عليهما وأوثقهما قائد العسكر بيده حتى اذا جن الليل ذبحهما خوفا من أن تفتكهما العرب من يده وبعث برأسيهما الى السلطان أبى الحسن فوصلا اليه بباجية وخلص الفل من تلك الوقعة الى قابس ، فقبض عبد الملك بن مكى صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر ابن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة ، فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبى الحسن مقرنين فى الاصفاذ فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لفتيا الفقهاء بجرايتهم واعتقل الباقي

وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصهره على ابنته يحيى ابن سليمان من بنى عسكر فاحتلوا بتونس ، ثم جاء السلطان على أثرهم فنزل بظاهرها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فآتوه بطاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته مغتبطين بملكته ، وكانت تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرافع وابن راشد القفصى وابن هرون وأعلام آخرون ، ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكبه لدخول الحضرة فصف جنوده سماطين من معسكره بسيجوم الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مرين من مراكزهم من مجموعهم وتحت راياتهم ، وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى كبير سويد ويليّه أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء وهو أخو السلطان أبى بكر ويليّه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة فأطلقهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طراز ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بنى مرين وكبرائهم ، وهدرت طبوله وخفقت راياته

وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفافا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش ، قال ابن خلدون : وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ، قلت : كان سن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وكان قدم في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من أعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه ثم دخل القصر الخلافي وخلع على أبي محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا الى منازلهم ثم دخل السلطان أبو الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطابية فطاف على تلك البساتين وسرح نظره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ثم ارتحل من الغد الى القيروان فجال قصى نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول الماثلة لضعفها والعبيدين والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء في ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهدية ووقف على ساحل البحر منها وتطوف في معالمها ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المستير وانكفأ راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة ونزل المسالج على ثغور افريقية وأقطع بنى مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات العرب التي كانت لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخفت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدي أهل الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا أنه عقد على بونة لصره الفضل ابن السلطان أبي بكر اكراما لصره ووفادته عليه واتصلت ممالك السلطان أبي الحسن ما بين مسراته الى السوس الاقصى من هذه العدو والى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد فى سبيل التهئة بالفتح
وكان سابق الحلة يومئذ أبو القاسم الرحوى فى قصيدة يقول فى مطلعها
أجابه شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويشرب
وهى طويلة تخطيها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بمنه



انتقاض عرب سليم بافريقية على السلطان ابى الحسن ومانشأ عن ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب أن جمهورهم
كان من بنى جشم بن معاوية بن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى
سليم بن منصور ، وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم وبعض هلال
وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم
بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وكان السلطان أبو الحسن المرينى حاله
مع عرب المغرب الاقصى غير حال الحفصيين مع عرب افريقية وملكته لاهل
باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم ، فلما ورد افريقية واستولى عليها رأى من
اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما
تجاوز الحد المعتاد عنده ، فأنكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه
باعطيات فرضها لهم فى الديوان من جملة الجند واستكثر جبايتهم فنقصهم
الكثير منها ، ثم شكاه اليه الرعية من أولائك العرب وما ينالونهم به من
الظلمات وضرب الاتاة التى يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله
وتقدم الى الرعايا بمنعهم منها ، فارتابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم ونقلت
وظاة الدولة المرسية عليهم فتربصوا بها وتحزبوا لها وتعاونت ذئابهم فى بواديهم
فاجتمعوا وأغاروا على قباطين بنى مرين ومساحهم فى ثغور افريقية حتى انهم أغاروا
على ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذى كان فى مرعاها والسلطان يومئذ بها
فعمظم عليه ذلك وحقد على كبرائهم وأظلم الجوى بينه وبينهم ، ثم وفد عليه أيام

الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان أبو الحسن وأجمل لقاءهم مغضيا عما صدر من غوغائهم ، ثم رفع اليه عبد الواحد بن اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه للامر بأفريقية وانه خشي على نفسه بادرة السلطان فبرأ اليه من ذلك ، فقامت قيامة السلطان أبي الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصى معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا فوبخهم وأمر بهم فسحبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزوهم وعسكر بسيجوم من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك الفطر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

واتصل الخبر بأولاد أبي الليل وأولاد القوس باعقال وفدهم وجمع السلطان لغزوهم فضاعت عليهم الارض بما رحبت وانطلقوا في أحيائهم يحزبون الاحزاب ويستشيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهلهل فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبي بكر قد لحقوا بالفقر خوفا من أبي الحسن لانهم كانوا شيعة لعمر المذكور ، فلما وقع بين أبي الحسن وبين أولاد أبي الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فطارحوا عليهم ورغبوا اليهم فى الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابدته ، فكان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم وتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم بتوزر من بلاد الجريد فتذا مروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا نفسا واحدة على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم ، والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسة الفتن على رجل من بنى عبد المومن وهو أحمد ابن عثمان بن أبى دبوس آخر ملوك بنى عبد المومن وكان يحترف بالخياطة فى توزر بعد ما طوحت به الطوائج فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وجمعوا له شيا من الفساطيط والخيول والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بقياطينهم وحللهم وتحالفوا على نصره

ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة المذكورة ارتحل من ساحة تونس يريد العرب فوافاهم بالموضع المعروف بالتينة بين بسيط تونس وبسيط القيروان فأجفلوا أمامه فأتبعهم وألح عليهم الى أن وصلوا الى القيروان فلما رأوا أن لا ملجأ لهم منه عزموا على النبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبى الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بنى عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبنى توجين وغيرهم ، فدسوا الى العرب أثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويجروا عليه الهزيمة فأجابوهم الى ذلك وصبحوا معسكر السلطان من الغد فركب اليهم فى التعية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير ممن كان معه واختل مصافه فانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفل مستجيرا بها ودافع عنه أهلها ، وتسابقت العرب الى معسكره فاتهبوه بما فيه من المضارب والعدد والآلات ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه ، وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حللهم فدارت بها سياجا واحدا وتعاوت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت افريقية نارا ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى تونس وكان السلطان قد خلف بها عند رحيله الكثير من أبنائه وحرمه ووجوه قومه وأمناء بيت ماله وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبة وأحاط بهم الغوغاء كى يستزلوهم عنها فامتنعوا عليهم وكانوا بها أملك منهم ، وكان الامير أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبى الحسن قد جاء من المغرب فى هذا التاريخ فوافاه الخبر قرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم فى القصبة ، ثم نزع أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبى الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد سئم صحبته ومل خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصى مستبدا عليه مفوضا اليه فى جميع أموره ، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه ، وكان ابن تافراجين يظن أنه سيكل اليه أمر

إفريقية وينصب معه للملكها الفضل ابن السلطان أبى بكر شقيق زوجته وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان فى قلبه من الدولة المرينية مرض وكان العرب أيام عزمهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان احتالوا فى أمر ابن تافراجين ، فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعثه اليهم ليفاوضوه فى الرجوع الى الطاعة والانخراط فى سلك الجماعة ، فاذن له فخرج اليهم ووصل يده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبى الحسن ، فقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبى دبوس ثم سرحوه الى حصار من بالقصة من بنى مرين وطمعوا فى الاستيلاء عليها وفض ختامها فسار ابن تافراجين اليها وانضم اليه أشياخ الموحدن فى زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصة ، ثم لحق به ابن أبى دبوس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتنت عليهم ولم يغنوا شيأ ، وابن تافراجين فى أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى أن بلغه خلوص السلطان أبى الحسن من القيروان الى سوسة

وكان من خبره أن العرب بعد حصارهم اياه بالقيروان اختلفت كلمتهم لديه وكان قد دخل أولاد مهلهل فى الافراج عنه واشترط لهم على ذلك أموالا ونذر بنو أبى الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن حمزة منهم بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله وأطلق أخويه خالدا وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهلهل وخليفة بن أبى زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدوه على الافراج عنه والقيام معه حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليلا على التعية وذؤبان العرب تطأ أذياله وضباعها تنوشه الى أن استقر بسوسة وأمن على نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولما سمع ابن تافراجين وهو محاصر للقصة بوصول السلطان الى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر الى الاسكندرية فأصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن أبى دبوس لما علم بخبره فانفض جمعهم عن القصة وأفرجوا عنها وخرج بنو مرين فملكوا البلد وخرّبوا منازل الحاشية بها ، ثم ركب السلطان أبو (الاستقفا - ثاك - 11)

الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره ، وكتب الى صاحب مصر في التقبض على ابن تافراجين فأجاره بعض الامراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن في اصلاح أسوار تونس وادارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة رسماً دفع به في نحر عدوه وبقي له ذكره من بعده ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبي دبوس على تونس ونازلوا أبا الحسن بها واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعمل عليهم ، ثم راجع بنو حمزة بصائرهم وصاروا الى مهادنته فعقد لهم السلم ودخل عليه عمر بن حمزة وافدا فحبسه حتى قبض اخوانه على أميرهم ابن أبي دبوس وقادوه اليه استبلاغا في الطاعة وامحاضا للولاية، فقبل فتهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة فزوج ابنة عمر بانه أبي الفضل ، واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبي الحسن في الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة اقامته بتونس الى أن كان ما نذكره والله غالب على أمره



انتفاض الاطراف وثوراة ابي عنان بن السلطان ابي الحسن واستيلاؤه على المغرب



قد تقدم لنا أن السلطان أبا بكر الحفصى رحمه الله لما زوج ابنته من السلطان أبي الحسن بعث معها في زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبي بكر وأن خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ، ولما وصل الى السلطان أبي الحسن عزاه عن مصاب أبيه ووعدته بالمظاهرة على ملكه فبقى عنده بتلمسان الى أن نهض في صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على بونة التي كان يلى عملها أيام أبيه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سئموا ملكة بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التى كانت لهم مع الملوك الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رسخت فى نفوسهم جيلا بعد جيل فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى وحينه أبدا لاول منزل
فأشربوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بنكبة القيروان واتفق أن قدم قسنطينة ركب من أهل المغرب قاصدين الى السلطان أبى الحسن وكان فيهم عمال الجاية قدموا ببجائيتهم عند راس الحول كما جرت به عادتهم فى ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج بعثهم طاغيتهم بقصد التهنة بفتح افريقية ومعهم تاشفين بن السلطان الذى أسر يوم طريف أطلقه الطاغية بعد أن أصابه خبال فى عقله وأرسل معه بهدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالى بعثهم السلطان منسا سليمان بقصد التهنة أيضا فتوافت هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عباب الفتنة على افريقية فأراد غوغاؤها انتهاب ما معهم ثم تخلصوا منهم فى خبر طويل

وفى أثناء ذلك نار الفضل بن السلطان أبى بكر صاحب بونة فراسله أهل قسنطينة فى القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل بأهل بجاية ما فعله أهل قسنطينة فتبعوهم على رأيهم من الانتقاض ووثبوا على من كان عندهم من حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراة واستدعوا الفضل بن أبى بكر من قسنطينة فبادر اليهم واستولى على بجاية واستتب أمره بها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يحدث نفسه بغزو تونس نار عليه أبناء أخيه أبى عبد الله بن أبى بكر فاتزعوا منه بجاية وردوه الى عمله الاول وانتقض على السلطان أبى الحسن أيضا سائر زناته من بنى عبد الواد ومغراوة وبنى توجين وبايع بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن ابن زيان وساروا الى تلمسان فاستجدوا بها ملك سلفهم فى أخبار طويلة وجرت هذه الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب

بالقتال وتراوحه وتعوج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت
 أنبأؤه على أهل المغرب وحدث في الخلق الوباء العظيم الذي عم المشرق
 والمغرب فأرجف بموته واضطربت الاحوال بالمغرب الثلاثة الأدنى والوسط
 والأقصى واتصل ذلك بالامير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه
 عليها عند ذهابه الى افريقية حسبما مر ، فلما أُرْجِفَ بمهلك أبيه وتساقط اليه
 الفل من عسكره عراة زرافات ووحدانا تطاول الى الاستئثار بملك أبيه دون سائر
 اخوته وكان مرشحا عنده لذلك لمزيد فضله عليهم في غير وصف ، واتفق
 أن كان عنده رجل من بني عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن
 جرار وكان ينسب الى علم الحدثان ، ولما سافر السلطان الى افريقية كان هذا
 الرجل أول المرجفين به وانه لا يرجع من سفرته وأن الامر صائر الى أبي
 عنان ونجع ذلك في أبي عنان لموافقته هواه ، فاشتمل على ابن جرار وخطبه
 بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم
 يسترب أبو عنان في صدق ابن جرار وانه على بصيرة من أمره فتحفز للوثبة
 وصمم على الثورة ، ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه
 منصور بن أبي مالك عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وانه ثار بها
 وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتيازا
 الامر لنفسه دون غيره وورى في ذلك بأنه انما عزم على الذهاب الى افريقية
 لاستنقاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتقاء وتفطن
 لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصة بفاس وصاحب الشرطة
 بالضواحي ، فاستأذنه في اللحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق بأبي عنان
 على حين أمضى عزمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة
 من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من
 قصره في ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملا وقرأ كتاب بيعتهم
 على الاشهاد ، ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورسست
 قواعد ملكه وركب في التعيية والالة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس
 وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن القادم عليه ، ثم

لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له ورفع مكان ابن جرار عليهم
كلهم واختص لمناجاته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ، ثم
فتح الديوان وجعل يتركب كل من تساقط اليه من قبل أبيه ويخلع عليهم
وارتحل الى المغرب وعقد على تلمسان لابن جرار وأنزله بالقصر القديم منها
فاستمر بها واستبد الى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان
ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ، ولما انتهى الامير أبو عنان الى
وادي الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان وانه عازم على الفتك به
بتازا تقربا الى السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته ، وانه قد داخل في ذلك
حافده منصور بن أبي مالك الثائر بفاس وأطلععه هذا الواشى على كتاب
الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا في مساء ذلك اليوم وأغد
السير الى المغرب

وانتهى الخبر الى منصور صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بوادي أبي الاجراف من ناحية تازا فاقتتل مصاف منصور وانهزمت جموعه
ولحق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأناخ عليه خارجها وقد
تسائل الناس على طبقاتهم اليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجند
من البذل والاستيلاف طريقا لم يسبق اليه ، وكانت منازلته لفاس الجديد في
ربيع الآخر من السنة المذكورة فأخذ بمخنفها وأجمع الايدي والفعلة على
الالات لحصارها ، ثم أرسل الى مكناسة باطلاق أولاد أبي العلاء المعتقلين
بالقصة منها فأطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاس الجديد وضيقوا عليها الى
أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع الى أبي عنان أهل الشوكة
منهم ، ثم أن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بأن أظهر
النزوع عن أبي عنان الى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به
فيمن معه من حاشيته واقتحمه الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه
فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على ذلك الملك ، وتسابقت اليه وفود
الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم
رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء

فقبضوا عليه وقادوه الى أبى عنان مبايعين له متقربين به اليه وتولى كر ذلك
فيهم زعيمهم الشريف أبا العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلى من آل
الحسين السبط رضى الله عنه كان سلفه قد انتقلوا من صقيلة الى سبتة
فاستوطنوها ، ثم استوطنوا بعدها حضرة فاس واستوسق
للأمير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين الا
من أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على بنى كعب
الناكثين لعهد الناكثين عن طاعته فاقام السلطان أبو الحسن رحمه الله بتونس
يرجو الايام ويأمل الكرة والاطراف تنتفض والخوارج تتجدد وقط من كان
معه من حاشيته وسُموا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسبوا له النهوض
الى المغرب فأسغفهم وعزم على الرحلة كما نذكره ان شاء الله ، وفى هذه
المدة كتب اليه السلطان ابو الحجاج يوسف بن الأحمر كتابا من انشاء وزيره
لسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له
ونص الكتاب : « المقام الذى أقمار سعدة فى انتظام واتساق ، وحياد عزه
الى الغاية القصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله
تعالى عليه مديدة الرواق ، وإياديه الجمة فى الاعناق الزم من الاطواق ، وأحاديث
مجده سمر النوادى وحديث الرفاق ، مقام محل ايننا الذى شأن قلوبنا الاهتمام
بشأنه ، وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط
ببابه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف
بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجيّة
لفراقه مسرورة باقترابه ، معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل
المشهوره المعلومه ، والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة
الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة
الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن
نصر سلام كريم ، طيب عميم ، كما سطعت فى غياهب الشدة انوار الفرج
وهبت نواسم أطفاف الله عاطرة الارج ، يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله

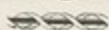
وبركاته ، أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ، ومقيل الايام من عثارها
ومزين سماء الملك بشموسها المحتجة وأقمارها ، ومريح القلوب من رحسة
افكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها
واضطرارها ، ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير أوطارها
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ،
ونبأ مجدها السامى ونجارها ، نبى الملاحم وخائض تيارها ، ومذهب رسوم الفتن
ومطفئ نارها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة
الله ما شاءت من سطوع انوارها ، ووضوح اثارها والرضا عن آله واصحابه
الذين تمسكوا بعهده على احلاء الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء
دعوته الخفية واظهارها والدعاء لقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها
وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها حتى تقف الايام ببابكم موقف
اعتذارها وتعرض على مثابكم ذنوبها راغبة فى اغفارها فانا كتبناه اليكم
كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب السعادة وعرفكم
عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين
من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى
الشدائد الاعتماد . والى كف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضع بهدايته
سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر
سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها نله
الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله
تعالى فى اظهاره واتمامه ما لاتفى العبارة باحكامه ولا تعاطى حصر أحكامه
والى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر
والغائب وخلص الخلوص الذى لاتغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى
وضحت منه المذاهب وانه لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى
صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية

والنعمة لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأني بأوطاننا الاوطار تشوفا لما تتيحه لكم الاقدار وبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا في استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بأن العاقبة للتقوى وفي هذه الايام عميت الانباء وتكالبت في البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعافت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلقى لاعاتكم مذهباً لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض والعدو بساحتنا في هذه الايام ربض وكان خديمكم الذي رفع من الوفاء راية خافقة واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص الاصفى على أبو محمد ابن آجانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سؤله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجانبنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ، ويتأتى له باعائتنا الغرض المروم فينبينا نحن ننظر في تسميم غرضه واعاته على الوفاء الذي قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقرتين من الاجفان التي استغنم بها على الحركة والعزمة المقرنة بالبركة حطت احدهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المرية في كف العناية الالهية فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التي يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى في اللحاق بالاطوان التي يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويذهب أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرعة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التي ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهه بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتسميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديون آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعر دنو

حبيبه بعد طول مفنيه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر
 ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور
 من الوعد واغتطنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه
 بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى بحوله أسبابها ويفتح ببيتكم
 الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع
 الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما
 يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع
 العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم فى
 برمن يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة والايادى
 الحديثة والقديمة وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل
 الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لو لم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة
 والاعداء الذين غصت بهم فى الوقت هذه الجزيرة ما قدمنا عملا على اللحاق
 بكم والاتصال بسبيكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من
 المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى
 نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا
 ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم السارة
 وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال ضراعتنا وابتهاننا
 هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم
 الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار ويسر ما له من الاوطار ويصل
 سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته « اه



ركوب السلطان ابي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن فى ذلك



كان الامير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبى بكر الحفصى بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبى الليل وأغروه بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة السلطان أبى الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ، ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبى الليل الى أن بايعه أهل بلاد الجريد بأشارة أبى القاسم بن عتو المقطوع ، ودخل فى طاعته توزر وقفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة وانتهى الخبر الى السلطان أبى الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال أمره بها وانه ناهض الى تونس فاهمه شأنه وخشى على الامر ، وكانت بطاقته توسوس اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ، ولما قضى نسك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر فى فصل الشتاء وهيجان البحر وكلب البرد بعد أن عقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم به ، وكانت مدة محاصرة السلطان أبى الحسن بتونس سنة ونصفا ، واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبى بكر وهو ببلاد الجريد فاغد السير الى تونس ونزل بها على أبى الفضل المرينى ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزلوا أبا الفضل على الامان فخرج الى دار أصهاره من بنى حمزة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله الى أبيه فلحق به بئر الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فانهم لما لججوا احتاجوا الى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس ليال من اقلاعهم عن تونس

فمنعهم صاحب بجاية الحفصى من النورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
 فزحفوا الى الساحل وقتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
 ثم عصفت بهم الريح فى تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت
 الاجفان وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
 فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عارى الجسد مباشرا للموت ،
 وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة وهو
 يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التى تعلقوا بها فمكثوا
 ليلتهم على ذلك وصبحهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف
 فبادر أهل الجفن اليه حين رأوه فاحتملوه وقد تصايح به البربر من الجبال
 وتواثبوا اليه حين وضع النهار وأبصروه ، فتداركه الله بهذا الجفن فاحتملوه
 وقذفوا به فى مدينة الجزائر

وفى نفح الطيب أن أساطيل السلطان أبى الحسن كانت نحو الستمائة
 ففرقت كلها ونجا هو على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو
 أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفى ، وأبو
 عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى الذى أُملى فى مجلس درسه بمكناسة على
 حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة ، والاستاذ الزواوى أبو العباس
 وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس . وذكر الشيخ أبو عبد
 الله الابى فى شرح مسلم كلامه على أحاديث العين ما معناه : أن رجلا كان
 بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض المتورين للسلطان أبى الحسن
 أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن
 فكان غرقها بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه
 محن اه

ولما احتل بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استنشق ريح الحياة ولائم
 الصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل اليه من فل الاساطيل واستلحق
 واستركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب من
 أحواز الجزائر ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد فنهض الى جهة تلمسان

وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز اليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف السلطان أبي الحسن واستبيح معسكره وانتهب فساطيطه وقتل ابنه الناصر ، وظهر يومئذ من بسالته وصدق دفاعه وشدة حملاته حتى أنه اركب طعائنه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحا فتوفى بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ، ثم خلس الى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف بن يحيى السويدي ولحق بحلل قومه قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز الى سجلماسة في القفر ، فلما أطلوا عليها وعين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش على ضوء السراج حتى خرج اليه العذارى من ستورهن ميلا اليه ورغبة في ولايته ، وفر العامل بسجلماسة الى منجاته وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه سجلماسة نهض اليه في قومه وجموعه بعد أن أراح عللهم وأفاض عطاءه فيهم ، وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته لجنائتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يبعد بهم في الاسفار ويتجسم بهم المهالك والاختطار فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه ، ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن علم من حاله أنه لا يطبق دفاعهم وكان ونزمار قد أجفل عنه في قومه سويد لان أباه عريف بن يحيى كان قد نزع الى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكتب الى ابنه ونزمار ينهاه عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرتة له وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليقعن بآبته عتر وكان معه في جملة الامير أبي عنان فآثر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناؤه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأنجل عنه ولحق بيسكرة فكان بها الى أن رجع الى أبي عنان بعد هذا ، ولما قرب أبو عنان من سجلماسة أجفل السلطان عنها الى ناحية مراکش ودخل أبو عنان سجلماسة فتقف أطرافها وسد فروجها وعقد عليها ليحتاتن بن عمر بن عبد المومن كبير بني ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار الى مراکش فاعتزم على اتباعه اليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم الى فاس الى أن كان ما نذكره

استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزامها عنها إلى هنتاتة
اهل جبل درن ووفاته هنالك



لما أجهل السلطان أبو الحسن عن سبعمائة سنة احدى وخمسين
وسبعمائة قصد مراکش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ، ولما شارفها
تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسلوا اليه من كل حذب ، وفر
عامل مراکش الى أبي عنان ونزع الى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان
الجباية أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في الخزانة من مال الجباية
فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته ، واستركب واستلحق وجبى الاموال
وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة ، وثاب له
بمراكش ملك رجبى معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره

وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع في العطاء وازاحة
العلل ، ثم ارتحل في جموع بنى مرين الى مراکش وبرز السلطان أبو الحسن
للقائه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادى أم الربيع وتربص كل واحد
بصاحبه عبور الوادى فعبره أبو الحسن ، وكان اللقاء بتمادغوست في آخر
صفر من سنة احدى وخمسين وسبعمائة فاقتل مصاف السلطان وانهزم
عسكره ، ولحق به أبطال بنى مرين ثم راجعوا عنه حياء وهيبة وكبي به فرسه
يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله ، فاعترضهم دونه أبو
دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الذواودة من عرب رياح ورديف أخيه
يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جملته الى هذا اليوم
فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه رداً له ، وأسر حاجبه علال بن محمد
فاودعه أبو عنان السجن ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه

وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن
ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى فنزل عليه وأجاره واجتمع
اليه الملاء من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتأمرؤا وتعاهدوا

على المدافعة عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هتانة ورتب المسالحي لحصاره وحربه وطال عليه نواؤه حتى طلب السلطان من ابنه الابقاء عليه وأن يبعث اليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بأن يبعث له مالا وكسى فسرحة الحاجب ابن أبي عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أولياؤه وخاصته واقصد لاخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (*) هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما ، والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الاول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر الى ابنه وهو بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواد نعشه اليه فتلقاها حافيا حاسرا ، وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته ؛ ثم دفن أباه بمراكش قبل جامع المنصور من القصبة بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الاشراف السعديين ، ثم لما نهض أبو عنان الى فاس احتمل شلو أبيه معه حتى دفنه بشالة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والاثر الى الان رحمه الله تعالى



بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أسمر طويل القامة عظيم الهيكل معتدل اللحية حسن الوجه ، وكان عفا مائلا الى التقوى ، مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لافى صغره ولا فى كبره ، مجبا للصالحين عدلا فى رعيته

(*) حكى المؤلف قولاً آخر فى كتابه « كشف العين عن ليوث بنى مرين » انه مات مسموما ، وفى الروضة انه مات بذات الجنب والله أعلم .

يحب الفخر ويعنى به ، وقال بعض المشاركة فى حقه ما صورته : «ملك أضاء
المغرب بأنوار هلاله ، وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته
واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة
وشجاعة» . اه وبنى رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش
قبلى جامع ابن يوسف ، قال العلامة اليفرنى فى «النزهة» : «ان الذى بناها هو
السلطان أبو الحسن المذكور» قلت : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل
تنجيدها وتميقها قدر قدر هذا السلطان وعلم عظم أهميته ومحبته للعلم وأهله»
ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبلى المسجد الاعظم منها ، بناها رحمه الله
على هيئة بديعة وصنعة رفيعة ؛ وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب
التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ، ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها
بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها
كل ذلك محافظة على تلك الاوقاف أن تغير ، وأما المسجد الاعظم ومدرسته
الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك فى أخباره
وعندى أن السور المحمول عليه الماء الداخلى الى سلا المعروف عندهم بسور
الاقواس من بناء السلطان أبى الحسن رحمه الله ، ولى فى ذلك مستند غريب :
وهو أنى كنت ذات يوم أفاوض بعض القناينة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه
بها ويصلح ما احتاج الى الاصلاح منها ، فقلت كالمستفهم لنفسى من غير قصد
توجيه الخطاب اليه . يا ترى من الذى بنى سور الماء الداخلى الى البلد ، فقال
على البديهة : الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء ، فقلت له وكنت
متشوقا يومئذ لتحقيق ذلك . وما علمك بهذا ؟ فقال : ان بيلة المدرسة بنيت يوم
بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره فى
سائر حيطان المدرسة وسوارىها ، وهذه البيلة لم تتغير عن حالها الى أن باشرت
اصلاحها فى هذه الايام ؛ فحفرت عن قنواتها وتبعت مادة الماء الواصل اليها
فاذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها الجامع بينها
مماثل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور ، داخله فيه بحيث بنى عليها يوم
تأسيسه من غير فرق بين هذه وتلك فى جميع عملهما ، وليس شئ

من القنوات الحادثة بعدهما يشبههما، فعلمت أن الذى بناهما واحداً عجبنى كلامه
وباحته فى ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتشكك
فظهر لى صدق دليله وغلب على ظنى ما جزم به وعند الله علم حقيقة الامر
واعلم أن هذا السور من المباني العادية والهيكل العظيمة التى تدل على
فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها ، وهذا
السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتدا من
القبلة الى الجوف على أضخم بناء وأحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسى
ليأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض الى الارض متى ارتفعت
وبعلو عنها اذا انخفضت ، ويجرى على منته من الماء مقدار النهر الصغير فى
ساقية قد اتخذت له ، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض
عنه وكلما مر فى سيره بطريق مسلوكة تحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور
الاقواس ، وبالجملته فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة ،

وللسلطان أبى الحسن رحمه الله بفاس ومكناسة وغيرهما من بلاد المغرب
آثار كثيرة ، فمن آثاره بفاس بيلة الرخام الابيض المجلوبة من المرية زنتها
مائة قطار وثلاثة وأربعون قطارا ، سبقت من المرية الى مرسى العرائش ثم
طلعت فى وادى قصر كتامة ؛ ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبائل
الى منزل أولاد محبوب الذين على خفة وادى سبو فوسقت فيه الى أن وصلت
الى ملتقاه مع وادى فاس ، ثم حملت على عجل الخشب أيضا يجرها الناس الى
أن وصلت الى مدرسة الصهريج التى بعدوة الاندلس ؛ ثم نقلت منها بعد ذلك
بأعوام الى مدرسة الرخام التى أمر رحمه الله ببنائها جوف جامع
القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ، ومصباح هذا هو ابو الضياء مصباح
ابن عبد الله الياصلوتى الفقيه المشهور ، وانما نسبت اليه لان السلطان أبا الحسن
لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للدرس بها ف نسبت اليه وقد تقدم
لنا خبر المدرسة التى بناها غريبى جامع الاندلس أيام أبيه وانفق عليها أكثر
من مائة الف دينار ، ومن آثاره بمكناسة الزيتون الزاويتان القدما
والجديدة وكان بنى القدما فى زمان أبيه والجديدة حين ولى الخلافة ، وله

فى هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء اليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها وصنعتها فقعده على كرسي من كراسى الوضوء حول صهريجها ، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، ففرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد :

لا بأس بالعالى اذا قيل حسن ليس لما قرت به العين ثمن
وكان له معرفة بالشعر فمن شعره قوله :

أرضى الله فى سر وجهه وأحمى العرض عن دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختيارا وأضرب بالسيف طلى الرقاب
وأخبره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق الذى ألفه فى دولته وسيرته وسماء « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » ولما ذكر الوزير ابن الخطيب فى كتابه رقم الحلل هذا السلطان وصفه بقوله :

الملك المعداد من خير سلف	ومجموع القول اذا القول اختلف
الدين والعفاف والجلاله	والعز والقدرة والجزاله
والعلم والحلم وفضل الدين	وصفوة الصفوة من مريـن
ممهد الملك ومسدى المنـن	وواحد الدهر وفخر الزمن
باني المباني النخبة الشريفة	بمقتضى همته المنيفه
وتارك المدارس الظريفة	شاهدة بأنه الخليفه
وقاطع الدهر بغير لهو	فى مجلس معظم أو بهو
اما لتدريس وعلم يدرس	أو لبلاد من عدو تحرس
أو لاياد فى عباد تغرس	أو لثواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرآن وعرض حزب	أو عدة معدة لحرب

ومن أعيان وزرائه عامر بن فتح الله السدراتى ، وعبد الله بن ابراهيم الفودودى ومن أعيان كتابه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى
(الاستقفا - ثا . ١٢)

وابو محمد بن عبد الله بن ابي مدين العثماني ، وابو الحسن على بن القبائلي التينمللي رحم الله الجميع بمنه
ولنذكر ما كان من الاحداث في هذه المدة :

ففي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان الجديدة المسماة بالمنصورة حسبما تقدم الخبر عنها مستوفى
وفي سنة احدى عشرة وسبعمائة كان القحط بالمغرب فاستسقى الناس وخرج السلطان أبو سعيد ماشيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء يدعون الله تعالى ، وقدم بين يدي نجواه صدقات ، وفرق اموالا ، وفي يوم السبت بعده خرج في جنده الى قبر الشيخ ابي يعقوب الاشقر بجبل الكندرتين فدعا هنالك ورحم الله تعالى عباده وغاث ارضه وبلاد

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير بضم الصاد وفتح الغين وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب في الاحاطة ، وكان ربعة آدم اللون بخفيف العارضين يلبس أحسن زى ، ويدرس بجامع الاجدع من فاس يقعد على كرسي عال ليسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته وكان حسن الاقراء وقورا صبوراً ثباتاً ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك فضول

* قد ذكر صاحب روضة النسرين بعض اولاد السلطان ابي الحسن فقال : « اولاد الذكور السلطان ابو عمر تاشفين والسلطان ابو عنان فارس والسلطان ابو سالم ابراهيم والسلطان ابو فارس عبد العزيز وابو مالك عبد الواحد وابو عبد الرحيم يعقوب وابو عامر عبد الله وسعود وداوود ويوسف وعبد الحق وابو غالب محمد وأحمد ومحمد المنتصر بالله ومحمد المسعود بالله . بناته : حضرية وام العز وتابو وتاعزنت وسونة وريمة ويامنة والزهراء وصفية وزروا وكان جميع ما ولد بين ذكر وانثى وسقط وغيره الفا وثمانمائة واثنين وستين اخبرني بذلك ثقتي الشيخ المعمر علال بن محمد بن « مصمود الهسكوري » .

القول ولاه السلطان ابو الربيع القضاء بفاس وشد عضده فجرى في العدل على صراط مستقيم ،

وفي سنة احدى وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ أبو العباس احمد ابن محمد بن عثمان الازدي المراكشي المعروف بابن البناء الامام المشهور في علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك ، وكان رحمه الله عز وجل معروفا باتباع السنة موسوما بطهارة الاعتقاد منعوتا بالصالح وكان انتفاعه بصحبة الشيخ ابي زيد الهزميري رضي الله عنه

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في ذى القعدة منها هبت ريح شديدة بفاس ومكناسة واحوازهما واستمر هبوبها يومين وليلتين فعاقت عن الاسفار وهدمت الدور وقلعت الاشجار .

وفي سنة ثلاث وعشرين بعدها في المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة باحواز فاس بدم عيط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها وفيها كان المطر العظيم والتلج الكثير بالمغرب وعدم الفحم والحطب حتى بيع الفحم بفاس بدرهمين للرطل ، وفي جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فجده السلطان ابو سعيد من باب مدرسة العطارين الى رأس عقبة الجزارين ، وعقد عليه هنالك بابا ضخما وافرده للعطارين دون غيرهم

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الاسعار في جميع البلاد فبلغ المد من القمح بفاس خمسة عشر درهما والصحفة منه تسعين دينارا وغلا الادام وعمدت الخضر بأسرها ، وكسى السلطان ابو سعيد واطعم في هذه المسغبة شيئا كثيرا ، ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها ، وفيها في يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفها سحب عظيم وظلمة شديدة ورياح عاصفة أعقب ذلك برد كثير عظيم الجرم وزن الواحدة منه ربع رطل واقل واكثر ونزل في خلاله مطر وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب واهلكت جميع ما بجبل زالغ من الكروم والزيتون وسائر الشجر

وفى سنة خمس وعشرين بعدها ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد ياتى عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق واهلك آلاف من الخلق حتى خيف على البلد التلف

وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة انتهى تاريخ ابن أبى زرع المسمى « بالانيس المغرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ومما هو الغاية فى باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال : « حضر أسيانا بمجلس السلطان ابى الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورنده حبستا أنفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما ايضا الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ فى كتابه المسمى بـ « المحاضرات » قال : « وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما استهر هذا من امرها انكره الفقيه ابو موسى ابن الامام وتلى : « كانا ياكلان الطعام » فأخذ الناس يثبون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهم فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت هل تشتهين الطعام ، فقالت : « هل تشتهون التبن بين يدي الدواب » وسئلت هل ياتيهما شئ فاجبرت « انها صامت ذات يوم فادركها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاق وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى المنام بالطعام والشراب الى الان » ، ولقد جعلها السلطان فى موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجيء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر ، قال : « بيد انى اردت ان يزداد فى عدد العدول ويضم اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك احدا يخلو بها (وبالجملة) يبالغ فى ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لا حتمال ان يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا فى العقود

وإشباع أمره في العالم ، وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذى هو اضر الاحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا بالزوم ، وعند الاسباب لايها الى غير ذلك ، الا انى لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به راسا لايثار الدنيا على الدين فاننا لله وانا اليه راجعون .

قال المقرئ : « وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة » وحدثني غير واحد من الثقات ممن ادرك عائشة الجزرية انها كانت كذلك ، وان عائشة بنت أبى بكر يعنى زوجة السنطان ابى الحسن التى استشهدت فى طريف اختبرتها اربعين يوما ايضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء انعام القريب فروطه يوشك ان يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره ، وكم فيه من ادلة على اصول الملة « اه كلام الشيخ ابى عبد الله المقرئ رحمه الله ويعنى بالوباء القريب فروطه : وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الارض وتحيف العمران جملة حتى كاد ياتى على الخليفة أجمع والامور كلها بيد الله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون



الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن ابى الحسن
رحمه الله



كان السلطان محبوبا فى قومه وعشيرته ، أثيرا عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيانه وعفافه واستظهار القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، أمه ام ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الان رأيت مكتوبا عليه بالنقش : « انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ، ودفنت اثر صلاة

الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب ، اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفاس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة وبويع في حياة والده يوم ثار عليه بتمسان حسبما قدمنا الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة . ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هنتاة وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى شالة فدفنه بها ، وأخذ السير الى فاس وقد استتب أمره وخلا له الجو فاحتل بدار ملكه وأجمع (*) أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي تناولوا اليه . ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان

واتصل خبره بسلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني فجمع له قومه ومن شابعهم من زناتة والعرب ، ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء بسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المرينيين وقت القائلة وعند ضرب الابنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر في حاجاتهم ، فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافي الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو بالغبار ، حتى اذا خلص اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار ، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى ولم يزالوا في اتباعهم الى الليل ، وتقبضوا على سلطانهم أبي سعد فساقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله ، وتقدم على التعبية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوت في ملكها قدمه ، وأحضر أبا

(*) في بغية الرواد أن الامر كان على ما ينبغي بين أبي عنان وملك تلمسان أبي سعيد إلى أن كتب أبو عنان لابن سعيد متشفعا في مغراوة الذين كان محاصرا لهم فرد شفاعته فحقن علي بن عبد الواد من أجل ذلك واستنفر الناس لغزو تلمسان الخ بغية الرواد ص ١٥٨ وما بعدها جزء أول طبع الجزائر ١٣٢١ .

سعيد فوبخه وأراه أعماله حشرات عليه ، ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فافتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرّم أخيه ومتخلفهم ، واحتل بوادى شلف من بلاد مغراوة فعسكر هنالك واجتمع عليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدا بالصبر والثبات وانصل خبره بالسلطان أبى عنان فشرح اليه وزيره فارس بن ميمون فى عساكر بنى مرين والجنّد فأغذ السير اليهم ، ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ، ولما تراءى الجمعان تصادقا الحملة وخاض النهر بعضهم الى بعض ثم صدق بنو مرين الحملة فاجتازوا النهر وانكشفت بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلحموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم ، وكتب الوزير بالفتح الى السلطان أبى عنان وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق فى نفر من عشيرته وبنى أبيه فاعترضتهم قبائل زواوة فانتهبوا أسلابهم وأرجلهم عن خيولهم ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وكتب الوزير الى أمراء الثغور فى شأن أبى ثابت وأصحابه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصد حتى غر عليهم بعض الحشم ، فقبضوا على أبى ثابت وابن أخيه أبى زيان بن أبى سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن دواد ، فرفعوهم الى أمير بجاية أبى عبد الله محمد ابن أبى زكرياء بن أبى بكر الحفصى وكان خالصة للسلطان أبى عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى وفد بهم عليه بلمدية ، فأكرم السلطان أبو عنان وفادته وركب للقائه ، ولما تراميا نزل الحفصى عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقاء مبرة وكرامة ، وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الذواودة بمكانه من لمدية فأكرم وفادتهم ، وأسنى عطاياهم من الخلع والحملان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب ، ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزنى عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم ، وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الاوسط وبث عماله فى نواحيه وثقف أطرافه وسمى الى تملك افريقية على ما تذكره ان شاء الله

تملك السلطان ابى عنان بجاية وتولية عمر بن على الوطاسى عليها



لما وفد أبو عبد الله الحفصى على السلطان أبي عنان بلمدية فى شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالع فى اكرامه ناجاه بذات صدره ، وشكا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعى فى الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة ، وكان السلطان أبو عنان متشوقا لمثلها فثار عليه بالنزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده ، فسارع الى قبول ذلك ودس اليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤوس الملائكة ففعل وعوضه عنها مكناسة الزيتون ، ونقم بطانة الحفصى عليه ونزع بعضهم عنه الى افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه الى عامله على بجاية بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل ، وعقد أبو عنان عليها لعمر بن على الوطاسى من بنى الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوطا أيام يوسف بن يعقوب ، ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية ثغر افريقية انكفا راجعا الى تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها فى يوم مشهود ، وحمل أبا ثابت الزياني ووزيره يحيى بن داوود على جميلين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما فى ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ، ثم جنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح والى الله عاقبة الامور



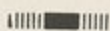
ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن على الوطاسى بها



لما قدم عمر بن على الوطاسى بجاية واستقر بها ثقل أمره على نفوس أهلها لالفهم ملكة الحفصيين وانصباغهم بالميل اليهم ، فتربصوا بالوطاسى اندوائر وكان أبو عبد الله الحفصى قد استصحب معه فى وفادته على السلطان أبي عنان حاجبه فارحا مولى ابن سيد الناس ، فلما نزل للسلطان عن بجاية

نقم فارح عليه ذلك وأسرها فسى نفسه الى أن بعته الحفصى المذكور مع الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره الى المغرب ، فاتتهى الى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل فى شأنه شكا اليه الصنهاجيون سوء ملكة بنى مرين فنجع كلامهم فيه ونفت لهم بما عنده من الضغن ودعاهم الى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين ، فأجابوه الى ذلك وتواعدوا للفتك بعلى ابن عمر الوطاسى بمجلسه من القصة ، وتولى كبرها منصور بن ابراهيم بن الحاج من مشيختهم وبأكره فى داره على عادة الامراء ، ولما أكب عليه ليلتم أطرافه طعنه بخنجره ثم ولج عليه الباقون فاستلحموه وذلك فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبى زيد بن محمد بن أبى بكر الحفصى صاحب قسنطينة ، وطيروا اليه بالحجر واستدعوه فتأقل عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فاتهم أبا عبدالله الحفصى بمداخلة حاجبه فارح فى ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشراف بجاية كانوا ببابه ، ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم فى الرجوع الى طاعة السلطان أبى عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الحرق ويسدوا هذه الثلمة برأس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه ، ودخلهم فى ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحسن بالشر ولجأ الى دار الشيخ أبى العباس أحمد بن ادريس البجائى امام بجاية ومفتيها ، فافتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار ، فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى السلطان أبى عنان وفر منصور بن ابراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد ، وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبى عمرو فى الكتاب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وذهبت صنهاجة فى كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبى عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين بالخوض فى الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب فطمأن الناس وسكنوا ، وتوافت لديه وفود الذواودة من كل جهة فأجزل

صلاتهم ، ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مزني فأكرم وفادته ، ثم ارتحل الى تلمسان غرة جمادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة ووجوه بجاية قال ابن خلدون : وكنت يومئذ في جملتهم فجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب اليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا ، وانصرفوا الى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة ، قال : وانقلبت مع الحاجب بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومي بلدي من الاقطاعات ، ولما احتل الحاجب ابن أبي عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث وتجهيز الكتائب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك للفتنة وأوفد أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وفادته وشكر سعيه وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمئة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد ، وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد وزرائه فنهض اليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلك سنن الحاجب قبله وسيرته وجهاز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله



خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس

ثم مقتله عقب ذلك



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل هذا ، وانه لما أقلع عنها ثار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الامر الى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان في أمرهما وخشى عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الاندلس ليكونا مع الغزاة

والقراية فى ايلة السلطان أبى الحجاج يوسف بن الاحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى أبى الحجاج فى أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما اذا غابا عن حضرته ، وخشى أبى الحجاج غائله عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن أبى عمرو أن يكتب اليه ويبالغ فى التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور

قال ابن خلدون : وقد أوقفنى الحاجب على ذلك الكتاب ببجاية فقضيت عجباً من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه أبو الحجاج ابن الاحمر دس الى أبى الفضل وكان أكبر الاخوين بالحق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فنزع اليه أبو الفضل وجهاز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الاحمر أثناء ذلك كتابا الى السلطان أبى عنان يعتذر عن أمر أبى الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب ونصه :

«المقام الذى شهد الليل والنهار بأصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فويله متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضافو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم، تجل سعوده عن تهور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممثل الرسم موفور الحظ من نعمه الله تعالى عند تعدد القسم ، فائرا بفلج الخصام عند لد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره

فلان ، سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومنابتكم الفضلى التى
 حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد
 ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى
 العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا
 وحرس سماء علائمه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له
 شهابا رسدا ، وجعل نجح آماله وحسن ما له قياسا مطردا فرب مريد
 ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش أهدى وما هدى والصلاة والسلام على
 سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا
 مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا
 الذى بجاهه نلبس أنواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبدا
 والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا السبيل
 اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى
 ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا
 والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم
 ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم
 منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كنبناه اليكم كتب الله تعالى
 لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفى أودا وعزما
 يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيا له من أمره رشدا ويسر لكم
 العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء
 غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى
 آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بأن ملككم
 تجدى من الظهور على أعدائه بأية وأجرى جياذ السعد فى ميدان لا يحد
 بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية
 ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفًا ويسدل عليه
 من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفًا ونصفًا ونعقد
 بين أبناء مسرته وبين الشكر لله خلفًا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله

زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى
ونروى غلل النفوس وتشفى الى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم
وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد
لخدع الآمال والاعترار بموارد الآل وقال رأيه فى اقتحام الاحوال
وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم
السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن ذا يزاحم الاطواد
ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه وأضر عملا استأثر عنا باخثائه
واستعان من عدو الدين بمعين فلا ورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن
تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين
سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب
ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعاده كساب
وسحائب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز
ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى
بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لاتجهل ومن غالب أمر الله
خاب منه المعول فينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود
تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار
ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة
والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه
عالم الاسرار فأعاد فى الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما
أسدى فعلم منه مآل من رام يقده زند الشتات من بعد الالتئام ويشير
عجاجة المنازعة من بعد ركوب القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى
ما كان ليتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حباله لايفلتها
قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال
جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا
التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقيات والاستعمال فياله من
زجر استنطق لسان الوجود مجدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر

فجدله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة
ومتسبب الى نسبة غير سعيدة وشانى غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء
النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور السفار وتحصل منهم من
تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واخمد الله
لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا يستطيع اصابته
السهام كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات الما
أبرأ يمن طائر كم علته ماذاك الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى
وصحت واسترسلت بركنها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم
وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنىكم بمنح الله
ومنه ونسأله أن يلبسكم من اعائه أوقى جنه فاملنا أن تطرد آمالككم
وتنجح فى مرضات الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو
بسلاحها وتبليج ظلماته بصفاحها وكيف لانهنكم بضع على جهتنا يعود
وبشابقنا تطلع منه السعود فيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد
استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم
الفتوح عادة ولا يعدمكم غناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر
أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله
وبركاته اه

ولما نزل أبو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب
الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك اثر مقدم الحاجب ابن أبى
عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فجهز السلطان أبو عنان
اليه عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزيره
فارس بن ميمون بن وردار فصار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به
وأخذ بمخنقه واختط مدينة لمعسكره وتجمير كتابه بسفح ذلك الجبل
سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله
الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ، ففارقه وانتقل
الى جبال المصامدة ، ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد

أكنافها وسارت الالوية والجيوش فى جهاتها ورتب المسالح فى ثغورها
وأمصارها

وسار أبو الفضل يتقل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى
بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله
عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان
السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه للثمان فاستقر فى
دولتهم واندرج فى صنائعهم ، فأخذ بمخنق ابن الحميدى وأرهبه بوصول
العساكر والوزراء اليه ، وداخله فى القبض على أبى الفضل وأن يذل له من
المال فى ذلك ما أحب ، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل
ووعده من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ولما
استمكن منه ابن مسلم قبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترط له من المال
وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعماية
فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال بسيرة من اعتقاله خنقا
بمحبيه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما تذكره ان
شاء الله



وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطان الغنى بالله

على السلطان أبى عنان رحمه الله



كان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان
الدين ابن الخطيب على السلطان أبى عنان اثر مهلك السلطان أبى الحسن
معزى له بمصابه ، فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجلى فى أغراض تلك
السفارة وعاد الى غرناطة ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس
وخمسين وسبعماية بمصلى عيد الفطر وهو ساجد طعنه بعض الزعانف
فأصماه لوقته ، وبايع الناس ابنه محمد بن يوسف الغنى بالله وقام بأمر دولته

مولاه رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالامر وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لايه من قبل ، واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى أمره وتشاركا فى الاستبداد معا ، فجرت الدولة على أحسن حال ، ثم أن السلطان الغنى بالله بعث وزيره ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبى عنان مستمدا له على عدوه الطاغية على عادة سلفه فى ذلك ، قال ابن الخطيب : لما أشرفت على مدينة فاس فى غرض هذه الرسالة خاطبني الخطيب الرئيس أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :

ياقادما وافي بكل نجاح أشير بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذ بها تل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يمين تظفر ببحر بالندا طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندا بسواه قاس البحر بالضحاح
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعد فى الندا ذكر محاه عن نداه ماح
ما أن سمعت ولا رأيت بمثله من أريحى للندا مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله حتى حكى سح الغمام الساح
فنواله وجلاله وفعاله فافت وأعيت السن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المنى تتقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الاحزان والانراح
فانهض أبا عبد الله تفز بما تبغيه من أمل ونيل نجاح
لا زلت ترشف الامانى راحة من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لاتحصى ، حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى ، فطالما كان معظم سيدى للاسى فى خبال وللأسف بين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك

ولا ارتياب ، فها أنت تجتنى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا
وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى وليس يدى
الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض ما لدى
المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمرى لقد كان وافد على سيدى فى
مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله
قال ابن الخطيب : فراجعته بما نصه :

« راحت تذكرنى كؤس الراح	والقرب يخفض الجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما	دل النسيم على ابتلاج صباح
حسنا قد غنت بحسن صفاتها	عن دملج وقلادة ووشاح
أمتت تحض على اللياد بمن جرت	بسعوده الاقلام فى اللواح
بخليفة الله المؤيد فارس	شمس المعالى الازهر الوضاح
ما شئت من شيم ومن همم غدت	كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه	أنى يقاس الغمر بالضحضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه الـ	منصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها	تزرى بيدى وهدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قادم	فى العرف منها راحة الارواح
ما زلت أجعل ذكره وثناءه	روحى وريحانى الاريح وراح
ولقد تمازج جبه بجوارحى	كمازج الاجسام بالارواح
ولو أننى أبصرت يوما فى يدى	أمرى لطرت اليه دون جناح
فالان ساعدنى الزمان وأيقنت	من قربه نفسى بفوز قداح
ايه أبا عبد الاله وانه	لنداء ود فى علاك صـراح
أما اذا استجدتني من بعد ما	ركدت لما جنت الخطوب رياح
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ	قررت عجزى واطرحت سلاح

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتني رقعتك
التي ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت والفتني وقد سطت بي
الايحال حتى كادت تلف الرجال والحاجة الى الغداء قد شممت عن
(الاستقفا - ناك - 13)

كشع البطين وثانية العجاوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه ، ففرتنى بكنية بيان اسدها هسور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنه وقول لا أدرى للعالم فكيف بغيره جنة لكنها بشرتني بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتني من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتني به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والإنفصل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب ولا مجازات للأعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال وبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهدية والتحفة الودية وقبلتها امثالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا فى النادرة فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصعبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره ، وسيدى فى الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض وفرض فرض ، وعلى نظره المعول ، واعتماد أغضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان واللاحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله اه

ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها ومثل بين يديه واستأذنه فى انشاد شيء من الشعر

يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في الثائب بدر دجا لنا وفي المحل كفك المطر
ولناس طرا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت جبلهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الامر انه وطن في غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهم فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الايات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم » ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه قال ابن خلدون: قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد « لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا » ونص الكتاب الذي قدم به ابن الخطيب : « المقام الذي يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه أسنى ذخريته الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذي رعى الازمة شأنه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعيد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لاولادها أوليائه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أنوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتابه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله

على لاجب طريقه المستضيء فى ظلمة الخطب بنور أفاقه الامير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى بيده ملك الامر كله مقدر الأجل والاعمار فلا يتأخر شىء عن ميقاته ولا يبرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ نقلة ، لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله ، وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبائه وسيد رسله الذى نعظم بسببه الاقوى وتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كبنائه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لاتطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورمائها ، وغاية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب متماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تواتر لدينا دفعا ونفعا وألطفه تعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى يقتضيها كرم الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم ، نعرفكم بعد الدعاء للملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقاؤه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه تعالى بالسعادة التى أنبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها لعة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان

أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لأقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلابه والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد أئنع بالامن جنبه وأمر من يقول للشئ كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله تعالى لاسعاده غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن معتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقودة وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لاتدل العين عليه شارة ولا بزة ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة وانما هو خبيث مرور وكل سب عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبتته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شئ عنه ينقل لطفا من الله أفاد براءة الذمم وتعاورته للحين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك بنظر من الطرف الحسير وينهض بالجنح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى جمع التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب أن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء ملكه ولما شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولقيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى

ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتة عرق ولا أغفل
للدن حق فاستند النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا
الى مخاطبة البلاد نمهدا ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها
وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة
المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على
النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى
صلة السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى
على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا
تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار
وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعانتا على
اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار
وألهما من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان
فقدنا والدنا فاتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب
يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم
لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشييدت
مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول
وفى تقرير فخركم محصول وأتم ردة المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى
يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند
ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحة وراقت من فضل الله تعالى
ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم
وأعيانهم وتراحمت على رقبها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد
ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد
خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته
فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر
والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا
الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد

خاطبتنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا أنه أمر له ما بعده
 وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما يسن وقوعها الى
 استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده
 الحسان ليكون أبلغ في البر وأشرح للمصدر وأوعب للبيان فوجئنا اليكم
 وزير أمرنا وكاتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب
 وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع
 اليه الى الركن الوثيق المبني ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والثمرة
 العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقامع
 أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومضار الحال عليه والمرغوب
 من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية
 المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من
 غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى
 نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته اه
 وللسلطان الغنى بالله هذا مع السلطان أبى عنان رحمهما الله مراسلات
 عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب نفح الطيب منها جملة وافرة مع
 التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو عنان الوزير ابن
 الخطيب فى هذه الوفادة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة
 طويلة طناته يقول فى أولها :

أبدى لداعى الفوز وجه منيب وأفاق من عدل ومن تانيب
 ويقول فى أثنائها :

يا ناصر الدين الخيف وأهله	انضاء مسغبة وفل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم	يتعللون بوعدك المرقوب
ضائق مذاهب نصرهم فتعلقوا	بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم	أوليس صبحك منهم بقريب
فانظر بعين العز من ثغر غدا	حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك أندلس ومجدك ضامن	ألا يخيب لديك ذو مطلبوب

وهى طويلة .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة انتقض على السلطان أبى عنان وزيره وصاحب شوره عيسى بن الحسين بن على بن أبى الطلاق من شيوخ بنى مرين ووجهها ، وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت رياسته به وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ، ثم التأت حاله وضأت مذاهبه فقبض عليه وأحضر بين يدى السلطان أبى عنان هو وابنه يوم منى من سنة ست وخمسين المذكورة فتصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وضيق عليهما ، ولما كان آخر السنة أمر بهما فجنبا الى مصارعهما وقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه وعقد السلطان على جبل طارق وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داود ، ثم عقد بعده لولده أبى بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده والله أعلم



رحلة السلطان أبى عنان إلى سلا وتطارحه (*) على وليها الاكبر أبى العباس ابن عاشر رضى الله عنه



كان لبنى مرين عموما وللسلطان أبى عنان خصوصا جنوح الى الخير ومحبة فى أهله وتعرض لمن يشار اليه بالصلاح واستمطار لطله ووبله ، وكان الشيخ الاشهر أبو العباس أحمد بن عاشر الاندلسى رضى الله عنه قد استوطن فى هذا التاريخ مدينة سلا ، وكان من الافراد الجامعين بين العلم والعمل المتسكين بالكتاب والسنة ، الناهجين سنن السلف الصالح فى الزهد

(*) ما وقع لابى عنان مع ابن عاشر وقع نظير لملولاي اسماعيل العلوى مع سيدى أحمد بن محمد بن عبد الله معز الاندلسى راجع ذلك فى الجزء الاول من المقصد الاحمد لسيدى عبد السلام القادري ص ١٥٠ وما يليها فإنه مما يحسن الوقوف عليه والتنظيره رحم الله الجميع والله درالقائل: قتل للموك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والورع والانقطاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعام قدره ، فتحركت همة السلطان أبي عنان لزيارته والاقباص مما يفتح الله به من وعظه واشارته ، فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمائة الى سلا فقدمها وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون اليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولي ، ثم أرسل اليه ولده راغباً ومستعطفاً فأجابه بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب اليه كتاباً وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاتته من الاجتماع بالشيخ ، وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد ابن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي المدعو بالحافي في كتابه «تحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر» نص هذا الكتاب ولم يحضرني الآن فانظره فيه وبالله تعالى التوفيق



غزوة السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها



لما كان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعزم السلطان أبو عنان على النهوض الى افريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد ، وبعث في الحشد الى مراكش وأوعز الى بني مرين بأخذ الابهة للسفر وجلس للعطاء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض الى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين بعدها ، ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التبعة الى أن احتل ببجاية وتلوم لازاحة العلل ، ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بجنوده دعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان ، وانفضوا من حول سلطانهم أبي العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر الحفصي وجاءوا مهطعين الى السلطان أبي عنان ، وتحيز

الحفصى فى خاصته الى القصبة ثم طلبوا الامان من السلطان أبى عنان فبذله لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره آياما ، ثم بعث بأبى العباس فى الاسطول الى سبتة فاعتقله بها ، وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج خلوف الياپانى من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة فى شعبان من السنة المذكورة ، ووصلت اليه بيعات أمراء الاطراف من توزر ونقطة وقابس وغيرها ، ووفد عليه أولاد مهلهل أمراء بنى كعب من سليم وأقيال بنى أبى الليل منهم يستحثونه للملك تونس فشرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى ابن عبد الرحمن بن تاشفين * وبعث أسطوله فى البحر مددالهم وعقد عليه الرئيس محمد بن يوسف المعروف بالابكم من أمراء بنى الاحمر

وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق ابراهيم بن أبى بكر الحفصى ولما اتصل به خبر بنى مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية فتحصن بها ، ودخل أولياء السلطان الى تونس فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وأقاموا بها الدعوة المرينية ، واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتب الى السلطان أبى عنان بالفتح فعظم سروره ، ونظر بعد ذلك فى أحوال ذلك القطر وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة ، فارتابوا وطالبهم بالرهن عن الطاعة ، فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن على ولحقوا بالزاب ؛ وارتحل السلطان فى أثرهم فأجفلوا أمامه الى القفر فحرب حصونهم التى بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى عامل بسكرة والزاب جبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادام والحنطة والحملاان والعلوفة ثلاثة أيام ، وكافاه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم

ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس ، وضاق العساكر ذرعا بشأن النفقات والابعاد فى الرحلة وارتكاب الخطر فى دخول

أفريقية ، فتمشت رجالهم فى الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فى ذلك فوافقهم ؛ ثم أذن شيوخ العسكر ونقباؤه لمن تحت أيديهم من القبائل فى اللحاق بالمغرب حتى يبقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبى عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان بن أبى العلاء للامر فأسرهما فى نفسه ولم يدها لهم ، ورأى قلة من معه من الجند فارتاب وكر راجعا الى المغرب بعد أن كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين ؛ فانكفاً وأغذ السير الى فاس فاحتل بها غرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة ، وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بمداخلة بنى مرين فى شأنه وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح ، وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع طائفة منهم السجن

ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات ؛ فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها نارت شيعة الحفصيين على من كان بها من جيش بنى مرين فنجوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب ، وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولاد مهلهل وكان يوم الهيعة بناحية الجريد لاقتضاء جبايته فصوب الى المغرب واجتمعوا كلهم باب السلطان أبى عنان فارجأ حركته الى العام القابل وكان ما تذكره ان شاء الله .



وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية



لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستتم فتحها بقى فى نفسه منها سئى وخشى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه فى العساكر الى افريقية فنهض اليها فى ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن

على وفر الى القفر أقام مكانه أخاه المنازع له فى رياسة رياح ميمون بن على وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو فنزع اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من أولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا بحلهم على معسكره ثم ارتحل السلطان أبو عنان من فاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها لمشاركة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يفاوضه فى أحوال الذواودة لرسوخه فى معرفتها؛ فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أورابن (*) واقتضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الذواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك؛ وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعا الى المغرب فوافى السلطان أبا عنان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم فى العطاء بالزاب وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى أهليهم فرحين مغتربين ، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنى أوفده أبوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فقبلها السلطان وأكرم وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة

وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدى العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأعجله طائف الوجع عن الجلوس للناس يوم العيد على العادة فدخل قصره ولزم فراشه

وذكر ابن خلدون ما حاصله : « انه كانت بين الوزير حسن بن عمر

(*) صوابه أوراس

الفودودى وبين ولى العهد أبى زيان محمد بن السلطان أبى عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير المذكور مع من كان على رايه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من ابناء السلطان فأجمعوا القتل به والبيعة لاختيه أبى بكر السعيد طفلا خماسيا ، ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى بتطلب أبى زيان ولى العهد فى نواحي القصر والتقبض عليه فدخل اليه وتلطف فى اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع ونل الى بعض حجر القصر فأتلفت فيها مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن(*) يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرّد بالامر والنهى دونه « انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية .

وقال فى الجذوة : « توفى السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن ابن عمر الفودودى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة متم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفى ثلاثون سنة »



بقية أخبار السلطان أبى عنان وسيرته



كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة ؛ طویل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف البدن على الانف حسنه ؛ أعين أدعج جهورى الصوت فى كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها واذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستبين موضع الذقن ؛ وكان فارسا شجاعا يقوم فى الحرب مقام جنده ، وكان فقيها

[*] بجامع المدينة البيضاء [فاس] وكانت دولته تسعة اعوام وتسعة أشهر .

ينظر العلماء الجلة عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمى العربية والحساب ؛ وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم كاتباً بليغاً ، حسن التوقيع شاعراً أنشد له صاحب الجذوة أشعاراً حسنة من ذلك فى الحكمة قوله :

واذا تصدر للرياسة خامل * جرت الامور على الطريق الاعوج
وقال ابن الاحمر : « كنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر اليه قال بديهة :

تراهم فى ظواهرهم كراماً ويخفون المكيدة والخداعاء
وللسلطان أبى غنان رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ، ومدرسته العنانية بفاس مشهورة الى الآن ؛ ومن مدارسه المدرسة العجبية بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقاً يعرف بفندق اسكور ومما قاله أبو بكر بن جزى فى بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله :

هذا محل الفضل والايثار	والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى	فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد	لابن السيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس	أكرم بها فى المجد من آثار
لا زال منصور اللواء مظفرا	ماضى الغزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديم با	بهم العلى محمد بن حـدار
فى عام أربعة وخمسين انقضت	من بعد سبعين فى الاعصار

وقال صاحب الجذوة: « حدثنى شيخنا أبو راشد اليدرى أن السلطان أبا

غنان هو الذى أحدث بفاس العلم الازرق فى الصومعة يوم الجمعة »
وقال فى موضوع آخر منها : « حكى أن السلطان أبا غنان المرىنى صعد الصومعة يعنى بالقرويين ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجانة وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام » وذلك فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، قال : وأمر بائر

ذلك بأن ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشر فيه علم فى الاوقات
التى يصلى فيها ، وفنار فيه سراج مزهر فى اوقات صلاة الليل ليستدل بذلك
من بعد ومن لم يسمع النداء ، وفى ذلك اعتناء بأمور الاوقاف وما يتعلق بها من
وجوب الصلوات ويترتب عليها من وجوه الحقوق فى العادات والعبادات
ومما قيل فى ذلك

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلمهم لديه للرشد اصدار وايراد
وقد لخص ابن الخطيب رحمه الله فى رقم الحلل سيرة السلطان أبى
عنان فقال :

وخلص الامر لكف فارس	باني الزوايا الكثر والمدارس
الاسد المقترس المصنوع له	من نال من كل المساعي أمله
واحد آحاد الملوك العظما	ومطلع النصر اذا ما أقدما
ومخجل الغيث اذا الغيث هما	وعالم الملك وملك العلمما
أوجب حق الشعر والكتابة	فاملت أعلامها جنابه
واستجلب الامائل الكبارا	والنهباء العلية الاخيـارا
يجبرهم على حضور الدولة	فهم بدور وشموس حوله
وكان جبارا على خدامه	ينالهم بالقسر فى أحكامه
مذهبه ألا يقيـل عثرة	حتى لارباب التقى والائـرة
فطرة السيف تناغى الدرة	اذ غلبت على المزاج المرة
ومات فيما قيل شر مية	بغيلة لنفسه مفتيه
لم يغن عنه الباس والبسالة	وأصبحت مهجته مسالة
وألقت أزمة التديـر	من بعده فى راحة الوزير

ومن أعيان كتابه : أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى

ومن أعيان قضاته : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ وهو
جد أبى العباس المقرئ صاحب نفح الطيب وغيره من التأليف الحسان ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي وغيرهما رحم الله الجميع (*)

(*) ذكر صاحب روضة السرين اولاد السلطان ابي عنان فقال : اولاده المذكور السلطان ابو زيان محمد والسلطان ابو يحيى ابو بكر السعيد والسلطان موسى والمهدي بالله والمعتمد على الله محمد والمعتصم بالله محمد والمنتصر بالله محمد والمكشفي بالله محمد والواثق بالله محمد ومحمد المدعو بأبي طريق . بناته : فاطمة الصالحة وست العرب ورقية وعائشة وزنو وسكينة وسما وأم جعفر وأم هاني وجندوزة ولما العزيز المدعوة بمديلة . وكان جميع ما ولد ثلاثمائة ونحو خمسة وعشرين ما بين سقط وغيره .



تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله :

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله
أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المريني



فهرس الموضوعات

صحيفة

- ٣ الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم وأصلهم
- ٤ الخبر عن دخول بنى مرين ارض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك
- ٥ الخبر عن رياسة أبى محمد عبد الحق بن محيو المرينى رحمه الله حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله
- ٧ بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته
- ٨ الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله
- ٩ الخبر عن رياسة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق
- ١٠ الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله
- ١١ استيلاء الامير أبى بكر عن مكناسة وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته
- ١٢ استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له
- ١٤ انتفاض فاس على الامير أبى بكر ومحاصرته اياهم
- ١٥ استيلاء الامير أبى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك
- ١٧ استيلاء الامير أبى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة
- ١٨ وفاة الامير أبى بكر رحمه الله
- ١٩ الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله

- ٢٠ الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق
رحمه الله
- ٢١ استيلاء نصارى الاسبينول على مدينة سلا وايقاع السلطان
يعقوب بهم وطردهم عنها
- ٢٣ خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله
- ٢٤ حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبى دبوس منها
اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك
- ٢٥ وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان
فتح حضرة مراکش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين
بها
- ٢٨ مراسلة السلطان أبى عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى
للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٢٩ عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا وما نشأ
عن ذلك من خروج قرابته عليه
- ٣١ هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب
وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن
زيان
- ٣٣ وفاة الامير أبى مالك بن أمير المسلمين أبى يوسف
- ٣٤ فتح طنجة وسبتة وما كان عن أمر العزفى بهما
- ٣٦ فتح سجلماسة وما كان من أمرها
- ٣٦ تاريخ وجود البارود
- ٣٧ أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى فى
الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل
رحمه الله

- ٣٩ الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
فتح جبل تينملل ونش قبور بنى عبد المومن على يد الملياني
عفا الله عنه
- ٤٢
- ٤٤ بناء المدينة البيضاء المسماة بفاس الجديد
- ٤٥ الجواز الثانى للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
- ٤٩ حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغنيا للطاغية ومقتنما
فرصة الجهاد
- ٥٥
- ٥٦ انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب فى ذلك
- ٥٨ الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحواز الجزيرة الخضراء وعقد
الصلح بينهما والسبب فى ذلك
- ٦٢
- ٦٥ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٦٥ بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته
الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله تعالى
- ٦٦
- قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم
قصر كنامة والسبب فى ذلك
- ٦٨
- حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان
صاحب تلمسان
- ٦٨
- ٧٠ انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية
على الطريق بمظاهرة ابن الاحمر له
- ٧١
- ٧٢ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسى بحصن تازوطا
انعقاد الصلح بن السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه
بطنجة
- ٤٧

- فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب
 ٧٧ في ذلك
- ٧٩ الحصار الطويل على تلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث
- ٨٠ نكبة بنى وقاصة يهود فاس
- ٨٢ انتفاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبى سعيد على سبتة
- ٨٣ ثورة عثمان بن أبى العلاء بجبال غمارة
- ٨٥ وفاة السلطان يوسف رحمه الله
- ٨٨ بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته
- دخول الشريف المولى حسن جد الملوك العلويين من الينبع الى
 ٨٨ سجلماسة
- ٨٩ بناء قصبة تطاوين
- ٨٩ وفاة أبى يعقوب الاشقر
- ٩٠ عمل المولد النبوى بالمغرب
- ٩٠ رفع أيدي الموثقين من الشهادة بفاس
- الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن
 ٩١ يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وما كان من
 ٩٣ أمره
- غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن
 ٩٥ أبى العلاء
- ٩٦ بناء مدينة تطاوين القديمة
- الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد
 ٩٧ الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال
 ٩٩ بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك
- ١٠٠ انتفاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين

- انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان
 ١٠١ أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك
 ١٠٢ قضية أبي الحسن الصغير
 الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد يعقوب بن عبد الحق
 ١٠٣ رحمه الله
 ١٠٤ غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان
 خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في
 ١٠٥ ذلك
 وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصراخهم أياه
 ١٠٨ على الطاغية وما نشأ عن ذلك
 انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن
 ١١٠ ذلك
 ١١١ بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله
 ١١٣ أخبار بني العزفي أصحاب سبتة
 المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي
 ١١٦ بكر بن أبي زكرياء الحفصي والسبب في ذلك
 ١١٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله
 الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان
 ١١٨ بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
 حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وأبي علي ثم مقتل أبي علي
 ١١٩ والسبب في ذلك
 وفادة السلطان ابن الأحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس
 ١٢١ وفتح جبل طارق
 فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابن تاشفين وانقراض الدولة الاولى
 ١٢٣ لبني زيان

- ١٢٧ مراسلة السلطان أبى الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله
- ١٣٢ نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبى الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك
- ١٣٣ ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من أمره
- ١٣٤ أخبار السلطان أبى الحسن فى الجهاد وما كان من وقعة طريف التى محض الله فيها المسلمين وغير ذلك
- ١٣٧ استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء
- ١٣٩ بقية أخبار بنى العلاء
- ١٤٠ مراسلة السلطان أبى الحسن لصاحب مصر أبى الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون
- ١٥١ هدية السلطان أبى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب
- ١٥٣ مصاهرة السلطان أبى الحسن ثانيا مع السلطان أبى بكر الحفصى رحمهما الله
- ١٥٤ غزو السلطان أبى الحسن افريقيا واستيلاؤه على تونس وأعمالها انتقاض عرب بسليم بافريقية على السلطان أبى الحسن وما نشأ
- ١٥٨ عن ذلك
- ١٦٢ انتقاض الاطراف وثورة أبى غنان ابن السلطان أبى الحسن واستيلاؤه على المغرب
- ١٦٦ أصل الاشراف الصقليين
- ١٧٠ ركوب السلطان أبى الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن
- ١٧٣ استيلاء السلطان أبى الحسن على مراكش ثم انهزامه عنها الى هنتاة أهل جبل درن ووفاته هناك
- ١٧٤ بقية أخبار السلطان أبى الحسن وسيرته

- ١٧٥ بناء المدرسة العظمى بطالعة سلا
- ١٧٥ سور الماء الداخل الى سلا المعروف بالاقواس
- ١٧٦ المدرسة المصباحية بفاس
- ١٧٨ وفاة أبي الحسن الصغير
- ١٧٩ وفاة ابن البناء
- الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن رحمه الله
- ١٨١ تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي
- ١٨٤ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
- ١٨٤ خروج أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك
- ١٨٦ مدينة القاهرة بأرض السوس
- ١٩٠ وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغنى بالله على السلطان أبي عنان رحمهم الله
- ١٩١ رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارحه على وليها الاكبر أبي العباس بن عاشر رضى الله عنه
- ٢٠٠ غزو السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها
- ٢٠١ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية
- ٢٠٣ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله
- ٢٠٤ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته
- ٢٠٥

الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧١
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٢
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٣
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٤
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٥
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٦
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٧
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٨
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٧٩
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٠
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨١
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٢
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٣
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٤
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٥
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٦
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٧
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٨
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٨٩
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٠
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩١
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٢
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٣
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٤
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٥
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٦
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٧
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٨
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	١٩٩
الحمد لله الذي هدانا لهذا...	٢٠٠

فهرس الاعلام والقبائل

حرف «أ»

- آل زيان ٨٦
 آل الحسين السبط ١٦٦
 آل عبد المومن ٢٧ - ٣٥ - ٤٤
 آل يغمراسن ٨٠ - ١١٦
 ابراهيم بن أبي حاتم العزفي ١١٧
 ابراهيم بن عيسى اليريناني ١٠١
 ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤
 ابراهيم بن هشام ١٦
 ابراهيم بن وقاصه ٨١
 ابن أبي دبوس ١٦١
 ابن أبي زرع ٨ - ٤٤ - ٩٦
 ١٨٠
 ابن أبي العلاء ٩٦
 ابن أبي عمارة ٦١
 ابن أبي عمرو ١٨٦ - ١٨٧
 ١٩٠
 ابن أبي عياد ٩٤
 ابن أبي وطاق ١٥ - ١٧
 ابن الاثير ٣٥
 ابن الاحمر ٢٠٦
 ابن الاحمر : أبو الجيوش نصر بن
 ١٩٩ - ١٩٢ - ١٩١
- محمد ١٠١ - ١٢١
 ابن الاحمر : أبو الحجاج يوسف بن
 اسميل ١٢٣ - ١٣٦ - ١٣٧
 ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٦ - ١٨٧
 ١٩١
 ابن الاحمر : أبو سعيد فرج بن
 اسميل ٧٣ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٥
 ٩٦ - ١١٣
 ابن الاحمر : أبو الوليد اسميل بن
 أبي سعيد فرج ١٢١
 ابن الاحمر : عبد الله بن أبي الحجاج
 ١٩٦
 ابن الاحمر : محمد بن اسميل بن
 أبي سعيد فرج ١٢١ - ١٢٢
 ١٢٣ - ١٣٩
 ابن الاحمر : محمد بن محمد الفقيه
 المخلوع ٨٢ - ١١٣
 ابن الاحمر : محمد بن يوسف بن
 نصر ٣٧
 ابن الاحمر : محمد بن يوسف الابكم
 ٢٠٢
 ابن الاحمر : محمد بن يوسف الغني
 بالله ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٩

ابن عبد السلام ١٥٦	ابن الاحمر : محمد الفقيه ٣٢
ابن عرفة ١٥٤ - ١٥٦	٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٨
ابن عطوش ٢٥	٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣
ابن عطية المفسر ٦٤	٥٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦
ابن علان ٨٠	٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥
ابن كانون ٥١	٨٢
ابن محلى ٥٠ - ٥٧	ابن أذفونش ٤٥ - ٥٣
ابن مرزوق ١٣٠	ابن تافرجين ١٦١ - ١٦٢
ابن مزنى ١٨٣	ابن حجاج ٣٦
ابن الملياني ٧٨ - ٩٧	ابن جحاف ٨٧
ابن هرون ١٥٦	ابن جرار ١٦٥
ابن هيدور الجزار ١٣٣ - ١٣٤	ابن جشار ١٥ - ١٧
أبو ابراهيم بن يوسف بن عبدالمومن ٦	ابن الحميدى ١٩١
أبو اسحق ابراهيم بن أبى بكر	ابن خلدون ٣ - ١٧ - ٣٠
الحفصى ٢٠٢	٣٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ - ٨٦
أبو اسحق بن أبى الحسن ٦٨	٩٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٧
أبو اسحق بن أبى العاص ١٠٩	١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٢
أبو اسحق ابراهيم بن اشقيلولة ٤٠	١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٨٧
٤٥ - ٦٨	١٩٥ - ٢٠٤
أبو اسحق الساحلى ١٥٢	ابن الخطيب ٥٥ - ٧٨ - ١١٥
أبو البقاء يعيش ١٠٤ - ١٠٥	١٢٦ - ١٦٦ - ١٧٤ - ١٧٧
أبو بكر بن زكرياء الحفصى ١١٦	١٧٨ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣٢	١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠٧
أبو بكر بن حمامة ٤	ابن راشد القفصى ١٥٦
أبو بكر بن جزى ٢٠٦	ابن زيان البلشى ١٠٩
أبو بكر بن عبد الحق ٩ - ١١	ابن عبد الرحمن المغيل ١٥
١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦	ابن عبد الرفيع ١٥٦

٦٨	١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١
أبو الحسن بن القطان ٤٤	٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٧٤
أبو الحسن بن كماشة ١٠١	أبو بكر بن يعقوب ٧٦ - ٧٧
أبو الحسن الصغير على بن محمد	٧٩ - ٩٢
الزرويل ١٠٢ - ١١٣ - ١٨٧	أبو بكر بن يغمراسن ١٦
١٧٨	أبو بكر الحفصى ١٢٥ - ١٣٤
أبو الحسن على بن الحاج ٥٨	١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
أبو الحسن على بن عثمان ١٠٣	١٦٢
أبو الحسن على بن القبائلى التينملى	أبو بكر السعيد بن أبى عنان ٢٠٠
١٧٨	٢٠٥
أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن	أبو تاشفين الزيانى ١١٩ - ١٢٠
يعقوب بن عبد الحق المرىنى	١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦
السلطان الاكلحل ١٠٣ - ١٠٥	أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو
١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١١	١١٦
١١١ - ١١٢ - ١١٦	أبو ثابت بن عبد الرحمن الزيانى
١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠	١٧٢ ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤
١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥	أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩	٨٤ - ٨٧ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣
١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤	٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩
١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨	١٣٩
١٤٠ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٢	أبو حاتم الغزفى ٥١ - ١١٣
١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦	١١٤
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠	أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمدانى
١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥	- ابن الامير - ٣٤ - ٣٥
١٦٦ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣	أبو حديد مفتاح بن أبى بكر ١٨
١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧	أبو الحسن بن أبى العافية ١٢
١٨٦ - ١٩١	أبو الحسن بن اسحق بن اشقيلولة

- أبو الحسن علي بن يزكاسن ٦٦
أبو حفص بن أبي بكر بن عبد الحق
المريني ٣٥١٩
أبو حفص عمر بن يغمراسن ٢٦
أبو حفص عمر المرتضى ٣٤ - ٣٦
أبو حفص عمر المريني ٢٠
أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي ٨٨
أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن
٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٢ - ١٠٤
أبو خالد محيو بن أبي بكر ٤
أبو الخيل بن عامر بن يحيى ٧٣
أبو دبوس ادريس بن محمد بن أبي
حفص بن عبد المومن ١٤ - ٢٤
٢٥ - ٢٦ - ٢٧
٢٦ - ٢٧ - ١٦٢
أبو دنان سليمان بن علي ١٧٣
أبو راشد اليدري ٢٠٦
أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد
الله بن يوسف بن عبد الحق المريني
٧٤ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١
١٠٣ - ١٠٤ - ١١٣ -
١١٤ - ١٢٥ - ١٧٩
أبوزكرياء بن أبي بكر الحفصي ١١٦
١١٧ - ١١٩
أبو زكرياء بن أبي حفص ١٢
- أبو زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي
١١٣ - ١١٥
أبو زكرياء يحيى - الواثق - الحفصي
٢٩ - ٥٣
أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب العزفي
١١٤
أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد
الهتاتي ٢٨
أبو زكرياء يحيى بن مليلة ١٠١
أبو زيان بن أبي سعيد ١٨٣
أبو زيان بن أبي عنان ٢٠٥
أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ٨٦
٨٧ - ٩٢
أبو زيان محمد بن عبد القوي بن
العباس بن عطية ٣٣ - ٣٨ - ٣٩
أبو زيان منديل بن يعقوب ٤٨
٥١ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٧
أبو زيد عبد الرحمن بن أبي طالب
١١٣ - ١٢٦
أبو زيد الحفصي ١٨٦
أبو زيد الغفاري ٨٣ - ٨٤
أبو زيد الفاسي ٣٦
أبو زيد محمد بن أبي بكر الحفصي
١٨٥
أبو سالم ابراهيم بن يوسف ٨٢
٩١ - ٩٢
أبو سالم بن أبي الحسن المريني

- ١٨٥
أبو العباس أحمد ابن عاشر الاندلسي
٢٠٠ - ٢٠١
أبو العباس أحمد بن عاشر السلاوى
- الحافى - ٢٠١
أبو العباس أحمد بن محمد الازدى
- ابن البناء - ١٧٩
أبو العباس أحمد بن رافع
الصقلى ١٦٦
أبو العباس أحمد بن على المليانى ٧٧
أبو العباس الزواوى ١٧١
أبو العباس الغمارى ٢٩ - ٥٣
أبو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى
١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ - ١٧٠
أبو العباس المقرى ١٢٢ - ١٥١
٢٠٧
أبو العباس الوثئريسى ١٥٤
أبو عبد الرحمن بن أبى الحسن
المرينى ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢
١٣٣
أبو عبد الرحمن المغبلى ١٥
أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف
٦٩ - ٧٥
أبو عبد الله الآجمى ١٥٤
أبو عبد الله الابى ١٧١
أبو عبد الله بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى ١٦٣
- ١٨٦ - ١٦٠
أبو سالم فتح الله السدراتى ٤٤
أبو سعيد الاصغر ١٠٣
أبو سعيد الاكبر ١٠٣
أبو سعيد بن أبى الربيع القبائلى ٤٣
أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء ٩٨
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى
٩
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الزيانى
١٨٢
أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق
المرينى ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨
١١٩ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠
١٧٨ - ١٧٩
أبو سلطان عزيز الدانى ٧٤ - ٨٢
أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصلونى
١٧٦
أبو طالب بن محمد أبى مدين ١٥٢
أبو عامر عبد الله بن يوسف ٦٧
٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٩١
أبو العباس ١٤
أبو العباس أحمد بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى

- أبو عبد الله بن أبي الحسن بن
اشقيلولة ٤٥
- أبو عبد الله بناني ١٣٦
- أبو عبد الله بن الجباك ٤٤
- أبو عبد الله بن خالد ١٥٦
- أبو عبد الله بن عبد الرزاق ١١٧
- أبو عبد الله بن مرزوق ١٢٨
- أبو عبد الله بن يعلو ١٧ - ٢١
- أبو عبد الله الطنجالي ١٠٩
- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي ٨٦
- أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن
أبي بكر الحفصي ١٥٥ - ١٥٦
- ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ٢٠٨
- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ ٢٠٧
- أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ٨٢
- أبو عبد الله محمد بن سليمان السطلي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن الصباع المكتاسي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ١٥٤
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله
- ابن الحاج ٢٢
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي
عمرو ١٦٥ - ١٨٤
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد
المقرئ ١٨٠
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق ١٩٢
- أبو عبد الله محمد الكناسي ٢٩ -
١٠٧
- أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن
أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ١٥٥
- أبو عثمان الوريكلي ٢٠
- أبو عطية العباس بن يعقوب ٦٦
- أبو عطية مهلهل بن يحيى الخلطي
١٠٣
- أبو علي أحمد الملياني ٤٣ - ٧٧
- أبو علي بن محمد ١٤
- أبو علي وانودين ٦
- أبو علي عمر بن السعود بن خرباش
الحشمي ٨٣
- أبو علي عمر بن عثمان (أبو سعيد
المريني) ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧
- ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣
- ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢
- ١٢٣
- أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني
١١٢ - ١٢٣ - ١٣٩ -

- ١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
 ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١
 ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
 ١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
 ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧
 أبو عنان فارس يغمراسن ٣٢
 أبو عياد بن أبي يحيى بن حمامة ١٣
 أبو عياد بن عبد الحق ٩
 أبو غالب المغيلي ١٠/١
 أبو فارس عبد العزيز المزروزي ٨٨
 ٩١
 أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون
 ١٣١ - ١٤٠ - ١٤٧
 أبو الفضل بن أبي الحسن المريني
 ١٧٠ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩
 ١٩٠ - ١٩١
 أبو الفضل بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٧
 ١٥٣
 أبو القاسم البرجي ٢٠٧
 أبو القاسم بن أبي العباس العزفي
 ٣٤ - ٣٥
 أبو القاسم بن أبي مدين العثماني
 ١/١٥
 أبو القاسم الرحوي ١٥٨
 أبو القاسم بن رضوان ٢٠٧
 أبو القاسم بن عتو ١١٧ - ١٥٤
 ١٥٦ - ١٧٠
 أبو القاسم الشريف ١٩٥
 أبو مالك بن أبي الحسن المريني ١٢٢
 ١٢٥ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥
 أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب ٢٣
 ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣
 أبو محمد بن أجانا ١٦٨
 أبو محمد بن اشقيلولة ٤٠ - ٤٨
 أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين
 العثماني ١٧٨
 أبو محمد عبد الحق ٦٣
 أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ٧٨
 ٨١ - ٨٨ - ٩٩ - ١٠٠
 أبو محمد عبد الله بن تافراجين
 ١١٦ - ١١٧ - ١٣٢ -
 ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤ -
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠
 ٢٠٢ - ٢٠٣
 أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ١١٢
 ١١٨ - ١٢٧
 أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ١٢٠
 ١٧٧
 أبو محمد الفشتالي ١٤ - ١٩
 أبو المجد بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٤٤ - ١٤٩ - ١٧٣
 أبو المطرف بن عميرة المخزومي ١٢

- أبو معر ف بن يعقوب ٥٩ - ٦٧
أبو معر ف محمد بن عبد الحق ٩
١١ - ١٠
أبو المولود عبد الحق المريني ٩ - ٦٤
أبو موسى بن الامام ١٨٠
أبو موسى عيسى ١٢٦
أبو الهول بن حمزة ١٥٥
أبو الهول بن يعقوب ١٦١
أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن
قلاوون ١٤١
أبو يحيى بن أبي الصبر ٩٠ - ٩٦
٩٧
أبو يحيى بن عيسى بن علي بن أبي
الطلاق ٢٠٠
أبو يحيى القطراني ١٩ - ٣٦
أبو يعقوب الاشقر ٨٩ - ٩٠ -
١٧٨
الانبج ٣١ - ٥٩
أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ١٥٩
أحمد بن حمزة ١٥٩
أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي
٢٠١
أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح
١٢٩
أحمد يوسف بن مزني ٢٠٤
ادريس بن عبد الحق ٧ - ٢٣٩
٨٨
ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ٩٨
ادريس بن عثمان بن أبي العلاء ١٦٥
٢٠٣
اسحق ٢٧
الاشراف العلويون ٨٨
الاصبنيول ٢١
اعراب افريقية ١٥٥
الاغزاز ١٣
الاكراد ٦١
أم العز ابنة محمد بن حازم العلوي ٥٨
أهل أزغار ١٠ - ٣٢
أهل الاندلس ٣٢ - ٣٩ - ٤٨
٥٣ - ١٠٠ - ١٠٩ - ١٤٢
أهل بجاية ١٦٣
أهل بلاد الجريد ١٧٠
أهل تاونت ٧٩
أهل تلمسان ٨٥
أهل تونس ١٠٧
أهل الحرمين ١٤٧
أهل الجزيرة ٥١ - ٥٢ - ١٣٨
أهل سبتة ٨٢ - ١٠٠ - ١١٣
١١٥ - ١٦٥
أهل طريف ٧١
أهل طنجة ٣٥
أهل العدو ٣٠ - ٩٥
أهل غرناطة ١٠٩
أهل فاس ١٥ - ١٦ - ١٠٤

أهل قسنطينة ١٦٣	بهلولة ٩
أهل مالى ١٦٣	بنو أبى حفص ٢٨ - ٨٠
أهل المغرب ١١ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢	١١٦ - ١٢٣
٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ - ٨٢	بنو أبى العلاء ١٢٣ - ١٣٩
٨٣ - ١٣٥ - ١٦٣ - ١٦٤	بنو أبى عياد بن عبد الحق ٣٠
أهل مكناسة ١٢	بنو أبى الليل ١٦١ - ٢٠٢
أهل ندرومة ٧٩	بنو الاحمر ٩٨ - ١١٣ - ٣٩
أوربة ١٣٩	٢٠٢
أولاد أبى العلاء ١٦٥	بنو ادريس بن عبد الحق ٢٣
أولاد أبى الليل ١٥٩ - ١٧٠	٢٩
أولاد جرار ١٥٢	بنو ادريس بن يعقوب ٦٧
أولاد سباع بن يحيى ٢٠٤	بنو أذفونس ٨٢
أولاد على ١٣٣	بنو أشقيلولة ٤٩ - ٥٣ - ٦٨
أولاد القوس ١٥٩ - ١٦١	بنو أمية ٧٥
أولاد محبوب ١٧٦	بنو أيوب ٨٣
أولاد محمد ٢٠٤	بنو توجين ٢٠ - ٣٣ - ٥٤
أولاد محلى ٦٧	١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٠
أولاد مهمل ١٥٥ - ١٥٩	١٦٣ -
١٦١ - ١٦٢ - ٢٠٢ - ٢٠٣	بنو تيربعين ٩٢ - ١٢٠
الوليد بن عبد الملك ٩	بنو جابر ١٨ - ٣١ - ٩٤
حرف «ب»	بنو جشم ١٥٨
البربر ٣ - ٣٠ - ٣٦	بنو حكيم ١٥٩
البرتقال ١٣٦	بنو حمزة بن عمر ١٥٥ - ١٦٢
برنيس الفرنجى ٣٢	١٧٠
بطرة بن سانجة ١٠٨	بنو راشد ٣٢
بطوية ٩	بنو رحو بن عبد الحق ٢٩
	بنو زغبة ١٢٧ - ١٣٣ - ١٥٣
	(الاستقصا - ناك - ١٥)

٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٠ - ١٩	١٢٤ - ١١٩ - ٩٧ بنو زيان
٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٢ - ٢٨	١٧٢ - ١٥١ - ١٢٥
٥٢ - ٤٨ - ٤٣ - ٣٩ - ٣٨	٧٤ بنو سعيد
٧١ - ٦٨ - ٦٦ - ٥٩ - ٥٦ - ٥٤	١٥٨ بنو سليم
٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٧٦ - ٧٢	١٣٣ بنو سويد
١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٧	١٣٣ بنو عامر
١٠٦ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢	٣٠ - ٢٩ - ٢٠ بنو عبد الحق
١١٤ - ١١٢ - ١٠٩ - ١٠٨	٧٢ - ٦٧
١١٩ - ١١٨ - ١١٧ -	٢٩ بنو عبد الله بن عبد الحق
١٣٦ - ١٣٦ - ١٢٥ - ١٢٢	٢٠ - ١٦ - ٣ بنو عبد الواد
١٦١ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦	٤٣ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٢ - ٢٦
١٧٣ - ١٧٢ - ١٦٦ - ١٦٣	٩٢ - ٨٥ - ٨١ - ٧٦ - ٥٤
٢٠٢ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٨٣	١٦٣ - ١٦٠ - ١٢٦ - ١٢٥
٢٠٣	١٨٣ - ١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤
١٥٩ بنو مسكين	١٩١
١٥٢ - ٣٦ بنو معقل	١٢١ بنو عثمان بن أبي العلاء
١٢٦ بنو واسين	١١٣ - ٩٠ - ٨٢ بنو العزفي
١٣٤ - ١٢٧ بنو هلال	١١٥
٨٧ بنو ورتاجين	١٤ - ١٢ بنو عبد المومن
١٨٤ - ٧٢ بنو الوزير	٣٤ - ٣١ - ٢٨ - ٢٧ - ١٥
٧٢ - ١٣ بنو وطاس	١٠٩ - ٧٧ - ٧٢ - ٤٣
٩٩ - ٨٠ بنو وقاصة	١٢٤ - ٧٩ - ٧٧ - ٧ بنو عسكر
١٧٢ بنو و نكاسن	١٥٦
١٢٥ بنو يدلتن	٢٠٢ - ١٦٦ - ١٥٩ بنو كعب
١٣٣ - ١٣ بنو يزناسن	- ٦ - ٥ - ٤ - ٣ بنو مرين
٩٢ بنو يغمراسن	- ١١ - ١٠ - ٩ - ٨
٣ بنو يفرن	١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥ - ١٣

الحرّة - أخت أبي الحسن المرينى

١٤٠ - ١٤٧

الحرّة - أم المعز ابنة محمد حازم

العلوى - أم السلطان يعقوب المرينى

٨٩

الحرّة مريم ١٣٠

الحسن بن أبي عامر بن عبد الله بن

يعقوب المرينى ٩٣

الحسن بن سليمان بن يرزيكن ١٦٤

١٦٥

الحسن بن على بن أبي الطلاق

١٠٢

حسن بن قاسم الحسنى ٨٨

الحسن بن عمر الفودودى ٢٠٤

٢٠٥

الحشم ١٢٥

الحفصيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣

١٥٧ ١٣٥ ١٣٢ ١١٦ ٧٢

١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٨٤

١٨٥ - ٢٠٣

حمامة بن محمد ٤ - ٧

حمو بن يحيى العسكرى ١٥٥

حميفة بن أبى نعى ٨٣

حرف «خ»

خالد بن أبى بكر الحفصى ١٥٥

خالد بن حمزة بن عمر ١٥٥

حرف «ت»

تاشفين بن أبى الحسن ١٢٠

١٣٧ - ١٦٣ - ١٨٦

تاشفين بن أبى مالك ٥٠

تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب

المرينى ٣٩

تاشفين بن يعقوب الوطاسى ١٠٠

١٠١

الترك ٨٣

تسول ٦ - ٩

حرف (ث)

الثعلبى المفسر ٦٤

حرف «ج»

جشم ١٧٣

الجلالقة ٤٥

جمال الدين ١٣٠

جمال الدين بن نباتة المصرى ١٣١

جوان ١٠٨ - ١٠٩

حرف «ح»

الحاج أبو الزبير طلحة بن يحيى

ابن محلى ٦١

الحاج المسعود ٩٣

رضوان ١٩٢

رميثة بن أبي نمي ٨٣

رياح ٧ - ٩ - ٢٣ - ١٣٤

٢٠٢

حرف «ز»

زانا بن يحيى ٤

زكارة ٩

زناتة ٣ - ٨ - ١٠ - ١٧ - ٣٢

٣٣ - ٤٠ - ٥٤ - ٨٣ - ١٠٤

١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٦

١٨٢ - ١٨٣

زواوة ١٨٣

زيان بن أبي عياد بن عبد الحق

٤٨ - ٥٠

زيان بن عبد الحق ٩

زيان بن عمر الوطاسي ١٣٣

زيد بن فرحون ١٣٥

حرف «س»

سانجة بن هـراند ٥٥ - ٥٦

٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣

٦٦ - ٧٠ - ١١١

سدراة ٩

سعادة الخصى ٨٥

السعود بن خرباش ١٥

السعيد - على بن المأمون الموحدى -

١٥٩ - ١٦١

الخضر الغزى ٦١

الخطيب بن مرزوق ١٧٧

الخلط ٣١ - ٥٩

خليفة الاصغر ٨١ - ٩٩

خليفة بن أبي زيد ١٥٩ - ١٦١

خليفة بن وقاص ٨١ - ١٠٠

خليفة بن عبد الله ١٥٩

خليل الصفدى ١٤٧

حرف «د»

داود بن السلطان يوسف ٧٤

دعد ٨٦

الدولة الاحمرية ١٢١

دولة الاندلس ١٢٣

دولة زناتة ١٢٥

الدولة المرينية ١٢١ - ١٥٨

١٦١ - ٢٠٥

دولة الموحدين ٢٢

«حرف ذ»

الذواودة ١٣٤ - ١٧٣ - ١٨٥

١٨٦ - ٢٠٣ - ٢٠٤

ذوى حسان ٣١

حرف «ر»

الرشيد بن المأمون ١٠

حرف «ط»

طلحة بن محلى ٢٤ - ٤٣

حرف «ظ»

ظافر ١٥٦

حرف «ع»

عائشة ابنة أبى بكر بن يعقوب المرينى

١٣٦

عائشة ابنة أبى بكر الحفصى ١٨١

عائشة ابنة الامير أبى عطية مهلهل بن

يحيى الخلطى ١٠٣

عائشة الجزرية ١٨١

عام المشعلة ٦

عامر بن ادريس ٢٣ - ٢٨

٣٠

عامر بن فتح الله السدراتى ١١٥

١٧٧

عامر بن يحيى بن الوزير ٧٢

٧٣

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد

الحق المرينى ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣

١١٤ - ١٢٥

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق

١٦

عبد الحق بن محيو المرينى ٤ - ٥

١١ - ١٢ - ١٣ - ٧٢ - ١٢٥

سفيان ٣١١ - ٥٠ - ٩٤

سليم ١٥٩ - ٢٠٢

سليمان بن داود ٢٠٠ - ٢٠٣

سليمان بن عبد الملك ٩

سليمان بن عبد الله بن السلطان يوسف

٧٤

سليمان بن عثمان بن عبد الحق ١٩

سليمان بن يرزيكن ١٠٠

سوط النساء ٢٩

سويد ١٥٦ - ١٧٢

حرف «ش»

الشبانات - ٣١

شريد الفرنجى ١٥

شعيب بن مخلوف بن أبى عثمان ٩٩

شمسى الزواوية ١٢٤

شمس الضحى ١٨١

الشيخ خليل ٣٦

حرف «ص»

صخر بن موسى ١٥٦

صناكة ١٩١

صنهاجة ٣١ - ٣٩ - ١٥١ -

١٥٧ - ١٧٩ - ١٨٥

الصنهاجيون ١٨٥

- ١٥٩ عبد الواحد بن اللحياني
 ٣٢ عبد الواحد بن يعقوب
 ٩٤ - ٥١ عبد الواحد السكسيوي
 ٩٥ عبد الواحد القودودي
 العبيدون ١٥٧
 عثمان بن أبي تاشفين ١٢٥
 ١٢٦
 عثمان بن أبي العلاء أدريس بن عبد
 الحق ٨٣ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٧
 ١٠٠ - ١٠٩ - ١٢٢ - ١٣٩
 عثمان بن عبد الحق ٧
 عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن
 يغمراسن بن زيان ١٦٣ - ١٦٥
 ١٧٢
 عثمان بن عفان ٧٥
 عثمان بن عيسى اليريناني ١٠١
 عثمان بن يحيى بن جرار ١٦٤
 عثمان بن يعقوب ١٠٣
 عثمان بن يغمراسن ٥٦ - ٦٨
 ٦٩ - ٧٦ - ٧٩ - ٨١
 عثمان بن يوسف ١٠٣
 عدي بن هنو الهسكوري ١٠٤
 العرب ٣ - ٦ - ١١ - ٢٦ - ٣١
 ٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٥٠ - ٤٥ - ٦٦
 ٥٨ - ٩١ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
 ١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٩
 ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠
- ٧ - ٨ - ٩ - ١٩ - ٢٣
 عبد الرحمن بن عبد الحق ٩
 عبد الرحمن الوطاسي ١١٤
 عبد الحق بن يعقوب الوطاسي - رحو
 ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤
 ١٢٥
 عبد السلام الاوربي ١٩
 عبد العزيز بن أبي بكر الحفصي ١٥٥
 عبد العزيز بن محمد القديوي ٧٨
 عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاني
 ١٧٣
 عبد الكريم بن عيسى ٧٨٧٧
 عبد الله بن ابراهيم القودودي ١٧٧
 عبد الله بن أبي الحسن المريني ١٦٣
 عبد الله بن عبد الحق ٩
 عبد الله بن علي بن سعيد ١٦٥
 ١٨٦
 عبد الله بن مسلم الزردالي ١٩١
 عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٤
 عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد
 الحق المريني ٩٧
 عبد الله السكسيوي ١٩٠
 عبد الملك بن محمد العبد الوادي
 - ابن حنينة - ٣٢ - ٣٧
 عبد الملك بن مكي ١٥٦
 عبد الملك بن مروان ٩
 عبد المومن بن علي ٤ - ٢٢ - ١٧٢

٢٣	على بن زيان	١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
٧٨	على بن عبد الكريم	١٧١ - ١٧٣ - ١٨٢ - ٢٠٢
١٨	على بن عثمان بن عبد الحق	٢٠٤
	على بن عمر الوطاسي	عرب افريقية ١٥٨
	على بن غانم	عرب بنى رغبة ٣٢
٧٨ - ٧٧	على بن محمد الهنتاتي	عرب جشم ٥٠ - ٦١ - ٩٤
	على بن منصور	عرب الحارث ٥٠
	على بن يوسف بن زريقاء	عرب الخلط ٢٦ - ٥٩ - ١٢٧
٧٧ - ٧٠	على بن يوسف بن يزكاتن	عرب رياح ٧ - ١٠ - ٩٤
	عمر بن أبي بكر الحفصي	١٧٣
	١٥٩ - ١٥٦ - ١٥٥	عرب سليم ١٥٥
	عمر بن حمزة	عرب سويد ١٢٥ - ١٥٣ - ١٧١
	عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق	١٧٢
	١٠١	عرب العاصم ٣١ - ٥٩ - ٩٤
	عمر بن السعود بن خرياش	عرب معقل ٦٧
	عمر بن عبد الواحد بن يعقوب	عرب المغرب الأقصى ١٥٨
	عمر بن عثمان	عرب المنبات ٣٦ - ٣٧
	عمر بن علي الوطاسي	العرب الهالليون ٣
	عمر بن موسى الفودودي	عريف بن يحيى ١٢٥ - ١٢٧
	عمر بن يحيى بن محلي	١٣٣ - ١٣٥ - ١٥٦ - ١٧٢
	٦١	العزفي ٣٨ - ٥٩ - ١٢٥
	عمر بن يحيى بن الوزير	عزونة أبة أبي بكر ١٥٣
	٧٣	عسكر بن تاحضريت ١٣٧ - ١٣٨
	عمر بن يخلف الفودودي	عسكر بن محد ٤
	عنبر الخصى	عطية بن مهلهل ١٢٧
	عنتر بن ونزمار	عطارد بن حاجب التميمي ٥٥
	عياد بن أبي عياد الفاطمي	علان بن محمد ١٣٤ - ١٧٣
	٦١	

حرف «ق»

- القاضي المغيلي ١٧
قبائل بني مرين ٩٥
قبائل تازا ٨٢
قبائل المخلط ٩٤
قبائل رياح ٣٢
قبائل الريف ٨٢
قبائل زكّة ٩٤
قبائل المغرب ٣٦
قتيبة بن حمزة ١٥٩ - ١٦١
قدمية ٧٧

حرف «ك»

- كثامة ٩٩
الكعوب ١٥٥
كندوز بن عثمان ١١٠

حرف «ل»

- ليدة بن أبي نسي ٨٣

حرف «م»

- المثوكل العباسي ٧٤
محمد بن أبي زكرياء العزفي ١١٤
١١٥
محمد بن أبي عمرو ١٨٤
محمد بن أبي عمران ١١٦

عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق

٢٠٠

- عيسى بن عبد الكريم ٧٨
عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٧
عيسى بن ماساي ٣٣

حرف «غ»

- الغر ٥٩
غمارة ٣٩
غنصالو الفرنجي ١٠٢

حرف «ف»

- فارح مولى سيد الناس ١٨٤
١٨٥
فارس بن ميمون بن وردار ١٢٧
١٦٥ - ١٨٣ - ١٩٠ - ٢٠١
٢٠٣
فاطمة ابنة أبي بكر الحفصي ١١٧
١١٩ - ١٣٦ - ١٥٣
فتح الله السدراتي ٤٥
الفرنج ١١، ٣١ - ٣٢ - ٤١ - ٤٢
٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٩٣
٩٥ - ١٠٩ - ١٦٣
فشتالة ٩
الفضل بن أبي بكر الحفصي ١٥٧
١٦١ - ١٦٣
الفنش ٤٨

- محمد بن ادريس بن عبد الحق ١٠
 ٢٣ - ٦٧
 المرابطون ٤
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر ١٢١
 ١٣٩
 محمد بن الحكيم ١٣٢
 محمد بن اشقيلولة ٤٨
 محمد بن سلامة بن علي ١٢٥
 محمد بن سيد الناس ١١٦ ١٨٥
 محمد بن العباس بن تاحضيت ١٣٧
 محمد بن عبد القوى ٣٣ - ٤٤
 ٥٤ - ٦٩
 محمد بن عبد الله بن أبي الحسن ٦٨
 محمد بن عثمان بن يغمراسن ٨١
 محمد بن عطو الجاناتي ٥٩ - ٦٧
 محمد بن علي أبي القاسم العزفي
 ١١٥ - ١٣٥
 محمد بن علي بن يحيى ٢٧
 محمد بن علي بن محلي ٦٧
 محمد بن عمران ٥٩
 محمد بن طالب ١٦١
 محمد بن المحروق ١٢١
 محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢
 محمد بن وزير ٣ - ٤
 محمد بن يغمراسن ٥٦ - ٦٩
 محمد بن يوسف بن هود الجذامي
 ٣٧ - ٣٨
 المخضب بن عسكر ٤
 مخلوف بن هنو الهسكوري ٩٣
 المرتضى ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
 ٢٤ - ٢٥
 مريم أم ولد أبي سعيد المرنسي
 ١٢٩
 مرين ٤ - ٦٦
 المرينيون ١٦٣ - ١٨٢ - ١٨٥
 المستنصر بالله الحفصي ٢٨ - ٢٩
 ٣٥ - ١٧٠ - ١٠٨
 مسعود بن أبي تاشفين ١٢٥ -
 ١٢٦
 مسعود بن كانون السفياضي ٣٠
 ٥٤ - ٥٥
 المشرف بن أبي عبد الرحمن المغيلي
 ١٥
 المصامدة ١١ - ٢٦ - ٢٨ - ٣١
 ٣٩ - ٦٠ - ٧٧ - ٩٧ - ١٧٣
 المعتمد بن عباد ٤٩
 معقل ١٥٢
 مغراوة ٣ - ٢٠ - ١٢٤ - ١٦٠
 مكناسة ٦ - ٩ - ٣٩
 ١٦٣
 المقريني ١٤٧
 المقرئ ١٨١
 المثلثون ١٥١
 الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى

١٧٥	٨٣ - ٨٤ - ١٢٧ - ١٢٨ -
المنصور الموحدى ٩٠	١٣١ - ١٤٠ - ١٤٣
المهمندار ١١٣٠	الملند ١٣٥ - ٥٢
مهلهل بن يحيى الخططى ٦١	منديل بن حمامه ١٢٠
الموحدون ٤ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠	منديل بن محمد الكتانى ١٠٧
١١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٨	منسا سليمان ١٥٢ - ١٦٣
٢١ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١	منسا موسى بن أبى بكر ١٥١
٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٥٦ - ١١٧	١٥٢
١٢٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦	المنصور بن أبى مالك المرينى ١٦٤
١٦١	١٦٥
موسى بن أبى الفضل ١٣٣	منصور بن ابراهيم بن الحاج ١٨٥
موسى بن ابراهيم اليرينانى ١٣٧	منصور بن الحاج خلوق الياپانى
موسى بن السبتى ٨١	٢٠٢
موسى بن سعيد الصيحي ٩٣	المنصور بن عبد الكريم ٧٨
موسى بن على الهنتاتى ١١١	المنصور بن عبد الواحد بن يعقوب ٧٢
١٢٥	٧٣
ميمون بن بكرون الحفصى ١٣٩	المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ٤
ميمون بن على ٢٠٤	٨ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩
حرف «ن»	٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
الناصر ٤	٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠
الناصر بن أبى الحسن المرينى ١٧١	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦
١٧٢	٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب	٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣	٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣
٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤	٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١
٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١	٦٢ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٨
	٨٩ - ١٠٧ - ١١١ - ١٤٠

يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين

٢٠٣ - ٢٠٢

يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٤

يحيى بن موسى ١١٦ - ١٢٤

يحيى بن حازم العلوى

يحيى الرندامى ١١٥

يزيد بن عبد الملك ٩

يعقوب بن آصناك ٩٣ - ٩٤

يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ٢١

٢٢ - ٢٤

يعقوب بن على ١٣٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣

يغمراسن بن زياد ١٢ - ١٣ -

١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣

٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣

٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٤ - ٥٠

٥٣ - ٥٦ - ٥٨ - ٦٨ - ١٢٥

اليقرنى ١٧٥

يوسف بن تاشفين ٤٨ - ٤٩ - ٧٢

يوسف بن عيسى الحشمى ٩٣

١٠٣

يوسف بن قيطون ٦٠ - ٦١

يوسف بن مزنى ١٨٦ - ٢٠٤

يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد

الحق ٩٣ - ٩٥

يوسف بن يزكاسن ١٩

يوسف بن يعقوب ٩٥ - ٩٩ - ١٠٨

يوسف المنتصر ٤ - ٥

٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠

٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١

٩٩ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٢٧

١٧٨

نونة ٤٠ - ٤١

حرف «هـ»

هراندة بن سانجة ٥٨ - ٨٢

هشام بن عبد الملك ٩

هلال مولى سيد الناس ١٨٥

هنتاة ٢٨ - ٧٧ - ١٧٣

هواره ٩

حرف (و)

الوطاسى ١٨٥

ونزمار بن عريف يحيى ١٣٣

١٧٢

حرف (ي)

يحتاتن بن عمر بن عبد المومن ١٧٢

يحيى بن داود ١٨٣ - ١٨٤

يحيى بن سليمان العسكرى ١٢٤

١٥٦ - ١٥٧

يحيى بن طلحة بن محلى ١٢٢

فهرس الاما كن

أصلا ٣٤ - ٣٥ - ٨٣ - ٩٦
أفراك ١١٥

افريقية ١٢ - ٢٨ - ٣٤ - ٩٠

١١٦ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٥١

١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣

١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٣ - ١٨٤

٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤

كرسيف ٥ - ١٣ - ٢٥

أم الربيع ٢٠

الاندلس ٤ - ٨ - ١٢ - ٢٣

٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤

٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧

٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥

٨٢ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨

١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٤

١١٥ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢

١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨

١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٨٦

١٩٤ - ٢٠٠

حرف «أ»

آزمور ٢١ - ٢٥

آنفا - الدار البيضاء - ٢٣ - ٥٢

آنكاد ٣٢

أبد ٤٠ - ٥٧

أبو سليط ١٨

أبو طويل ٩٤

أرجونة ٤٧

أرض الاندلس ١٠٨

أرض الحامة ١٥٦

أرض حمزة ١٣٣

أرض السودان ١٥١

أرض السوس ٤٥ - ١٩٠

أرض المغرب ١٨٧

أغمات ٤٣ - ٩٤

الاسكندرية ١٢٨ - ١٦١

استجة ٦١

أسطونة ٦٤

أشبونة ١٣٦

أشيلية ٢٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٥

٤٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣

٧٠ - ١٣٨

حرف (ب)

- بلاد الاندلس ٧٥
 بلاد بطوية ٦ - ٢٠
 بلاد بنى بهلول ٩٠
 بلاد بنى توجين ٨٠
 بلاد بنى حسن ٨٤
 بلاد بنى عبد الواد ٨٠ - ١٠٥
 بلاد بنى يزناسن ٦٩ - ٧٢
 بلاد تادالا ١٨
 بلاد تامسنا ٢٢ - ٥٠ - ٩٤
 بلاد حاحة ٩٤
 بلاد درعة ٢٧ - ١٩١
 بلاد الجريد ١٥٥ - ١٥٩ - ١٧٠
 بلاد الريف ١٣ - ٦١ - ٧٢
 ٩٥
 بلاد الزاب ٣
 بلاد زناتة ١٥
 بلاد زواوة ١٧١
 بلاد السوس ٢٧ - ٥١ - ٥٨
 بلاد الصحراء ١١ - ١٢٨
 بلاد صنهاجة ٢٦ - ٩٤
 بلاد العرب ١٣٤
 بلاد العدو ٦٥
 بلاد غمارة ٣٠ - ٤٢ - ٦١
 ٩٥ - ١٢٦
 بلاد فازاز ١٠ - ١٥ - ١٧
 ٤٣
 بلاد القبله ٥ - ١٩ - ٩٤ - ١٠٧
- باب تحسينت بسجلماصة ١٨
 باب الجديد ١١٢
 باب الجيزين بفاس ١٩
 باب الشريعة بتازا ٦٧
 باب الشريفة بفاس ١٧
 باب الشريفة بمراكش ٤٣
 باب الرب بمراكش ٩٤
 باب القنوح ٧٤
 باديس ٤٢ - ٥٢
 بحر الزقاق ٧٠ - ٧١ - ١٣٨
 بجاية ٨٠ - ١١٩ - ١٣٥
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣
 ١٧١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢٠١
 البرت ٥٧
 برج دار الحرة عزونة ٩٤
 برشيك ٨٠
 بسانط الفرنتينة ١٦
 بستان المصارة ٨٩
 بسكره ١٧١ - ١٨٣ - ٢٠٤
 بسيط انكاد ١٨٢
 بسيط وجدة ١٦
 البطحاء ٨٠
 بطوبة ١٩
 بغداد ٣٤

٨٠ تافر جينت	١١٨ - ١١٩
٦٤ - ٢٤ - ٧ تافر طاست	١١٥٢ بلاد مالى
٢٠ تافر يست	١٢٤ البلاد المراكشية
٨٠ تالموت	٨٤ بلاد المشرق
١٧٣ تامدغوست	٨٠ بلاد مغراوة
٩٤ تامزوارت	٢٠ - ١١ - ١٠ بلاد المغرب
٨٠ تامزردكت	١٠٤ ٥٣ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٤
٥٠ - ٣١ تامسنا	١٧٦
١١٠٧ تامنطيت	٣ بلاد النخيل
١٢٠ - ٧٧ تاوريرت	٩٤ - ٣٢ - ١٠ بلاد الهبط
٩٧ - ٩٦ تطاوين	٦٧ بلاد هسكورة
٨٣ تكساس	١٢٤ البلد الجديد بتلمسان
١٣ - ١٢ - ٣ تلمسان	٩٠٦ البلد الجديد - فاس الجديد
١٦ - ٢٥ - ٣٠ - ٣٢	٩٥ بلد الدمنة
٣٣ - ٣٩ - ٥٤	١٥٢ بلد مالى
٧٤ - ٧٣ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٧	١٥٣ - ١٣٥ - ١١٦ بونة
٨٠ - ٧٩ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٦	١٧٠ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٥٧
٩١ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١	٥٧ - ٤٠ ياسة
١٠٤ - ١٠٢ - ٩٥ - ٩٣ - ٩٢	
١١٧ - ١١٦ - ١٠٨ - ١٠٥	حرف (ت)
١٢٤ - ١٢٣ - ١٢٠ - ١١٩	
١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٦	٢٠ - ١٩ - ١١ - ١١ تازة
١٥٥ - ١٥٣ - ١٣٣ - ١٣٢	٧٠ - ٦٩ - ٥٤ - ٢٢ - ٢١
١٦٥ - ١٦٤ - ١٦٣ - ١٦٢	١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣ - ٩٠
١٨٣ ١٨٢ ١٨٠ ١٧٨ ١٧١	١٧١ - ١٦٥ - ١٠٦
١٩٠ - ١٨٧ - ١٨٦ - ١٨٤	٢٦ تادلا
٢٠٤ - ١٩١	١٢٤ ١٢٠ - ١١٩ - ٨٥ تاسالت

جبال طرابلس ٣	تلمسان الجديدة ١٧٨
جبال بهلوله ١٧	تلمطيت ١٥٢
جبال غماره ٢٣ - ٧٤ - ٩٢	تبتكو ١٥٢
٩٥	تس ٨٠ - ١٢٤
جبال غيانه ١١	توزر ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ٢٠٢
جبال المصامدة ١٧٣ - ١٩٠	تونس ٢٨ - ٣٥ - ٥٦ - ٦١ - ٨٠
١٩١	١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٣
جبال هسكورة ٩٣	١٣٥ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤
جبال هنتاتة ١٧٣ - ١٧٤	١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩
١٨٢	١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
جبل ورغة ٦٧	١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢
جبل آصرو ٤٣	١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠٢
جبل اوراس ٣	٢٠٣
جبل أوراين ٢٠٤	تشمش ٣١
جبل بيوش ٧٥	تيكرارين ١٠٧
جبل تينملل ٤٢ - ٤٣ - ٤٤	التينة ١٠٦
٧٧	تينملل ٢٧
جبل جيلير ٢٤	حرف (ج)
جبل درن ٦٧ - ١١١ - ١٧٣	جامع الاندلس ١١٢
جبل راشد ١٧٢	جامع بن يوسف ١٧٥
جبل زالغ ١٧٩	جامع تازة ٧٥
جبل زرهون ١٢	جامع القرويين ٩٠ - ١١٢
جبل سكسيوة ٥٠ - ١٩٠	١٧٦
جبل طارق - جبل الفتاح - ٥١	جامع المنصور بمراكش ١٧٤
٥٢ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٢	جبال بنى يزناسن ١٠٥
١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٦	جبال الشرف ٤٦ - ٦١
١٥٠ - ٢٠٣	

٤٦ حصون الوادي الكبير	٣٠ جبل علوان
٧١ حصن اسطبونة	١٧٨ جبل الكندرتين
٤٧ حصن بركونة	١٢٥ - ٥٤ - ٤٥ جبل وانشريس
٧٠ حصن بجير	١٧٢
٤٠ حصن بلمة	١٧٠ - ١٣٥ جربة
٤٧ حصن بني بشير	٢٠٣ الجريد
٧٢ - ١٣ - ٦ حصن تازوطا	١٧١ - ١٧٠ - ٨٠ الجزائر
١٨٤ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣	١٧٣
٤٦ حصن جليانة	٥٣ الجزيرة الاندلسية
٣٨ حصن الحمراء	٤٠ - ٣٩ الجزيرة الخضراء
٦٤ حصن ذكوان	٤٨ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٢ - ٤١
٤٦ حصن روطه	٥٦ - ٥٥ - ٥٢ - ٥٠ - ٤٩
٥٩ حصن ركش	٦٥ - ٦٤ - ٦٢ - ٥٨ - ٥٧
٤٧ حصن الزهراء	٦٦ - ٧٠ - ٧٥ - ١٠١ - ١٠٠
٧٥ حصن سطبونة	١٣٧ - ١٢٢ - ١٠٧ - ١٠٤
٤٦ حصن شلوقه	١٤٩ - ١٤٥ - ١٣٩ - ١٣٨
٦٣ حصن الصخرات	١٨٠
٤٧ حصن فركونة	٦١ جزيرة كبتور
٤٦ حصن قطنيانة	٧٤ جنوة
٥٩ حصن القناطر	١٣٠ البجزة
٤٦ حصن القليعة	٥٦ - ٤٧ جيان
٩٥ - ٢٣ حصن علودان	حرف (ح)
٤٦ حصن غليانة	١٧٠ الحامة
٦٠ حصن مرتقوط	١٥٠ - ١٢٧ الحجاز
٤٠ - حصن المدور	١٢٧ الحرم الشريف
٧٠ حصن بجير	١٤ - ١٣ حصون ملوية

حرف (د)

٢٠٤ - ٢٠٢
الزقاق ٤٩ - ٥٢ - ٧٠ - ٧١١٣٦ - ١٣٥
الزيتون - بناحية فاس - ١١٨
١١٩

حرف [س]

ساحل السوس ١٨٧ - ١٩٠

الساقية الحمراء ٥٨

ساقية غبولة ٢٤

سبتة ٢٢ - ٢٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١

٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٧٥ - ٨٣ - ٩٠

٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ١٠٠

١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٥

١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨

١٤٤ - ١٦٦ - ٢٠٢

سبو ١٠٢

سجلماسة ٣ - ٥ - ١٨ - ١٩

٢٠ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٦٧

٨٨ - ٨٩ - ١٠٧ - ١١٠

١١١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣

١٧٢ - ١٧٣

١٧٣

سطح الجعاب ١/٥٥

سلا ٣ - ١٧ - ٢١ - ٢٢

٢٣ - ٢٤ - ٢٩ - ٥٢ - ١٧٥

١٧٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٦

الدار البيضاء - بفاس الجديد ١٠٧

دار الصناعة بسلا ٢٢

درعة ١٨ - ١٩ - ٣٦ - ١١٠

١٢٠ - ١٩١

الديار المصرية ١٢٨

حرف (ذ)

ذراع الصابون ٦٩

حرف (ر)

الرابطة ١٤

رباط تازا ٦ - ١٣ - ٢٦ - ٣٣

٤٥ - ٦٧ - ١٠٤

رباط الفتح ٨ - ٢١ - ٢٢

٢٤ - ٤٥ - ٥٨ - ٦١ - ٦٥

٩٤ - ١٠٤

رباط المنستير ١٥٧

رندة ٤٠ - ٤٥ - ٦٦ - ٧٥

١٠١ - ١٠٤ - ١٠٧

روض المصارة ١٢٠ - ١٥١

روطة ٥٩

الريف ٦ - ٩١

حرف (ز)

الزباب ١٥٥ - ١٨٣ - ١٨٦

صقيلة ١٦٦

حرف [ض]

ضواحي افريقية ٣

حرف [ط]

طرابلس ١٣٥ - ١٥٥

طريف ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٨

٦١ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤

٧٥ - ١٠٩ - ١٣٦ - ١٣٧

١٣٨ - ١٥٣ - ١٦٣ - ١٨١

طليطلة ٥٦ - ٥٧ - ١٠٨

طنجة ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١

٥٢ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٦٦

٧٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٥

١٥٣

حرف [ع]

العدوة ٤٢ - ١٥٧

عدوة الاندلس ١٩ - ١٥٧

١٧٦

العدوتان ٩٤ - ١٢٦ - ١٤٠

العدوة المغربية ٣١ - ٦٠

العرائش ٣١ - ٨٣

عرفة ١٥٢

عقبة الجزائر بفاس ١٧٩

علودان ٩٧

سواحل المغرب ١٣٥ - ١٣٧

سور الاقواس بسلا ١٧٥

السودان ١٢٩ - ١٥١

السوس ٥٤ - ١٢٦

السوس الأقصى ٣ - ٣٢ - ١٥٧

سوسة ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢

سوق العطارين بفاس ١٧٩

سيجوم ١٥٦ - ١٥٩

حرف [ش]

شالة ٥٨ - ٦٥ - ٨٥ - ٩٧

١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢

الشام ١٢٧ - ١٥٧

شدرونة ٤٧

الشرق ١٥٨ - ١٨٣

شرشال ٨٠

شريش ٤٢ - ٤٦ - ٥٧ - ٥٩

٦٠ - ٦١ - ٧٠

حرف [ص]

صبرة ٧٤ - ٩٠ - ١١٧

الصحراء ٣ - ١٠٧ - ١١٠

١٧٢

صحراء درعة ٦٧

صحراء الزاب ٤

صخرة أبي بياش ١١

صخرة عباد ٥٥

١٧٢ - ١٦٥ - ١٥٠ - ١٤٦

١٧١ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٧

١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٩٢

٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦

١١١ - ١٠٧ - فاس الجديد

١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤ - ٢٠١

٩٤ فحص ازغار

١٣٨ - ٤٢ - ١٣٨ - ٤٢

حرف [ق]

١٥٦ - ١٥٥ - ١٣٥ - قابس

٢٠٢ - ١٧٠

٨٤ القاهرة

١٩٠ القاهرة بالسوس

٩٠ قبة مكناسة الزيتون

١٦٤ قبة الملعب

١٣٠ القرافة

١٧٦ قرطاجنة

٧٥ - ٥٦ - ٤٧ - ٣٧ - قرطبة

٦١ - ٦٠ - ٥٩ - قرمونة

٢٠٦ القرويين

٥٠ قرية مكول

١٠٦٢ - ١٥٦ - ١٥٥ - قسنطينة

٢٠١ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٦٣

٢٠٤ ٢٠٣ - ٢٠٢

٨٢ قشتالة

٥٨ - ٢١ عين غبولة

٧٢ - ٦٩ - ١٣ عين الصفا

١٧٦ عيون البركة

حرف [غ]

٢٢ غابة المعمورة

٣ غداس

١٣٦ غرب الاندلس

٥٣ - ٥٢ - ٤٨ - ٣٨ غرناطة

١١٠ - ١٠٩ - ٨٢ - ٦٧

١٣٧ - ١٣٦ - ١٢٣ - ١١٣

١٩٦ - ١٩١ - ١٨٨ - ١٦٧

١١٧ غساسة

حرف [ف]

١٣ - ١١ - ١٠ - ٨ - ٣ فاس

٢٠ - ١٩ - ١٨١٧ - ١٥ - ١٤

٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٢ - ٢١

٣٦ ٣٥ - ٣٣ - ٣١ - ٢٧

٥٢ - ٤٤ - ٤٣ - ٤٢ - ٣٨

٦٧ - ٦٦ - ٥٨ - ٥٤ - ٥٣

٧٩ - ٧٦ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٩

٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٠

١٠٣ - ١٠١ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٥

١١٠ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤

١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١١١

١٣٠ - ١٢٤ - ١٢٠ - ١١٨

القيروان ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
كلدمان ٢٠

حرف [ك]

كلدمان ٢٠
الكندرطان ٨٩

حرف [ل]

لبلة ٦١
لمدية ٨٠ - ١٢٤ - ١٣٣ -
١٨٣ - ١٨٤

حرف [م]

مازونة ٨٠
مالى ١٢٩
مالقة ٤٠ - ٤٨ - ٤٩ -
٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦١ -
٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٣ - ٨٢
١١٣
مالى ١٢٩
مجربط ٤٦
مدرسة باب حسين بسلا ١٧٥
مدرسة الرخام - المدرسة المصباحية
بفاس ١٧٦
مدرسة الصهريج بفاس ١٧٦
مدرسة العطارين بفاس ١١٢

القصبات ٨٠ - ٥٤
القصبة - بتطاوين ٨٩
القصبة (بتونس) ١٥٧ ١٦١
١٧٠ - ١٨٥ - ٢٠٢
القصبة (بسببة) ١١٥
القصبة - بطنجة - ٦٧
القصبة بفاس ١٤ - ١٥ - ٨٩ -
١٦٤
القصبة (بمراكش) ٢٧ - ١٧٤
القصبة (بمكناس) ٤٤
القصر ٦٨ - ٩٦ - ٩٩
قصر الاجم ١٥٧
قصر كتامة ١٠ - ٢٠ - ٢٣ -
٨٣ - ٩٥
قصر المجاز ٣٨ - ٣٩ - ٤٥
٥٥ - ٥٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٨٩
قصر مصمودة ٤٢ ٥٥
قصور نوات ٢٠٧
القطر المغربى ٤
قفصة ١٥٤ - ١٧٠
قلعة بنى سعيد ١٣٧
قلعة تازوطا ١٣
قلعة تاغزوت ١٢٥
قلعة تامزدكت ١٣
قمارش ٤٠
قنطرة ماريج ٨٩
قنطرة وادى النجاة ٨٩

المسجد الجامع بتازا ٩٠	المدرسة العظمى بطالعة سلا ١٧٥
المسجد الجامع بفاس الجديد ٨٩	المدرسة العظمى بمراكش ١٧٥
مسجد الفتح ١٣٠	المدرسة العنانية بفاس ٢٠٦
مسجد القرويين ١,١٣	المدينة ١٣١ - ١٣٠
مسراته ١٥٧	المدينة البيضاء - فاس الجديد ٤٤
مشروع كتابة ٩٤	٢٠٦ - ٨٩ - ٤٥
المشرق ١٦٤ - ١٢٨ - ١٢٧	مدينة شريش ٤٦
١٧٥ -	مديونة ٩
مصر ١٢٧ - ٩٠ - ٨٤ - ٨٣	مراكش ١٥ - ١٢ - ١٠ - ٥
١٤٠ - ١٣١ - ١٢٩ - ١٢٨	٢٨ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥ - ١٧
١٥٧	٤٢ - ٣٥ - ٣٤ - ٣١ - ٢٩
المعاهد الشريفة ١٢٧	٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ -
معادن العوام ١٥	٥٦ - ٥٥ - ٥٤ - ٥٣ - ٥١
معقل ٣١	٧٧ - ٧٢ - ٦٩ - ٦٧ - ٥٨
المغرب ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٣	٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٨٥
١٠ - ١٥ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ -	٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ - ١١٠ -
٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ -	١١١ - ١٢٠ - ١٧٢ - ١٧٣ -
٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٤ -	١٧٤ - ٢٠١ -
٤٥ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ -	مرس بجاية ١٧٠
١٦٠ - ١٦١ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ -	مرسى غساسة ١١٦ - ٧٣
٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠ -	مرسى سبتة ١٣٦
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩	مرسى المرية ١٦٨
٩٠ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠١ -	مریالة ٦٦
١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -	مرسى المنكب ١٦٨
١١٣ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤ -	المرية ١٧٦ - ٥١
١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٧ -	مرفأ سبتة ١٧٦ - ٥٢
١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ -	مستغانم ٨٠

١٧٨ - ١٦٤ - ١٢٤ - ٩٢	١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦١ ١٦٠
المنكب ٦١ - ٥١	١٧٥ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠
المهدية ٢٠٣ - ٢٠٢ - ١٥٧	١٨٦ - ١٨٥ - ١٧٩ - ١٧٨
حرف [ن]	٢٠٤ - ٢٠٣ - ١٨٧
ندرومة ١٢٤ - ٨٠ - ٧٦	المغرب الثلاثة ١٦٤
١٥٥	المغرب الأقصى ٦٨ - ٣٥ - ٣
نفطة ٢٠٢ - ١٧٠	١٤٤ - ٨٨
نهر شنيل ١٠٩	المغربان ١٢٧ - ١١٨ - ١٢
حرف [هـ]	١٣٥
هنين ١٢٤ - ٨٠	المغرب الاوسط ١٥٥ - ١٥١ - ٣
حرف [و]	١٨٣
وادي آش ٦٠ - ٤٠	مقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي ١٠٠
وادي أبي الجراف ١٦٥	المقرمة ١٠٦ - ١٨
وادي أم الربيع ٢٦ - ٢٤ - ١٤	مكة ١٥٨ - ١٣٠ - ٨٣
٣٢ - ٩٣ - ٩٤ - ١٧٣	مكناسة ١٨ - ١٣ - ١٢ - ١٠
وادي أم الرجلين ٢٤	٢٠ - ٧٢ - ٧٦ - ١٣٩ - ١٥٦
وادي ايسلي ٣٢ - ١٦	١٦٥ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٩
وادي بهت ١٢	١٨٤
وادي تافنا ٥٤	مليلة ٣
وادي تلاغ ٥٤	ملوية ٧٤ - ٥٣ - ٢٠ - ١٩
وادي الزيتون ١٦٥	مليانة ١٢٤ - ٨٠ - ٤٣
وادي سبو ١٧٦ - ١١٨ - ٧	مملكة برنو ١٥١
وادي شلف ١٨٣	مملكة غانة ١٥١
وادي العيد ٢٦	مملكة كاغو ١٥١
	مملكة المغرب ١٥١
	مملكة مالي ١٥١
	النصورة ٨٠ - ٨٤ - ٩١

ودغفو ٢٧

وطاط ١٣

وطاط الحاح ١٩

وهران ٨٠ - ١٢٤

الوادي الكبير ٤٥ - ٦٠

وادي لك ٥٩ - ٦٣

وادي ملوية ١٠٥ - ١١٠

١١٧

وادي مكور ٦

واقعة أم الرجلين ٢٤

وانشريش ٨٠

وجدة ٧٦ - ٧٧ - ٧٩

٩٢ - ١٠٥ - ١٢٤ - ١٣٣

١٣٤ - ١٥٥

حرف [ي]

يثر ١٥٨

ينع الحجاز ٨٨

وادي فاس ٨٩ - ١٧٦

وادي قصر كتامة ١٧٦

فهرس الخطأ والصواب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ظواعن	ظواعن	٢٢	٣
تيربعين	تيربعين	٣	٤
بنى	بنى	٢٤	٧
شفى	شفا	١٣	٩
انحاش	انجاش	٤	١٦
فراده	فراده	٥	٢٥
كثرة	كتر	٢٣	٤١
وحرقة	وحرقة	٦	٦٠
لحقوا	لحقو	٧	٧٢
والعبث	والبعث	٨	٧٧
غاضهم	عاضهم	٨	٧٧
لحق	الحق	٦	٨٣
السلطان	السلطان	٨	١٠٠
أبا الحسن	أبا الحسين	٣	١٠٥
يوغر	يوغر	١٧	١٠٧
أغد	أغد	١٦	١١٠
المعروف	المعرف	٥	١١٣
اغذ	أغد	١٠	١٢٠
قبل	وقبل	٢١	١٢١
نقلهم	نقلهم	٧	١٢٢

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٥	٢٢	عشر	عشرة
١٢٥	٢٦	وكضت	وكظت
١٤٠	٦	أبضا	أيضا
١٤١	٢١	رحمه	رحمة
١٤٤	٤	وقفه	وقفناه
١٤٩	٩	ازله	ازالة
١٤٩	١٣	سق	شق
١٥٠	١١	فتح	فتح
١٥٤	١٣	قاضي	قاضي
١٥٥	٢٠	بقسطنطينية	بقسطنطينية
١٦٦	١	كر	كبر
١٨١	١٩	كان السلطان	كان هذا السلطان
١٨١	١٩	وعشرته	وعشيرته
١٨٢	٢١	سعا	سعيد
١٨٨	١١	رافعوا السماء	رفعوا لسماء
١٨٨	١١	وأوضحوا السيل	واوضحوا لسيل
١٩٦	٨	أنباه	أنبيائه
١٩٧	١١	معتبر	بمعتبر
١٩٧	٢١	بنظر	ينظر
١٩٧	٢٣	لما	لم
١٩٩	٩	ومضار	ومدار
٢٠٦	٢٦	ذلك	وذلك

AHMED AN-NACIRI

AL - ISTIQÇA

TOME III

DAR EL KITAB

PLACE DE LA MOSQUÉE * B. P. 4018 Derb SIDNA
CASABLANCA (Maroc)



Dépositaires :

ÉDITIONS LAROSE

11, RUE VICTOR COUSIN

PARIS (V^e)

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE & D'ORIENT

11, RUE SAINT-SULPICE

PARIS (VI^e)

الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الأقصى



الدولة المرينية

القسم الثاني

الجزء الرابع



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥



الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

(القسم الثاني)

الجزء الرابع

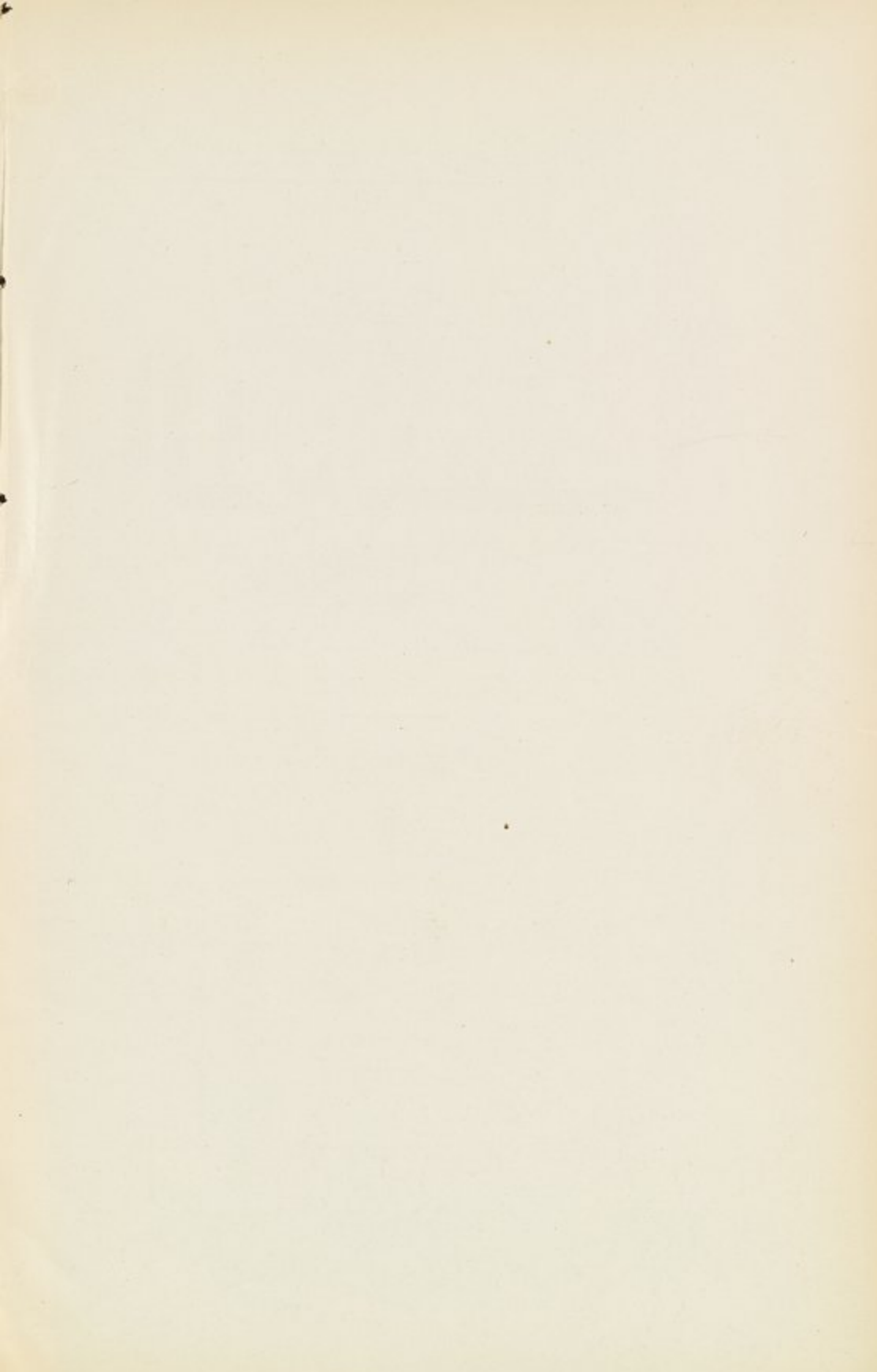
تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

القسم الثاني

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله

ابى بكر بن ابى عنان بن ابى الحسن المرينى

هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوك بنى مرين . أمه : أم ولد اسمها الياسمين . كنيته : أبو يحيى ، وهى كنية كل من اسمه أبو بكر : لقبه . السعيد بالله . صفته : درى اللون مستدير الوجه حسن الانف ألس الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر . بويغ وابوه مريض فى التاريخ المتقدم ، وكان محجوبا بوزيره حسن بن عمر الفودودى لا يملك معه ضرا ولا نفعا ، ولما بويغ لحق أخوه عبد الرحمن (*) بن أبى عنان بجبل الكاى وكان أسن منه ، وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى من وزارته ، فبعثوا اليه من لطفه واستنزله على الامان وجاء به الى اخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبة من فاس ، وبعث على ابناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور ، فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها فى كفالة عامر(*) بن محمد الهنتاتى ، وكان عامر هذا من بيوتات هنتاتة واهل الرياسة والشرف فيهم ، وكان السلطان أبو عنان قد أوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره ، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم ، وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتاتة فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داود مشاركته فى الاستبداد ، وسرحه فى المحرم سنة

(*) عبد الرحمن هذا لم يعد صاحب روضة السريرين فى جملة اولاد السلطان ابى عنان .

(*) انظر ترجمة عامر هذا عند ابن خلدون ج اول طبع الجزائر ص ٣٥٩ والتى تليها

ستين وسبعمائة، فسار الى مراکش فاستولى عليها ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بني مرين بفاس، وظهور منصور بن سليمان بها على مائذكره، فانفض العسكر من حوله وتسايقوا الى منصور فلحقوا به، ولحق به سليمان بن داود أيضا وتنفس الحصار عن عامر ومكفوله، والله غالب على أمره



ظهور ابي حمو موسى بن يوسف الزياني واستيلاؤه على تلمسان
ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطردها عنها



كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان ابي عنان منذ استيلائه على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم، ولما رجع أبو عنان الى فاس اعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب لانهم كانوا متبذرين عنها باطراف افريقية، فدعوا أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويجلبوا به على تلمسان فأجابهم الى ذلك، واغذوا السير الى المغرب للعيث في نواحيه، فجمع لهم أعداؤهم من سويد وكانوا خالصة لبني مرين فالتقوا بقبله تلمسان فانهزمت سويد، وهلك كبيرهم عثمان بن ونزمار، واتصل بهم في أثناء ذلك خبر وفاة السلطان ابي عنان بفاس، فاغذوا السير الى تلمسان وقتلوا عليها حامية بني مرين ثم اقتحموها عليهم ليال خلون من ربيع الاول سنة ستين وسبعمائة، واستباحوا من كان بها منهم، وامتلائت ايديهم من أسلابهم، واستولى ابو حمو على ملك تلمسان واستأثر بما الفاه بها من متاع بني مرين ومن جملة هدية كان السلطان ابو عنان أعدها هنالك ليعت بها الى طانغة برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهين ثقيلين فاتخذ أبو حمو الفرس لركوبه، وصرف باقى الهدية في وجوه مقاصده ولما انتهى الى الوزير حسن

ابن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع شيوخ بنى مرين واخبرهم بالتهوض اليها فأبوا عليه من التهوض بنفسه ، و اشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه من انفسهم المسير كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال واسنى الصلات وازاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ، ثم عقد عليهم لمسعود بن عبد الرحمن بن ماساي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار فى العساكر والالوية ولما اتصل خبر مسيره بابى حمو أفرج له عن تلمسان ودخلها لمسعود فسى ربيع الثانى من السنة المذكورة فاستولى عليها وخرج ابو حمو الى الصحراء الى ان كان ما نذكره .



ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له

وما نشأ عن ذلك



منصور هذا هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ، وكان الناس يرجفون بان ملك المغرب سائر اليه بعد وفاة أبي عنان وشاع ذلك على السنة الناس حتى تحدث به السمر والندمان وخشى منصور على نفسه من ذلك فجاء الى الوزير حسن بن عمر وشكا اليه ذلك فنهاء أن يختليج بفكره هذا الوسواس وانتهره انتهارا خلا عن وجه السياسة فأنزجر واستكان . قال ابن خلدون : « ولقد شهدت هذا الموطن فرحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه » . ثم لما نهض مسعود بن عبد الرحمن الى تلمسان واستولى عليها كان منصور هذا فى جملة ، ولما فر ابو حمو الى الصحراء اجتمعت عليه جموع العرب من بنى زغبة وبنى معقل ثم خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم ، فجهز اليهم مسعود بن عبد الرحمن عسكرا من جنوده اتقى فيه مشيخة بنى مريـن وامراءهم ، وعقد عليهم لابن عمه عامر بن عبد الله بن ماساي وسرحه ، فزحف

الى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال ، فانكشفت بنو مرين واستبج معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين الذين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد حسن بن عمر عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة الدوائر ، فلما بلغهم هذا الخبر حاصوا حيصة حمر الوحش وخلصوا نجيا بساحة البلد ، فاتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان بن يوسف بن يعقوب فبايعوه ، واتتهى الخبر الى مسعود بن عبد الرحمن وكان فى جملة منصور ابن سليمان كما قلنا فآكرهه على البيعة ، وبايعه معه الرئيس الابكم من بنى الاحمر ، وقائد النصارى القهر دور ، وتسائل اليه الناس من كل جانب ، وتسامع الملا من بنى مرين بالخبر فتهاروا اليه وذهب يعيش بن على لوجهه فركب البحر الى الاندلس ، واستتب أمر منصور بن سليمان واجتمع بنو مرين على كلمته فارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب ، واعترضتهم جموع العرب فى طريقهم فاوقعت بهم بنو مرين وامتلأت ايديهم من اسلابهم وظعنهم ، ثم أغدوا السير الى المغرب فاحتلوا بوادى سبو فى منتصف جمادى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة ، وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فبرز واضطرب معسكره بساحة البلد ، واخرج السلطان السعيد فى الآلة والتعية الى أن أنزله بفسطاطه ، ولما غشيهم الليل انفض عنه الملا الى منصور فاوقد الوزير الشموع وأذكى النيران وجمع الموالى والجند حول الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به الى قصره وتحصن بالبلد الجديد ، واصبح منصور بن سليمان فارتحل فى التعبئة حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وغدا على فاس الجديد بالقتال وجمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار ، واثالت عليه وفود الامصار بالمغرب للبيعة ، ولحقت به كتائب بنى مرين التى كانت مجمرة على حصن عامر بن محمد الهنتاني ، ولحق به أيضا قائدها سليمان بن داود وكاد أمره يتم وأقام على فاس الجديد يفاديهما القتال ويراوحها ، ثم بدا الخل فى عسكره ونزع عنه الى الوزير حسن بن عمر طائفة من بنى مرين ، ولحق آخرون ببلادهم

ووقفوا ينتظرون مآل أمره ، واستمر هذا الحال الى غرة شعبان فينما الناس في ذلك اذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة فانصرفت اليه وجوه أهل المغرب ، وبطل أمر السلطانين : أبي بكر السعيد، ومنصور بن سليمان معاً، وذابا كما يذوب الملح ، فأما منصور بن سليمان فانه فر الى بادس فقبض عليه وجيء به الى السلطان أبي سالم فقتله ، وأما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان أبي سالم واستفحال أمره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى ابي سالم ووعدته بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه ، فكان الامر كذلك ، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبعمائة (*) ، ثم قتل بعد ذلك غرقاً في البحر ، فان السلطان ابا سالم بعثه في جملة الابناء المرشحين من بنى ابي الحسن الى الاندلس ، ووكل بهم من يحرسهم ثم بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ثم غرقهم في البحر ، والامر لله وحده



الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله

أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني



كان هذا السلطان جواداً ، جم العطاء ، معروف بالوفاء ، كثير الحياء ، كنيته : أبو سالم . لقبه : المستعين بالله . أمه : أم ولد رومية اسمها قمر ، صفته : آدم اللون ، معتدل القامة ، رطب الوجه ، واسع الجبين ، بادن الجسم ، أعين ادعج ، معتدل اللحية أسودها . وكان بعد مهلك والده السلطان ابي الحسن رحمه الله قد استقر بالاندلس . بعثه اليها أخوه أبو عنان كما مر ، ولما مات ابو عنان المذكور وولى ابنه الصبي طمع ابو سالم هذا في الملك ، فاستاذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الاحمر بالاندلس في اللحاق ببلاده فأبى عليه ، فغاضه ذلك

(*) وكانت دولته سبعة اشهر وعشرين يوماً

ونزع عنه الى طاعية قشتالة وتطارح عليه في أن يحمله الى بر العدو يطلب ملك
 ابيه فاسعه وامر به فحمل في مركب والقي به ملاحه في ساحل بلاد غمارة
 بعد أن تردد في أى السواحل يليقه ، ووافق ذلك اختلاف الكلمة بفاس
 ومحاصرة منصور بن سليمان للمدينة البيضاء ، فتسامع الناس بخروجه ببلاد
 غمارة احوج ما كانوا اليه فتسايلاوا اليه من كل وجه ، وانفض الناس من حول
 منصور ومشى أهل معسكره بأجمعهم على التعية فلحقوا بالسلطان أبى سالم
 واستذوه الى دار ملكه فأخذ السير اليها . وخنق الحسن بن عمر سلطانه السعيد
 من الامر تسعة أشهر من خلافته ، وأسلمه الى عمه فخرج اليه وبايعه ،
 ودخل السلطان ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة
 ستين وسبعمئة ، واستولى على ملك المغرب ، وتواف وفود النواحي بالبيعات
 وعقد للحسن بن عمر على مراکش ، وجهزه اليها بالعساكر تخففا منه وريية
 بمكانه من الدولة ، واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماسى والحسن بن
 يوسف الورتاجنى ، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه ابا عبد الله
 محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى ابى زيد عبد الرحمن بن خلدون
 صاحب التاريخ توقيعه وكتابة سره ، قال : « وكنت نزعته اليه من معسكر منصور
 ابن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلاف احواله ومصير الامر
 الى السلطان أبى سالم فاقبل على وانزلنى بمحل التنويه واستخلصنى لكتابته اه »



قدوم الغنى بالله ابن الاحمر ووزير لا ابن الخطيب مخلوعين

على السلطان أبى سالم والسبب فى ذلك



قد قدما أن السلطان ابا الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس
 وخمسين وسبعمئة وولى الامر من بعده ابنه الغنى بالله محمد بن يوسف ،
 وكان له أخ اسمه اسماعيل فجعله الغنى بالله فى بعض القصور من حمراء
 غرناطة احتفاظا به الى ان كان رمضان من سنة ستين وسبعمئة فخرج الغنى

بالله الى بعض متزهاته خارج القصة ، ولما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور أو ثمان وعشرين منه تسور جماعة من شيعة اسماعيل المجوس عليه القصة ليلا وأخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ، ثم اقتحموا على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نسائه ، وضبطوا القصة ، واعلنوا بالدعوة ، ولم يرع الغنى بالله الا قرع الطبول بالقصة في جوف الليل ، فاستكشف الخبر وتسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتولية أخيه ، فركب فرسه وخاض الليل الى وادي آش فاستولى عليها وضبطها ، وبايعه أهلها على الموت ، ثم عمد شيعة اسماعيل الثائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه السجن بعد أن أغروا به ثأرهم واكتسحوا داره واصطلموا نعمته وأتلفوا موجوده ، وكان شيثايجل عن الخصر ، واتصل ذلك كله بالسلطان ابي سالم وكانت له مصافاة مع ابن الاحمر من لدن كان عنده بالاندلس ، فكتب اسماعيل الثائر وشيعته يأمرهم بتخلية طريق الغنى بالله للقدوم عليه ، ويشفع في تسريح ابن الخطيب وتخلية سبيله فأجابوا الى ذلك وقدم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب على السلطان أبي سالم في السادس من محرم فاتح سنة احدى وستين وسبعمائة ، فأجل السلطان أبو سالم قدومه ، وركب للقائه ، ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل في ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعلية ، ووقف وزيره ابن الخطيب على قدميه فأنشد السلطان ابا سالم قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ، ويستحته لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر	وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوا	عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادى التى عاطيت مشمولة الهوى	باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذى ربي جناحي وكره	فها أنا ذا مالى جناح ولا وكر
نبت بى لا عن جفوة وملا لة	ولا نسخ الوصل الهنى بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها	ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لى بقرب العهد منها ودوننا	مدى طال حتى يومه عندنا شهر

ولله عينا من رآنا وللأسى
وقد بددت در الدموع يد النوى
بكينا على النهر الشروب عشية
أقول لاطعاني وقد غالها السرى
رويدك بعد العصر يسران أبشرى
ولله فينا علم غيب وربما
وان تخن الايام لم تخن النهى
وان عركت منى الخطوب مجربا
فقد عجمت عودا صليبا على الردى
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى
زجرنا بابراهيم براء همونا
بمنتخب من آل يعقوب كلما
تناقلت الركبان طيب حديثه
ندى لو حواء البحر لذ مذاقه
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى
أطاعته حتى العصم فى قنن الربا
قصداك ياخير الملوك على النوى
كففنا بك الايام عن غلوائها
وعدنا بذاك المجد فانصرم الردى
ولما أتينا البحر يرهب موجه
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه
دعتك قلوب المومنين واخلصت
ومدت الى الله الا كف ضراعة
والبسها النعمى ببيعتك التى
فأصبح نغر الثغر يبسم خاحكا

ضرام له فى كل جانحة جمـ
وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهـ
وآنسها الحادى وأوحشها الزجر
بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
أتى النفع من حال اريد بها الضر
وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
نقابا تساوى عنده الحلو والمر
وعزما كما تمضى المهنة التبر
فلا اللحم حل ما حيت ولا الظهر
فلما رأينا وجهه صدق الزجر
دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
فلما راته صدق الخبر الخبر
ولم يتعقب مده ابدا جـزر
وترفل فى اذياله الفتكة البكر
وهشت الى تامله الانجم الزهر
لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
وقد راينا منها التعسف والكبر
ولدنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر
فايماناه لغو وعرفانه نكر
اذا ظل فى أوصاف من دونك الشعر
وقد طاب منها السر لله والجهـ
فقال لهن الله قد قضى الامر
لها الطائر الميمون والمحتد الحر
وقد كان مما نابه ليس يفتـر

وامنت بالسلم البلاد وأهلها
وقد كان مولانا أبوك مصرحاً
وكنت حقيقاً بالخلافة بعده
فأوحشت من دار الخلافة هالكة
فرد عليك الله حَقَّك اذ قضى
وقاد اليك الملك رفقا بخلقـه
وزادك بالتمحيص عزا ورفعـة
وانت الذى يدعى اذا دهم الردى
وانت اذا جار الزمان محكم
وهذا ابن نصر قد اتى وجناحه
غريب يرجى منك ما انت أهله
ففر يا امير المؤمنين ببيعة
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا
وخذ يا امام الحق بالحق ثاره
وانت لها ياناصر الحق فلتقم
فان قيل مال ، مالك الدثر وافر
يكف بك العادى ويحيابك الهدى
أعده الى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة
مرامك سهل لا يثودك كلفة
وما العمر الا زينة مستعارة
ومن باع ما يقضى بباق مخلد
ومن دون ماتبيه يا ملك الهدى
وراد وشقر واضحات شياتها
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة

فلا ظبة تعرى ولا روعة تعرو
بانك فى اولاده الولد البر
على الفور لكن كل شىء له قدر
أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وأجرا ، ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى يرجى اذا أخلف القطر
لك النقض والابرام والنهى والامر
مهيض ومن عليك يلتمس الجبر
فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
موثقة قد حل عروتها الفدر
بيا لمرين جاءه العز والنصر
ففى ضمن ما تاتى به العز والاجر
بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
وان قيل جيش ، عندك العسكر المجر
ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
وطوقه نعماك التى مالها حصر
فقد صدهم عنه التغلب والقهر
تحاولها يمناك ما بعدها خسر
سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
ترد ، ولكن الثناء هو العمـر
فقد انجح المسمى وقد ربح التجـر
جياذ المذاكى والمحجلة الفـر
فاجسامها تبر وارجلها در
مصممة غارت بها الانجم الزهر

عمائمها بيض وآسالها سمر
ندافع في أعطافها اللجج الخضر
فلا يلتقي صعب، ولا المرتقى وعر
وان واعدوا وفوا، وان عاهدوا بروا
نشاوى تمشت في معافطهم خمر
حرام على هاماتها في الوغى الفر
وما بين قصب الدوح يتسم الزهر
طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
واحيتى لم يبق عين ولا أثر
وانشرت ميتا ضم أشلاء قبر
بأهل، فجل اللطف وانشرح الصدر
يقل عليها منى الحمد والشكر
الى أن يعود الجاه والعز والوفر
يفك بها عان وينعش مضطرب
فهيئات يحصى الرمل ويحصر القطر
ومن بذل المجهود حق له العذر

وأسد رجال من مزين أعززة
عليها من المأذى كل مفاضة
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة
اذا سئلوا أعطوا، وان نوزعوا سطوا،
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كانهم
وان سمعوا العوراء فروا بأنفس
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم
أمولاي غاضت فكرتى وتبلدت
ولولا حنان منك داركتى به
فأوجدت منى فائتا أى فائت
بدأت بفضل لم اكن لعظيمه
وطوقتى النعمى المضاعفة التى
وأنت بتسميم الصنائع كافل
جزاك الذى أسنى مقامك رحمة
اذا نحن أنينا عليك بمدحة
ولكننا ناتى بما نستطيعه

ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى منزله المعد له وقد فرشت
القصور، وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة، وبعث اليه بالكسا الفاخرة،
وربت الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه
رسم سلطانه فى الراكب والراجل، ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة أدبا مع
السلطان، واستقر فى جملة الى ان لحق بعد بالاندلس، وعاد له ملكه سنة
ثلاث وستين وسبعمائة، وأرغد السلطان أبو سالم عيش ابن الخطيب، وأفاض
عليه الجرايات، ورتب له الاقطاعات، غير انه كان مضرا لمفارقة السلطان
والتخلى عن خدمته والانفراد بنفسه لاغتنام ما بقى من عمره فى طاعة الله تعالى،
فكان من أمره فى ذلك ما نذكره.



سفر ابن الخطيب الى مراکش وأعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها والسبب في ذلك



كان ابن الخطيب رحمه الله عندما حصلت له هذه النكبة وخلصه الله منها بانتقاله الى بلاد العدو قد عن له رأى في التزهّد والانقطاع الى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود نفعه في العاجل والآجل ورفض السلطان واسبابه ، وترك ما يلجئه للوقوف ببابه ، فتلطف في استئذان السلطان أبي سالم رحمه الله وطلب منه الاذن في الذهاب الى جهات مراکش والوقوف على اثار الاقدمين بها والتطارح على اوليائها والمثول بأعتابها والتعلق بأذيالها والتمسك بأسبابها ، جاعلا ذلك مفتاح العزلة والتخلي عن الدولة فأذن له وكتب الى العمال باتحافه والاعتناء به ، فتباروا في ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الاتي ، وجعل طريقه على مدينة سلا فتأمل أحوالها وراها أوفق لمراذه في العزلة ، فأضمر الاستيطان بها عند عوده من وجهته . ولما دخل مدينة أنفى - وهي الدار البيضاء - مر بها على دار عظيمة تنسب الى والي جاييتها عبو من بنى الترجمان قارون قومه وغنى صنفه ، وكان قد هلك قبل ذلك فقال ابن الخطيب :

« قد مررنا بدار عبو الوالى وهى تكلى تشكو صروف الليالى

أقصدت ربها الحوادث لما رشقته بصائبات النبال

كان بالامس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من والى »

واظنه في هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطى ونص ما خاطبه به :

« ساحات دارك للضياف مبارك وبضوء نار قراك يهدى السالك

ونوالك المبذول قد شمل الورى طرا وفضلك ليس فيه مشارك

قل للذى قال الوجود قد انطوى والبأس ليس له حسام فاتك

والجود ليس له غمام هاطل والمجد ليس له همام باتك

جمع الشجاعة والرجاحة والندى والبأس والرأى الاصيل مبارك

للدن والدنيا وللشيم العسلا
عند الهياج ربيعة بن مكرم
ورث الجلالة عن ابيه وجده
فجياهه للاملين مراكب
فاذا المعالي أصبحت مملوكة
يا فارس العرب الذى من يته
يا من يبشر باسمه قصاده
أنت الذى امتأرت فيك بغبطتى
لا زلت نورا يهتدى بضائه
ويخص مجدك من سلامى عاطر

والجود ان شح الغمام السافك
والفضل والتقوى الفضيل ومالك
فكأنهم ما غاب منهم هالك
وخيامه للقاصدين أرائك
أعناقها بالحق فهو المالك
حرم لها حج به ومناسك
فلهم اليه مسارب ومسالك
وسواك فيه مآخذ ومتارك
من جنه للروع ليل حالك
كالمسك صاك به الغوالى صائك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا ، وجعلك للعرب اميرا ، وجعل
اسمك فالأ ، ووجهك جمالا ، وقربك جاها ومالا ، وآل رسول الله صلى الله
عليه وسلم آلا ، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها ، وقطب ساداتها
وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضل
المتصف بها ولا يشقى ، اذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف
أشباعه ، مأنا للخائف ، على كثرة المذاهب والطوائف ، وصرف اللسنة الى
مدحك والخلود الى حبك ، وما ذلك الا لسريرة لك عند ربك ، ولقد كنت ايام
تجمعنى واياك المجالس السلطانية على معرفتك متهاككا ، وطوع الامل سالكا ،
لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياء ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكاه
الاصول وكرم الاباء وكان والدى رحمه الله قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما
توجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تانيسه عن مخدومه ، ومنوها حيث حل
بقدمه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والرسائل المختلفة ، فعظم
لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجنب الذى حلولة شرف
وفخر ، ومعرفته كنز وذخر ، فلما ظهر الان لمحل الاخ القائد فلان اللحاق بك
والتعلق بسبيك ، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى يسر
فى البعض ، عند تقرير الامر وهذنة الارض ، وهذا الفاضل بركة حيث حل

لكونه من بيت اصالة وجهاد ، وما جدا وابن أمجاد ، ومثلك لا يوصى بحسن
جواره ، ولا ينسب على اثاره ، وقبيلك من العرب فى الحديث والقديم ، وهو الذى
أوجب لها مزية التقديم ، لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخى يرفع ، ولا
قصر يبنى ، ولا غرس يبنى انما فخرها عدو يغلب وثناء يجلب وجزر
تنحر وحديث يذكر وجود على الفاقة وسماحة بحسب الطاقة فلقد
ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلك الخيل العرب
وكل الذى فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى
وتصقل ولله در الشاعر اذ يقول :

انما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى
هذه مقدمة ان يسر الله بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما فى الضمير
ومدحى على الاملاك وقف وانما رايتك منها فامتدحت على وسمى
وما كنت بالمهدى لغيرك مدحى ولو انه قد حل فى مفرق النجم
وقال فى الشيخ ابن بطان الصنهاجى : صنهاجة آزمور :

« لله درك يا ابن بطان فما لشهير جودك فى البسيطة جاحد
ان كان فى الدنيا كريم واحد يزن الجميع فانت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرا يحيى به ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا فى مفرد ولد كما شاء العلاء ووالسد
وهى اللبالي لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد »
وقال رحمه الله عند ما توسط بسيط تامسنا :

« كأننا بتا مسنا نجوس خلالها وممدودها فى سيرنا ليس يقصر
مراكب فى البحر المحيط تخبطت ولا جهة تدرى ولا البر يبصر
وقال رحمه الله يخاطب ابا العباس أحمد بن يوسف حفيد المولى الصالح
سيدي ابي محمد صالح التائم فى ظل صيته رضى الله عنه :

« يا حفيد المولى يا وارث الفخى ر الذى نال فى مقام وحال
لك يا أحمد بن يوسف جنبا كل قطر يعيى أكف الرحال »

وقال في نفاضة الجراب : لما خرجت من آسفى سرت الى منزل ينسب الى
أبى حدو وفيه رجل من بنى المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف وأجزل وآنس
فى الليل وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفة فكبت له :

نزلنا عى يعقوب نجل أبى حدو فعرفنا الفضل الذى ماله حد
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى فلم يبق لحم لم تنله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد «
وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زحفت الى ركائب البرغوث نم الظلام بركبها المحثوث
بالحبة السوداء قابل مقدمى لله أى قرى أعد خيـث
كسحت بهن ذباب سرح تجلدى ليلا فجل الصبر جد رثيث
ان صابرت نفسى اذاه تعبدت أوصحت منه أنفت من تحنيش
جيشان من ليل وبرغوث فهل جيش الصباح لصرختى بمغيث
وقال رحمه الله وقد أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى :

« ما ذا أحدث عن بحر سبحت به من البحار فلا اثم ولا حرج
دعاه مبتدع الاشياء مستويا ما ان به درك كلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا صحت ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلة والشاهد العدل هذا الطيب والارج
ولما وقف على مصانع مراکش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار اليه حالها
بعد الموحدين قال :

بلد قد غزاه صرف الليالى وأباح المصون منه مبيع
فالذى خر من بناء قتيل والذى خر منه بعض جريح
وكأن الذى يزور طيب قد تأتى له بها التشريح
أعجمت منه أربع ورسوم كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغانى وجمال أخفاء ذاك الضريح
وملوك تعبدا الدهر لما أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى نال ما شاء ذابل وصفيح

حين شبت لهم من البأس نار ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما طال بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف بقي جسد بعد ما تولى الروح «
ومما قاله في الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه على لسان سلطانه الغنى بالله وهو يومئذ بفاس :

« يا ولي الاله أنت جواد وقصدنا الى حماك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا نرتجي من علاك حسن الصنيع
فمددنا لك الاكف نرجي عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تترك الزا كي وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافي برضى عاجل وخير سريع «
وقال يخاطب عميد البلاد المراكشية ، المتميز بالرأى والسياسة والهمة
وافاضة العدل وكف اليد والتجافي عن مال الجباية عامر بن محمد بن علي
الهناتى :

تقول الى الاطمان والشوق في الحشا له الحكم يمضى بين ناه وآمر
اذا جبل التوحيد اصبحت فارعا فخيم قرير العين في دار عامر
وزر تربة المعلوم ان مزارها هو الحج يسعى نحوه كل ضامر
ستلقى بمشوى عامر بن محمد تغور الامانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الامثال في الدهر منكما بخير مزور أو باغبط زائر
لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال ، واسعاف الآمال ، ومساعدة
الايام والليال ، اذ الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر سميع مطيع ،
الا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ، ويواصل أمنه بين النوم
والاجفان ، وأن أرى الأفق الذى طلعت منه الهداية ، وكانت اليه العودة ومنه
البداية ، فلما حم الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع ، وأصبحت
ديار الاندلس وهى البلاقع ، وحسنت من استدعائك اياى المواقع ، وقوى العزم
وان لم يكن ضعيفا ، وعرضت على نفسى السفر بسبك فالفيته خفيفا ، والتمست
(الاستقصا - اربع - 2)

الاذن حتى لا نرى فى قبلة السداد تحريفا ، واستقبلتك بصدر مشروح ،
وزند للعزم مقدوح ، والله سبحانه وتعالى يحقق السؤل ، ويسهل بمثوى الامائل
المثول ، ويهيىء من قبيل هنتاة القبول ، بفضله « انتهى » .

ولما ذهب الى عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذى توفى به
السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وقد ألم بذكر ذلك فى « نفاضة الجراب » اذ قال : وشاهدت
بجبل هنتاة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله
حيث أصابه طارق الاجل الذى فصل الخطه ، وأصمت الدعوة ورفع المنازعة ،
وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفروشا بالحصباء ، مقصودا بالابتهاال
والدعاء فلم أبرح يوم زيارته أن قلت :

ياحسنها من اربع وديار	أضحت لباغى الامن دار قرار
بجبال عز لاتدل انوفها	الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد واس خلافة	آثارها تبى عن الاخبار
ماكنت أحسب أن انهار الندى	تجرى بها فى جملة الانهار
ما كنت أحسب ان انوار الحجا	تلتاح فى قنن وفى احجار
مجت جوانبها البرود وان تكن	سبت بها الاعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها	فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدا على المجد العدا	رضيت بيعث النار لا بالعار
عمرت بحلة عامر واعزها	عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى	والباس فى طلق وفى مضار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما	محض الوفاء ورفع المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة	بالاصل فى ورق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاة	فى جوها بمطالع الاقمار
لله أى قبيلة تركت لها الـ	نظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت امير المسلمين وملكه	قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عند ما عظم الردى	والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهام واصبح الا	بطل بين تقاعد وفار

كفرت صنائعه فيم دارها
 واقام بين ظهورها لا يتقى
 فكانها الانصار لما أن سمت
 لما غدا لحظا وهم أجفانه
 حتى دعاه الله بين بيوتهم
 لو كان يمنع من قضاء الله ما
 قد كان يأمل ان يكافئ بعض ما
 ما كان يقنعه لو امتد المدي
 فيعيد ذاك الماء ذائب فضة
 حتى تفوز على النوى او طانها
 حتى يلوح على وجوه وجوههم
 ويسوغ الامل القصي كرامها
 ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجا
 أو ان يتوج أو يقلد ها مها
 حق على المولى ابنه اثار ما
 فلملها زخر الجزاء ، ومثله
 وهو الذي يقضى الديون وبره
 حتى تحج محللة رفعوا بها
 فيصير منها البيت بيتا ثانيا
 تغنى قلوب القوم عن هدى به
 حيث من دار تكفل سعيها الـ
 وضفت عليك من الاله غايه

مستظها منها بعز جوار
 وقع الردى وقد ارتمى بشرار
 فيما تقدم غربة المختار
 نابت شفاهم عن الاشفار
 فأجاب ممثلا لامر البـارى
 خلصت اليه نوافذ الاقدار
 أولوه لولا قاطع الاعمار
 الا القيام بحقها من دار
 ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
 من ملكه بجلائل الاوطار
 أثر العناية ساطع الانوار
 من غير ما ثنيا ولا استعصار
 عن درهم فيهم ولا دينار
 ونحورها بأهله ودرارى
 بذلوه من نصر ومن اثار
 من لا يضع صنائع الاحرار
 يرضيه فى علن وفى اسرار
 علم الوفاء لاعين النظار
 للظانفين اليه أى بدار
 ودموعهم تكفى لرمى جمار
 محمود بالزلفى وعقبى الدار
 ما كر ليل فيك اثر نهار ،

ويعنى بالمولى ابنه : السلطان أبا سالم بن أبى الحسن . ثم سار ابن الخطيب الى
 أغمات فزار مشاهدها وشاهد معاهدها فحكى عن نفسه رحمه الله قال : « وقفت
 على قبر المعتمد بن عباد فى مدينة اغمات فى حركة اعملتها الى الجهات المراكشية
 باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار سنة احدى وستين وسبعمائة ، وهو

بمقبرة أغمات فى نسر من الارض ، وقد حفت به سدره ، والى جنبه قبر اعتماد
حظيته مولاة رميك ، وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك . فلم
تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت فى الحال :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أئدى الملوك يدا ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه الى حياتى لجادت فيه أبيات
أناف قبرك من غضب يميزه فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا فأنت سلطان أحياء وأموات
مارى مثلك فى ماض ، ومعتدى ألا يرى الدهر فى حال ولا آت

ولما انكفأ ابن الخطيب رحمه الله راجعا من سفرته هذه وانتهى الى سلا
أقام بها منتبذا عن سلطانه ، رافضا للملك وأسبابه طول مقامه بالمغرب على
ما تذكره ان شاء الله .



بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله



قد قدمنا ان ابن الخطيب كان قد عزم على التخلي عن الدنيا والانقطاع الى
الله تعالى ، وانه اختار أن يكون مقامه بسلا لكونها يومئذ أعون له على مراده من
غيرها حسبما يؤخذ ذلك من مواضع من كلامه ، من ذلك انه لما وصف أمصار
الاندلس والمغرب فى مقاماته المشهورة ، وصف مدينة سلا بقوله : « العقيلة
المفضلة ، والبطيحة المخضلة ، والقاعدة المؤصلة ، والسورة المفصلة ، ذات
الوسامة والنضارة ، والجامعة بين البداوة والحضارة ، معدن القطن والكتان ،
والمدرسة والمارستان ، والزاوية كأنها البستان ، والوادي المتعدد الأجاف ، القطر
الأمين عند الرجفان ، والعصير العظيم الشأن ، والاسواق السارة حتى برقيق الحبشان
اكتنفها المسرح ، والخصب الذى لا يبرح ، والبحر الذى يأسو ويجرح ، وشقتها
الوادي الذى يتمم محاسنها ويشرح ، وقابلها الرباط ، الذى ظهر به من المنصور

الاعتباط ، حيث القصبة والسباط ، ثم يقع الانحطاط الى شالة مرعى الدم
وتتبعه الهمم ، ومشمخ الانوف ذوات الشمم ، وعنوان الرمم ، حيث الحسنات
المكتبة ، والاقواف المرتبة ، والقباب كالأزهار ، مجودة بذكر الله أثناء الليل
وأطراف النهار ، وطلل حسان المثل فى الاشتهار ، وهى على الجملة من غيرها
أوفق ، ومغارمها لاحترام الملوك الكرام أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب فى
الانتظام ، معدودة فى المواقف العظام ، ويتأتى بها للعباد الخلوة ، وتوجد عندها
للهموم السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حيث السير فيمن فى القلا فلا خاطرى لما نأى وانجلا انجلا
ولا نسخت كرى بقلبي سلوة فلما سرى فيه نسيم سلا ، سلا
وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالتفضل حريا ، يبرز عدد قطر الديم ،
ويباع ببخس القيم ، ويعم المجاشر النائية والخيم ، اه .

وما قاله فى حق سلا من كونها تتأتى بها للعباد الخلوة ، هو كذلك معروف
عند صلحاء المغرب وعباده من لدن قديم ، ولذا لما قدم أبو العباس ابن عاشر
رضى الله عنه من الاندلس ، وتقل فى بلاد المغرب مثل فاس ومكناسة ، لم يطب
له القرار الا بسلا ، وقد صرح رضى الله عنه بذلك حيث قال :

سلا كل قلب غير قلبى ما سلا أيسلو بفاس والاحبة فى سلا
بها خيموا فالقلب خيم عندهم فاجروا دموى مرسلا ومسلسلا
ولما ذكر أبو العباس الصومعى رحمه الله فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ
أبى يعزى رضى الله عنه استحباب زيارة الاولياء قال ما نصه : « ولا سيما فى
مشاهد الاخيار اذا اجتمعوا فى مكان من الامكنة المشرفة كما كانوا يجتمعون
قبل هذا برباط شاكر ، وبساحل دكالة ، وبسلا ، وبجبل العلم ، وعند الشيخ
أبى يعزى فى أيام الربيع وغير ذلك » اه .

وأقول على ذكر سلا : فقد كتب الى ، وأنا بمراكش حرسها الله ، الاخ فى الله
الفقيه الاديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطى أصلا المراكشى
دارا ، بطاقة يقول فيها ما نصه : « الحمد لله وحده . السيد الاخ ، الذى ثوب اخائه
ما تنسخ ، الفقيه العلامة ، اللابس من أسلحة العلوم الدرع واللامه ، أبسا

العباس السيد أحمد الناصري سلام عليك سلاما ذكي العرف رائج الصرف ،
وبعد فقد اشتقنا الى لذيذ مذاكرتكم ، وحلو فكاختكم ، والا آن نحب من السيادة
أن تشرفونا بنقل قدمكم وتكرمونا بطلعتكم السعيدة ، بكرة غد ان شاء الله وعلى
المنحة والسلام فى فاتح رجب الفرد سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ،
والحق بأسفلها ما نصه :

سلا البحر ما بحر بنيت بشطه كبحر علوم فيك أنشئ صانعا
فهذا هو الفيض بالعلم والتقى وذاك هو الفيض بالماء مانحا

ولم ندر هل البيتان له أو تمثل بهما ، وعلى كل حال فما قاله حفظه الله انما
حمله عليه حسن نيته وصفاء طويته وأما المكتوب اليه بهما فلا والله لا علم ولا
تقى ، الا أن يتغمدا الله برحمته ، ثم أنى أجبت به بشر تركته للاختصار ووصلته
بأبيات أقول فيها ما نصه :

بعثت أبا عبد الاله مدائحنا هو الدر حسنا والشذور لواثنا
فنبهت فكرا طالما بات نائما وروض ذهنا طالما ظل جامحا
وشيدت من ذكرى وقد كان خاملا وهيجت من قلبى الشجى القرائنا
وطوقتني النعمى بتقريضك الذى به ظل مجدى للنجوم مصافحا
والا فما قدرى وان جد جده وما قيمتى لو لم تكن لى مادحا
فانت أديب العصر حقا ومن غدا لعمرى لا بواب المعارف فاتحا
فخذ من أخيك العى واستر عيوبه وسامح فظنى أن تكون مسامحا
فوصفك يعنى كل أشدق بارع ولو ظل فى بحر البلاغة سابحا
فلقيت من ذى العرش كل كرامة ووقيت من هذا الزمان الطوائحا
ولا زال هذا الدهر طوعك خادما علاك وطرف السعد نحوك طامحا

ومما مدح به سلا وأهلها قول الامام العلامة الهمام أبى على الحسن بن
مسعود اليوسى رضى الله عنه :

مرسى سلا مأوى الشمم
والمجد عن طول الامم

بلد بحسبك منظر منه ومخبره أتم
 مسرى الهموم ومسرح الابصار مسلاة الغم
 مترفلا فى حلة من حسنه جنب العلم
 كالحرة الحسناء فى كف الهمام المحترم
 وتراه من جناته متلائلا بين الاجم
 كالدر بين زمرد فى قرط مارية انتظم
 وكوجه خود حفه السوالف فى دلم
 وكفرة فى أدهم والصبح فى جنح الاحم
 والثغر من زنجية ترنو اليه وقد بسم
 والبدر ما بين الدجا والشيب فى سود اللم
 يعلو فوق جنبه علم تدلى من أمم
 فكأنه تاج اللجين على جينى ذى عظم
 أو كالكبير مزملا أودى بنهضة الهرم
 فى رأسه صلح وفيما تحت جبهته غم
 أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرثم
 يكفيك منه هواؤه لا خبث فيه ولا وخم
 عجبا صحيح والهوى أبدا عليل ذو سقم
 وزلاله العذب الذى يشفى الفؤاد من الضرم
 حاكى العقار وفاقها بصفاء لون الشيم
 أبناء مجد فى الالى كانوا يراعون الذمم
 من نبلهم دون العويص ونبلهم خلف الحرم
 ونفيسهم فقع الفلا ونفوسهم بيض الرخم
 من كل أبيض وجهه تجلى به سدف الظلم
 فى الخطب بدر لامع ولدى الندى بحر خضم
 وأحبة كانوا لنا كالماء بالراح التأم
 لم يعد بين بيتنا ولو الفراق بنا ألم

البن بين جسوننا لا بين أنفسنا يحم
والعهد جبل ما انفصاعه الوداد ولا انفصم
والصدق نهج قد علا في كل أوجه علم
والبر مرعاه قرى من فيه للحسنى قـرم
والنفس أرض قد كرا المعين ذوو الكرم
والدين روض قد رعى فيه من العقبى رعم
والعلم ورد ما حلا الا لمن نزع الحلم
والسر برق ما أضا الا لمن غسل الاضم
والدهر دولاب شما فيه سوى أهل الشمم
من ذاق مورده الصرى يوما فللدنيا صرم
ولنرجع الى بقية أخبار ابن الخطيب .

ولما استقر بسلا واطمأن جنبه بها قال :

يا أهل هذا القطر ساعده القطر بليت فدلوني لمن يرفع الامر
تساغت بالدنيا ونمت مفرطاً وفي شغلى أونومتى سرق العمر
ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه حتى ظفر به فعظم
سروره بذلك وتبجح به اذقال فى «نفاضة الجراب» : «ولقيت من أولياء الله تعالى
بسلا الولى الزاهد الكبير ، المنقطع القرين ، فرارا عن زهرة الدنيا وعزوفاً عنها،
واغراقاً فى الورع وشهرة بالكشف، واجابة الدعوة وظهور الكرامات: أبا العباس
ابن عاشر، يسر الله تعالى لقاءه، على تعذره، لصعوبة تأتیه وكثافة هيئته ، قاعداً
بين القبور فى الخلاء، رث الهيئة مطرق اللحظ ، كثير الصمت مفرط الانقباض
والعزلة قد ضره أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشتراز من قاصده ،
مجرمز للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به » اه كلامه فى «النفاضة» وقال رحمه
الله من قصيدته العينية السلاوية التى وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله
وولده :

بولى الله فابدأ وأبتدر واحد الاحاد فى باب الورع
ومراده بولى الله ابن عاشر المذكور .

ثم ان ابن الخطيب بعد رجوعه من مراكش جعل ينتاب رباط شالة مدفن
الملك من بنى مرين ، ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله للدعاء وقراءة
القرآن بها وتعاهداها ، وقد كتب بذلك الى السلطان أبى سالم وطلب منه أن يشفع
له عند أهل الاندلس في رد متاعه الذى ألتفوه عليه أيام النكبة ، ونص الكتاب :
«مولاي، المرجو لانتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر ، أبقاكم الله تعالى
تضرب بكم الامثال فى البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة ، مقبل موطنى»
قدّمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ، ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة
وقد حظ رحل الرجاء فى القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحدالمولى
أبيكم ساعة اياه من الوجهة المباركة ، وزيارة الربط المقصودة ، والترب المعظمة ،
وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله
من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ،
ثم عليكم ، والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم ، لا يجر انفاذ مال ولا اقتحام
خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر واطابة ذكر وأجر
وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما
يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب
وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدى الخطيب ،
يعنى ابن مرزوق ، سنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم : «أنت
يا فلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من
البشر والقبول والانعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين » وقد تقدم
تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما
أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الان يعرض عليكم الجواب
وهو : أنى لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملاء الكبير ، والجم الفقير ، أكبت
على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذننى نحو قبره وجعل فؤادى يتلقى
ما يوحيه اليه لسان حاله ، فكأننى به يقول لى : « قل لمولاك يا ولدى وقرّة عينى
المخصوص برضاى وبرى وستر حريمى ورد ملكى ، وصان أهلى وأكرم
صنائعى ، ووصل عملى ، أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك ،

الدنيا دار غرور (والآخرة خير لمن اتقى) ، (وما الناس الا هالك وابن هالك) ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فذكر وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري وتهمم بي ، وسبق الناس الى رثائي ، وأنشدني ومجدني وبكى لى ودعا لى وهذاني بمصير أمرى اليك ، وعفر وجهه فى تربتى ، وأملنى لما انقطعت منى آمال الناس فلو كنت يا ولدى حيا لما وسعنى أن أعمل معه الا ما يليق بى ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحقرن العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك ، وأحلتة يا حبيب قلبى عليك ، وقد أخبرنى انه سلب المال كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عدم نشاطه أثر السن ، وأمل ان ينقطع بجوارى ويستتر بدخلى وخدمتى ، ويرد عليه حقه بخدمتى ووجهى ، ووجوه من ضاجعنى من سلفى ، وبعد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت الى استخدامه فى الحياة حسبا يعلمه حبينا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله ابن مرزوق فأسأله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد الممات الى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التى وسعت كل شىء ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم باباك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت كتابك وقد استقر باباك قراره ، وتعين بامرك مرتبه ودثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتى منك وحاجتى اليك ، واعلم أن هذا الحديث لا بد أن يذكر ويتحدث فى الدنيا ، وبين أيدي الملوك والكبراء فاعمل ما يبقى لك فخره ويتخلد ذكره وقد أقام مجاورا ضريحي تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا ما يصله منك ويقرأه على من السعى فى خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله ، يا ابراهيم اعمل ما يسمع عنى وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . اه والعبد بامولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ولتعلموا وتحققوا أنني لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الاموال وسفكت الدماء ، وأخذت خسائف الملوك الاعزة ممن وراء النهر من التار ، وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنتهم الله تعالى منى من غير عهد ،

بعد ان بلغهم تدمسى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحد منهم ، من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التى لا يغفلها الكبار للكبار ، الا الجود الذى لا يتعبه البخل ، والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة ، فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى وعلا بموالاكم ، فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم ، وقدر سلفكم لا سيما مولاي والدكم الذى أتوسل به اليكم واليهم ، فقد كان يتبنى مولاي أبا الحجاج ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمه بامواله ، ثم صير الله تعالى ملكه اليكم ، وأتم من أتم ذاتا وقبيلا ، فقد قرت يامولاي عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ، ولا شك عند انكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضت عن ذلك الوطن الاندلسى استولت عليه يد عدوه ، وقد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلقى بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضعها أهل الاندلس ، وما توسل اليهم قط بها الا الان وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملى منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة فى رد ما أخذ لى ، ويخبر بمشواى متراميا على قبر والدكم ، وبقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامى من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلى الا حفظ الوجه مع هذا القبيل ، وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأتیان العذر عن هذا فى كل ملة ونحلة ، واذا تم هذا الغرض ، ولا شك فى اتمامه بالله تعالى ، تقع صدقتكم على القبر الكريم بى ، وتعينونى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدته ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به ، الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا مستديعا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتى بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتى ، وقد ساومت فى شىء من ذلك منتظرا ثمنه مما يباع

بالاندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا ، أو يتوقع فيه
وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا
لوالدكم مما لا يسع مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أترقب جوابكم
بما لى عندكم من القبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب وخروج الرسول ،
لاقتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاى على ما يليق به والسلام وكتب
فى الحادى عشر من رجب سنة احدى وستين وسبعمائة « وفى مدرج الكتاب
بعد نشر هذه القصيدة :

فابذل من البر المقدر فيكا	مولاي ها أنا فى جوار أيكسا
والله يسمعك الذى يرضيك	أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى
تهدى إليك النصر أو تهديكا	واجعل رضا اذا نهدت كنيّة
وتطالع الفتح المبين وشيك	واجبر بجبرى قلبه تل المنا
وأبيه فاشرع شرعه لبنيك	فهو الذى سن البرور بأمه
وبما تؤمل نيله يأتيك	وابعث رسولك منذرا ومحذرا
وأخاف مملوكا به ومليكا	قد هز عزمك كل قطر نازح
فقصونه ثمر المنا تجنيك	فاذا سموت الى مرام شاسع
لما جعلتك فى الثواب شريك	ضمنت رجال الله منك مطالبى
ورعيتها بركاتها تكفيك	فلئن كفيت وجوهها فى مقصدى
أملا فربك ما أردت يريك	واذا قضيت حوائجى وأريتنى
برهانه لا يقبل التشكيك	واشدد على قولى يدا فهو الذى
انى ومهجتى التى تفديك	مولاي ما استأثرت عنك بمهجتى
يضى على العز فى ناديك	لكن رأيت جناب شالة مغنما
باق اذا استجزته يجزيك	وفروض حقل لا تفوت فوقتها
أبت المكارم أن يكون أفيك	ووعدتى وتكرر الوعد الذى
من كل محذور الطريق يقيك	أضفى عليك الله ستر غايّة
فالله جل جلاله يقيك	ببقائك الدنيا تحاط وأهلها
	وقال أيضا فى الغرض المذكور :

عن باب والدك الرضى لا أبرح
ضربت خيامى فى حماه فصيتى
حتى يراعى وجهه فى وجهتى
أيسوغ عن مثواه سيرى خائباً
أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى
فى مثلها سيف الحمية ينتضى
وعسى الذى بدأ الجميل يعيده

يأسو الزمان لاجل دا أو يجرح
تجنى الحميم به وبهمى تشرح
بغاية تشفى الصدور وتشرح
ومناير الدنيا بذكرك تصدح
يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
فى مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذى سد المذاهب يفتح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته : « من عبد الله المستعين
بالله ، ابراهيم أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير
المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين
المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى
سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره
الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الاوجه الانوه الصدر الاحفل
المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الاجل الاعز الاسنى
الوزير الارفع الانجد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبى محمد بن المخطيب
وصل الله عزته ووالى رفعت ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمد
الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى الكريم ،
والرضا على آله وصحبه أعلام الاسلام ، وأئمة الرشد والهدى وصلة الدعاء
لهذا الامر العلى العزيز المنصور المستعنى بالنصر الاعز والفتح الاسنى ،
فانا كبناه اليكم كتب الله تعالى لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل ، من منزلنا
الاسعد بصفة وادى ملوية يمنه الله ، وصنع الله جميل ومنه جزيل ، والحمد لله ،
ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعى الوسائل ، ذلكم بما
تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العلوى جدد الله تعالى عليه ملابس
غفراته ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم لنا من التقرب لدينا بخدمة
نراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حرمة السامية المظاهر ، والى هذا وصل الله
حظوتكم ووالى رفعتكم ، فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل

بالاسعاف المستعذب وردده، فوقفنا على ما نصه، واستوفينا ما شرحه وقصه، فاثرتنا حسن تلطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا، وفى الحين عينا لكمال مطلبكم وتمام مأربكم والتوجه بخطابنا فى حقكم والاعتماد بوقفكم خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت، وأبا زكرياء ابن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهما، وأمس تاريخه انفصلا مودعين الى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه، وشرح العمل الذى يوفيه، فكونوا على علم من ذلكم، وابسطوا له جملة آمالكم، وانا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم وبره اعتلالكم، والله سبحانه يصل مبرتكم، ويتولى تكرمكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب فى الرابع والعشرين من رجب سنة احدى وستين، فراجع ابن الخطيب بما نصه: «مولاى خليفة الله بحق، وكبير ملوك الارض عن حجة، ومعدن الشفقة والحكمة ببرهان وحكمة، أبقاكم الله تعالى على الدرجة فى المنعمين، وافرى الحظ عند جزاء المحسنين، وأراكم ثمرة بر أيبكم فى البنين، وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد، وأذاق العذاب الاليم من أراد فى مثابكم بالحد، عبدكم الذى ملككم رقه، وآوتم غربته، وسترتم أهله وولده، وأسنتم رزقه، وجبرتم قلبه، يقبل موسىء الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارغة هضبة العز المعملة الخطوة فى مجال السعدومسير الحظ. ابن الخطيب من شالة التى تأكد بملككم الرضى احترامها، وتجدد برعتكم عهدا، واستبشر بملككم دفينها، وأشرق بحسناتكم نورها، وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم، المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل، والقدر الرفيع، والهمة السامية، والعزة القعساء من رعى الدخيل، والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم، فتاب الرجاء وانبعث الامل، وقوى العز وزار اللطف، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين، المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجدانهم، ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين، الذى تسبب فى وجودكم واختصكم بحبه، وغمركم بلطفه وحنانه، وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا، وهياتكم دعواته بالاستقامة

الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفى علومكم المقدسة ما
تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار
رئيس منهم ، وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكست
الاموال ، وقصارى من امتعض اذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب
تأسنا فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فىمن
لجأ أولا الى حماكم بالاehl والولد، عن حسنة تبرعتم بها، وصدقة حملتكم الحرية على
بذلها، ثم فىمن حظ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم داعم العين ،
خافق القلب ، واهى الفرعة ، يغطي بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأننى
تراميت عليهم فى الحياة، أمام الذعر يذهل العقل ، ويحجب عن التميز بقصر
داره ومضجع رقاده، ما من يوم الا وأجهر بعد التلاوة: ياليعقوب، يالمرين ،
نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ، ويستعملنى ما
بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب الكريم نهضت
الى القبر المقدس ، ووضعت بازائه وقلت : يامولاي يا كبير الملوك، وخليفة الله
وبركة بنى مرين صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك
المرامى بين يدى قبرك ، المتوسل الى الله ثم ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله
من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك ، والتقرب الى الله برعيك ،
والاشتغال فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من أتتم من اذا صنع صنعة
كملها ، واذا من منة تممها ، واذا أسدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا
ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك ، حتى يتم أملى
ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مأمنك قلبى، ثم قلت للطلبة أيها
انسادة بنيى وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التأليف بهذا
الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمنوا على دعائى باخلاص من قلوبكم ،
واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضعه ، وخاطب
العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته ومسرورا بقبوله ، وشأنه من التعلق
والتطarach شأنه ، حتى يكمل القصد ، ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها
ودعاء يردده والله المستعان ، اه

ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم الى أهل الاندلس أعظموا وسيلته ، وقبلوا شفاعته ، وردوا الى ابن الخطيب ما تأتي رده مما كان ضاع له وأتلف عليه ، واستمر مقيما بسلا سنتين وزيادة ، ثم استدعاه سلطانه الغني بالله الى الاندلس بعد رجوعه اليها واحتوائه على ملكها ، فأجاب حياء لا رغبة ، ومكرها لا بطلا ، الى أن كان ما تذكره من شأنه بعد ذلك ان شاء الله ، ونوادره بسلا وما جرياته كيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .



انتقاض الحسن بن عمر الفودودي وخروجه بتادلا

ثم مقتله عقب ذلك



قد قدمنا أن السلطان أبا سالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد للحسن بن عمر على مراکش ، ووجهه اليها تخففا منه وريية بمكانه من الدولة فاستقر بها وتأنث له بها رياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده حتى تنكر له وأظلم الجو بينهما وأحس الحسن بن عمر بذلك فخشى على نفسه ، وخرج من مراکش في صفر سنة احدى وستين وسبعمائة فلحق بتادلا منحرفا عن السلطان ومرتبكا للخلاف ، فتلقيه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه واعصو صبوا عليه ، فشرح اليه السلطان أبو سالم وزيره الحسن بن يوسف الورتاجني فاحتل بتادلا ، وانشمر الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبير بنى جابر الحسن بن علي الورديني ، فأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخفيهم ، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكة في الثورة بهم ، وسرب اليهم المال فناروا بهم وانفض جمعهم ، وتقبضوا على الحسن بن عمر وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله ، وانكفأ راجعا به الى الحضرة فدخلها في يوم مشهود استركب السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد ، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع ، ولما قرب من مجلس السلطان أوما الى تقييل الارض من فوق جملة ، ثم ركب السلطان الى قصره ، وانفض الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا

عبرة لمن اعتبر .

ولما دخل السلطان قصره ، جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه ، وأحضر ابن عمر فويخه ، وقرر عليه ذنوبه ، فتلوى بالمعاذير وفزع الى الانكار . قال ابن خلدون : « وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة » . ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ، ونفت لحيته وضرب بالعصى ، ونل الى مجبسه ثم قتل بعد ليال قعصا بالرماح خارج البلد ونصب شلوه بباب المحروق رحمه الله تعالى .



نهوض السلطان أبي سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها



لما استوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج منه سمت همته الى تملك تلمسان كما كان لابي وأخيه من قبل ، وأكد عزمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد الى عاملهم على درعة اليها فأجمع السلطان أبو سالم النهوض اليها ، وعسكر بظاهر فاس الجديد منتصف سنة احدى وستين وسبعمائة ، ولما توافقت لديه الحشود ، وتكاملت بسدته الجنود ، ارتحل الى تلمسان واتصل خبر نهوضه بسلطانها أبي حمو ، ابن يوسف الزياني ، ووزيره عبد الله ابن مسلم الزرد الى فنادوا في العرب من بني عامر بن زغبة وبني معقل فأجابوهم كافة الا شرذمة قليلة من الاحلاف ، ثم خرج أبو حمو وشيعته عن تلمسان الى الصحراء والتفت عليه العرب بحلها .

ولما دخل السلطان أبو سالم تلمسان واستولى عليها خالفه أبو حمو في عربه الى المغرب فزولوا آكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زروعها وانتسفوا بركتها وخربوا عمرانها ، وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من افسادهم فأهمه أمر المغرب ، وكان في جملة من بنى زيان محمد بن عثمان ابن السلطان (الاستقصا - راجع - 3)

أبى تاشفين، ويكنى: أبا زيان، فعقد له على تلمسان، وأعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة وبنى توجين، ودفع لهم أعطياتهم، وانكفأ راجعاً إلى فاس، فأجفل أبو حمو والعرب أمامه، ثم خالفوه إلى تلمسان فطردوا عنها أبا زيان واستولوا عليها، وثبت قدم أبى حمو بها، وعاد أبو زيان إلى المغرب لاحقاً بالسلطان أبى سالم قبله، وعقد المهادنة مع أبى حمو واستقر الأمر على ذلك. وقد كان ابن الخطيب عند ما بلغه استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان هنأه بقصيدة طويلة يقول في مطلعها:

أطاع لسانى فى مديحك احسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
ويقول فى أثنائها وقد ألم بشئ من علم الاحكام النجومية لميل السلطان اليه :

ولله من ملك سعيد ونسبة	قضى المشتري فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها	وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها	ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع	ولا نازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها	فلم يحتج الفرغان فيها لفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة	ولا حققت فيها طوالع بلدان



وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم

واغرابهم فى هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف



قد تقدم لنا ما جرى من المواصله بين السلطان أبى الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أو ابنه من بعده منسا سليمان وتردد الوفود واسناء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيا هدية نفيسة بقصد أن يعيها إلى السلطان أبى الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك، ثم هلك السلطان منسا سليمان بعده، واختلف أهل مالى وافترق أمرهم وتقاتلوا

على الملك الى أن جمع الله كلمتهم على السلطان منسا زاطة ، واستوسق له الامر
ثم نظر في أعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التي كان منسا سليمان قد هياها
لملك المغرب فأمر بانفاذها اليه وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل العظيم
الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات ، وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى حضرة
فس في صفر من سنة اثنتين وستين وسبعمائة

قال ابن خلدون : وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان
ببرج الذهب بمجلسه المعد لعرض الجنود ، ونودي في الناس بالبروز الى
الصحراء ، فبرزوا ينسلون من كل حذب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم
في الازدحام على الزرافة اعجابا بخلفتها ، وحضر الوفد بين يدي السلطان
وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعدر عن ابطاء الهدية بما كان من
اختلاف أهل مالى وتوالتهم على الامر ، وتعظيم سلطانهم وما صار اليه ،
والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم ، عادة معروفة لهم ،
وحيوا السلطان بان جعلوا يحثون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم ،
وانشد الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال ، ثم ركب السلطان
الى قصره ، وانفض ذلك الجمع ، وقد طار به طائر الاشتهار ، واستقر الوفد تحت
جراية السلطان أبي سالم الى أن هلك قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالامر من بعده
وانصرفوا الى مراكش ، ثم منها الى ذوى حسان عرب السوس الأقصى من بنى
معقل المتصلين ببلادهم ، ومن هناك لحقوا بسلطانهم . والامر كله لله .

وكان مما قيل من الشعر في ذلك اليوم : قول ابن خلدون من قصيدة يقول

في مطلعها :

قدحت يد الاشواق من زبد وهفت بقلبي زفرة الوجد

الى ان قال في وصف الزرافة :

ورقيمة الاعطاف حالية موشية بوشائع البرد

وحشية الانساب ما أنست في موخش اليباء بالقرد

تسمو بجيد بالغ صعدا شرف الصروح بغير ما جهد

طالت رؤوس الشامخات به ولربما قصرت عن الوهد

قطعت اليك تنائفا وصلت
 تحدى على استصعابها ذللا
 بسعودك اللائى ضمن لنا
 جاءتك فى وفد الاحابش لا
 وافوك انضاء تقلبهم
 كالطيف يستقرى مضاجعه
 يشون بالحسنى التى سبقت
 ويرون لحظك من وفادتهم
 يا مستعينا جل فى شرف
 جازاك ربك عن خليقه
 وبقيت للدينيا وساكنها
 وقول الكاتب البارع أبى عبد الله
 بن زمرك الاندلسى من قصيدة يقول
 فى مطلعها :

لولا تالقي بارق التذكار
 لكنه مهما تعرض خافقا
 الى أن قال فى الغرض المذكور :
 وغريبة قطعت اليك على الونى
 تنسيه طيته التى قد أمها
 يقناها من كل مشتمل الدجا
 تشدو بحمد المستعين حداتها
 ان مسهم لفح الهجير أبلهم
 خاضوا بها ليجج الفلا فتخلصت
 سلمت بسعدك من غوائل مثلها
 وأتتك ياملك الزمان غريبة
 موشية الاعطاف رائقة الحلى
 راق العيون اديمها فكأنه

ما صاب واكف دمعى المردار
 قدحت يد الاشواق زند أوارى
 بيدا تبيد بها هموم السارى
 والركب فيها ميت الاخبار
 فكأنما عيناه جذوة نار
 يتعللون به على الاكوار
 منه نسيم ثنائك المعطار
 منها خلوص البدر بعد سرار
 وكفى بسعدك حاميا لذمار
 قيد النواظر نزهة الابصار
 بقت بدائعها يد الاقدار
 روض تفتح عن شقيق بهار

ما بين مبيض وأصفر فاقع
 يحكى حدائق نرجس في شاهر
 تحدو قوائم كالجدوع وفوقها
 وسمت بجيد مثل جذع مائل
 تستشرف الجدران منه ترائب
 تاهت بكلكلها وأتلع جيدها
 خرجوا لها الجم الغفير وكلهم
 كل يقول لصحبه قوموا انظروا
 ألقى ببابك رحلها ولطالما
 علمت ملوك الارض أنك فخرها
 يتبأون به وان بعد المدي
 وارفح لواء الفخر غير مدافع
 واهنا بأعياد الفتوح مخولا
 واليكها من روض فكرى نفحة
 فى فصل منطقها ورائق رسمها
 وتميل من أصغى لها فكأنسى

سال اللجين به خلال نضار
 تساب فيه أراقم الانهار
 جبل أشم بنوره متوارى
 سهل التعطف لين خوار
 فكانما هو قائم بمنار
 ومشى بها الاعجاب مشى وقار
 متعجب من لطف صنع البارى
 كيف الجبال تقاد بالاسيار
 ألقى الغريب به عصا التسيار
 فتابقت لرضاك فى مضمار
 من جاهك الاعلى أعز جوار
 واسحب ذبول العسكر الجرار
 ما شئت من نصر ومن أنصار
 شف الثناء بها على الازهار
 مستمتع الاسماع والابصار
 عاطيته منها كؤس عقار

مقتل السلطان أبو سالم رحمه الله والسبب فى ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمه الله قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد
 الله بن مرزوق وألقى زمام الدولة بيده ، فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك
 عليه وسخطوا الدولة من أجله ، ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه
 فتربصوا بالدولة الدوائر الى ان كانت أواخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ،
 فتحول السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد الى القصبه من فاس
 القديم ، واختط بها ايوانا فخما لجلوسه ، فلما استولى عمر بن عبد الله بن
 على بن سعيد الفودودى أحد كبراء الدولة ووزرائها على دار الملك ، اذ كان

السلطان أبو سالم قد خلفه أمينا عليها، حدثته نفسه بالتوئب ، وسهل ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق ، فداخل قائد جند النصراني غرسية بن أنطول ، واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة ، فعمدوا الى تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن فخلعوا عليه ، وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركبا وأجلسوه مجلس السلطان، وأكروهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة ، وجأهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى بيت المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب ، وماج الجند بفاس الجديد بعضهم في بعض ، واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء ثم انتهبوا ما كان بالمخازن الخارجية من السلاح والعدة ، وأضرموا النيران في بيوتها سترأ على ما ضاع منها ، وأصبح السلطان أبو سالم بمكانه من قصبة فاس القديم ، وكان قد تحول اليها فرارا من قاطع فلكى خوفه اياه بعض منجميه فكان النبلاء فيه موكلا بالمنطق ، فلما علم بالكائنة ركب واجتمع اليه من حضر من أوليائه ، وغدا على فاس الجديد وطاف بها يروم اقتحامها فامتعت عليه ، ثم اضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى في الناس بالاجتماع اليه ، ولما كان وقت الهاجرة دخل فسطاطه للقلولة فتسائل الناس عنه الى فاس الجديد فوجا بعد فوج بمرأى منه الى أن انفض عنه خاصته وأهل مجلسه فطلب النجاء بنفسه ، وركب في لمة من الفرسان وفيهم وزيراه سليمان بن داود ومسعود بن عبد الرحمن بن ماساي ، ومقدم الموالي والجند ببابه سليمان بن ونصار ، وأذن لابن مرزوق في الدخول الى داره ، ومضى هو على وجهه فيمن معه ، ولما غشيهم الليل انفضوا عنه حتى بقي وحده، ورجع الوزيران الى دار الملك فتقبض عليهما رئيس الثورة عمر بن عبد الله الفودودي ، ومشاركه فيها غرسية بن أنطول النصراني ، واعتقلاهما متفرقين ، وبعث عمر بن عبد الله الطلب في أثر السلطان أبي سالم فعثروا عليه نائما من الغد في بعض المجاشر بوادي ورغة وقد غير لباسه اختفاء بشخصه وتواريا عن العيون بمكانه ، فتقبضوا عليه وحملوه على بغل وطيروا بالخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن داود ، وفتح الله بن عامر بن فتح الله السدراتي وأمرهما بقتله

وانفاذ رأسه ، فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمرأ بعض جند
النصارى أن يتولى ذبحه ففعل ، وحملوا رأسه فى مخلاة ووضعوه بين يدى
الوزير الثائر ومشيعته ، وكان ذلك يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى
القعدة سنة اثنين وستين وسبعمائة ودفن بالقلعة خارج باب الجيسة بأعلى جبل
العرض المعروف بجبل الزعفران (*)

قال ابن الخطيب فى الاحاطة : « كان السلطان أبو سالم رحمه الله بقية
البيت وآخر القوم دماثة وحياة وبعدا عن الشرور وركونا للعافية » قال : وأنشدت
على قبره الذى ووريت به جثته قصيدة أدت فيها بعض حقه :

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب
ومن أعيان وزرائه : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى الخطيب
المشهور الذى مر ذكره آنفا .

ومن قضاة عسكره : أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى البرجى .
ومن أعيان كتابه : الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب
التاريخ .

وأبو القاسم (*) عبد الله بن يوسف بن رضوان التجارى من أهل مالقة صاحب
كتاب السياسة وغيره ، ومما نظمته هذا الفاضل عن اذن السلطان أبى سالم رحمه
الله ليكتب فى طرة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله :

(*) ومن اولادها : السلطان أبو العباس احمد ، والسلطان أبو الفضل محمد ، ومحمد آخر .
(*) أبو القاسم ابن رضوان صاحب كتاب السياسة . لما وقعت هزيمة طريف
قرب القيروان على أبى الحسن رجع أبو القاسم هذا الى الاندلس وبقي بها الى ان تم
الامر لابى عنان فرجع حينئذ للمغرب وكلفه أبو عنان بكتابة العلامة اما صاحب درة
الحجال فانه ذكر كاتبين من هذه العائلة احدهما : اسمه محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى
سنة ٨٦٨ وثانيهما يسمى ابى القاسم بن محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى سنة ٧٨٣ اما
الكاتب أبو القاسم عبد الله فقد ترجمه فى جذوة الاقتباس وذكر انه توفى بأنفا ودفن
بمقبرة الحاج صالح سنة ٧٣٣ راجع ترجمته طبع فاس

هذا محل المنى بالامن مغمور
 مأوى النعيم به ما شئت من ترف
 ويطلع الروض منه مصنعا عجبا
 ويسطع الزهر من أرجائه أرجا
 مغنى السرور سقاء الله ما حملت
 انظر الى الروض تنظر كل معجبة
 من النسيم به يغنى القرا فقرا
 وهامت الشمس في حسن الظلال به
 كأنما الطير في افائها صدحت
 والدوح ناعمة تهتز من طرب
 والنهر شق بساط الارض تحسبه
 ينساب للجنة الخضراء أزرقه
 هذى مصانع مولانا التي جمعت
 وهذه القبة الغراء ما نظرت
 ولا يصورها في الفهم ذو فكر
 ولا يرام بحصر وصف ما جمعت
 فيها المقاصير تحميها مهاجته
 كأنها الافق تبدو النيرات به
 وينشأ المزن في أرجائه وله
 وينهمى القطر منه وهو منسكب
 وتخفق الريح منه وهي ناسمة
 ويشرق الصبح منه وهو من غرر
 وتطلع الشمس فيه من سنا ملك
 ومضى في مدح السلطان والله تعالى يتغمد الجميع برحمته بمنه وكرمه.

الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس

ابن أبي الحسن المريني



هذا السلطان كان محجوبا لوزيره عمر بن عبد الله الفودودي لا يملك معه ضرا ولا نفعا . أمه : أم ولد اسمها ميمونة ، صفته : طويل القامة ، عظيم الهيكل بعيد ما بين المنكبين ، أعين أدعج ، وكان فارسا بطلا قوى الساعد الا أنه كان ناقص العقل .

ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبي سالم وسعى في هلاكه الى أن قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يموه به على الناس فبويع ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة حسبما سبق ، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الاسر الذي أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن الى أن اقتدى وبقي ناقص العقل مختل المزاج (*) الى أن كان من أمره ما كان .



الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جندلا معه

والسبب في ذلك



لما قبض عمر بن عبد الله على الوزيرين مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، وسليمان بن داود سجنهما متفرقين فأخذ اليه ابن ماساى لمكان صهره منه ودفع لغرسية سليمان بن داود ، وكان سليمان بن ونصار قد فر مع السلطان أبي سالم كما مر ، ولما رجع عنه فيمن رجع نزل على غرسية قبله وأكرمه . وكان يعاقره الخمر ففاوضه ذات ليلة فى الثورة بعمر بن عبد الله واعتقاله ،

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذا المسألة فى كتابه « كشف العرين عن ليوث بني

مرين » اثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس بن أبي الحسن أيضا

وإقامة سليمان بن داود المسجون بداره مقامه لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الامر ، ونما الخبر بذلك الى عمر بن عبد الله فارتاب ، وكان خلوا من العصية ففرع الى قائد المركب السلطاني من ناشبة الاندلس ورماتها ، وهو يومئذ ابراهيم البطروجي ، فعاقده على أمره ، وباعه على الاستماتة دونه ، ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففرع ثانيا الى يحيى بن عبد الرحمن شيخ بني مرين وصاحب شوارهم ، فشكا اليه فأشكاه ، ووعدته الفتك بابن انطول وأصحابه وانبرم عقد ابن انطول ، وسيلمان بن ونصار أيضا على عمر بن عبد الله وغدوا الى القصر ، وداخل ابن انطول طائفة من النصارى استظفارا بهم ، وتوافت بنو مرين بمجلس السلطان على عاداتهم ، وحضر ابن انطول ، والبطروجي ، ويحيى ابن عبد الرحمن ، وغير هؤلاء من الوجوه ، فسأل عمر بن عبد الله من ابن انطول تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى ، ورض به عن الاهانة ، حتى سأل مثلها من ابن ماساي صاحبه ، فأمر عمر بالتقبض عليه فكشر في وجوه الرجال ، واخترط سكينه للمدافعة ، فتواثبت بنو مرين عليه وقتلوه لحينه ، واستلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى عند دخولهم مع قائدهم ، وفر بعضهم الى معسكرهم ، ويعرف بالملاح جوار فاس الجديد ، وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن انطول قد غدر بالوزير ، فقتلوا جنود النصارى حيث وجدوهم من سكك المدينة ، وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من بقى به منهم ، وركبت بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء ، وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآيتهم وأمتعتهم ، وقتل النصارى أيضا كثيرا من مجانب المسلمين كانوا يعاقرون الخمر بالملاح ، ثم سكنت الهيعة وما كادت .

واستبد عمر بن عبد الله بدار الملك ، واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل ثم بعث من قتله بمحبسه ، وحول سليمان بن داود الى بعض الدور من دار الملك فاعتقله بها واستولى على أمره ، ثم خاطب عامر بن محمد الهنتاسي في اتصال اليد به واقتسام ملك المغرب بينه وبينه ، وبعث اليه بابي الفضل ابن السلطان أبي سالم اعتده عنده ليوم ما ، ثم فسد ما بينه وبين مشيخة بني مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكروا باب الفتوح واستدعوا

عبد الحليم بن أبي علي ابن السلطان أبي سعيد من تلمسان على ما نذكره .



ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد
ثم فراراً عنها



قد قدمنا في أخبار السلطان أبي الحسن أن أخاه أبا علي صاحب سجلماسة كان قد انتقض عليه فامكنه الله منه فقتله وكفل أولاده فلم يميز بينهم وبين أولاده في شيء من الأشياء ، ولما أفضى الامر الى أبي عنان بعث جماعة من اخوته وقربائه الى الاندلس تحت حياطة ابن الاحمر ، وكان فيهم أولاد أبي علي هؤلاء ثم بعد حين سرحوا وقدموا تلمسان على سلطانها أبي حمو بن يوسف فكانوا عنده الى هذا التاريخ فلما فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيوخ بني مرين بمثوا (*) الى تلمسان جملة منهم لاستقدام عبد الحليم المذكور فسرجه أبو حمو ، وأعانه بشيء من الآلة ، وجمع عليه من رغب في طاعته ، وزحف الى فاس فتلقته جماعة بني مرين بسبو ، ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت سابع محرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، واضطربوا معسكرهم بكدية العرائس ، وحاصروا دار الملك سبعة أيام ، وتتابعت وفودهم وحشودهم ، ثم ان عمر بن عبد الله برز يوم السبت القابل في مقدمة السلطان تاشفين بمن معه من جند المسلمين والنصارى راحمة وناشبة ، ووكل بالسلطان من جاء به في الساقة على التعية المحكمة ، وناولهم الحرب فرحفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشيت فيهم الجراحات ، ثم صمم نحوهم فانفرج القلب وانفضت الجموع ، ثم زحف السلطان تاشفين في الساقة فابذعروا في الجهات ، وافترق بنو مرين الى مواطنهم ، ولحق يحيى بن عبد الرحمن بمراكش مع

(*) راجع ما عند يحيى ابن خلدون في بغية الرواد صحيفة ٩٥ ج ٢ طبع الجزائر

مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ، ولحق عبد الحليم واخوته بتازا بعد ان شهد لهم رجال الدولة بصدق الجلال وحسن البلاء فى ذلك المقام .

ثم ان الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته فى تقديم المعتوه للامر ، وعلم ان الامر لا يستقيم له بذلك ، فبادر باستقدام أبى زيان محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبى الحسن ، وكان عند الطاغية بدار الحرب فقدم ، وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة ، والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى زيان

محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب بن أبى الحسن المرينى

هذا السلطان كان محجوبا للوزير عمر بن عبد الله أيضا كنيته : أبو زيان ، لقبه : المتوكل على الله ، أمه : أم ولد اسمها فضة . صفته : آدم اللون شديد الادمة ، معتدل القامة ، منفرج الانف ، دقيق العينين .

وقال ابن الخطيب فى الاحاطة : حاله فاضل سكون ، منقاد مشتغل بخاصة نفسه ، قليل الكلام حسن الشكل ، درب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأنى لاغراضهم ، وكان قبل ولايته عند الطاغية (*) بالاندلس فر اليه خوفا على نفسه ، ولما التبست الامور على عمر بن عبد الله طلبه الى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاء ، وفصل من اشبيلية فى المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمائة ونزل بسبته ، وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقدمه ، فطير اليه بالخبر ، فحينئذ خلع عمر تاشفين الموسوس ، وبعث الى السلطان

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذا الموضوع فى كتابه « كشف العربى عن ليون بنى

مرين » اثناء الكلام على دولة هذا السلطان رحمة الله

أبى زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ، ثم جهز عسكريا للقائه ، فلقوه بطنجة ، وأخذ السير الى الحضرة فنزل منتصف صفر بكدية العرائس ، واضطرب بمعسكره بها وتلقاه يومئذ الوزير عمر بن عبد الله اليبانى وبايه ، وأخرج فسطاطه فاضطرب بمعسكره وتلوم السلطان أبو زيان هنالك ثلاثا ثم دخل فى اليوم الرابع الى قصره واقعد أريكنه وتودع ملكه .

وقال ابن الخطيب فى الاحاطة : « كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان ، وبه السعد الاعظم كوكب المشتري من السيارة السبعة » اه ولما تم له الامر خاطبه ابن الخطيب من سلا مهنثا له بقوله :

يا ابن الخلائف يا سمي محمد	يامن علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأتت مجدد الملك الذى	لولاك أصبح وهو رسم دائر
من ذا يعاند منك وارثه الذى	بسعوده فلك المشيئة دائر
ألقى اليك يد الخلافة أمرها	اذ كنت انت لها الولي الناصر
هذا وبينك الصريخ وبينها	حرب مفرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره	حسنت له العقبي وعز الآخر
مولاي عندى فى علاك محبة	والله يعلم ما تكن ضائر
قلبي يحدثني بانك جابر	كسرى وحظى منك حظ وافر
برى جدودك قد حططت حقيتي	فوسيلتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسعى واجتهادى مثل ما	يلقى للملك سيف أمرك عامر
فهو الولي لك الذى اقتحم الردى	وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولى جدك فى الشدائد عند ما	خذلت علاه قبائل وعشائر
فاستهد منه النصيح واعلم انه	فى كل معضلة طيب ماهر
ان كنت قد عجلت بعض مدائحى	فهى الرياض وللرياض بواكر
ثم أتبعها بشر أضر بنا عنه اختصارا والله تعالى الموفق .	

وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن

رحمهما الله



قال في «الاحاطة»: وفدت على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولي:

لمن علم في هضبة الملك خفاق	أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة	تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعه شورى أحكم السعد عقدها	وأعمل اجماع عليها واصفهاق
قضى عمر فيها بحق محمد	فسجل عهد للوفاء وميثاق
أحلماً ترى عيناى أم هي فترة	أعندكما في مشكل الامر مصداق
وافض لفضل الله في الارض تبتغي	ومجتمعات لا تريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا	وفلح لسقى الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا	وللمقنة العمياء في الارض اطباق
وللغيث امساك وفي الارض رجة	وللدين والدنيا وجوم واطراق
فكل فريق فيه للبغى راية	وكل طريق فيه للغيث طراق
أجل انه من آل يعقوب وارث	يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مسجف	ومن رفراف العز الالهى رستاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوءها	دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فاشرقت الارضاء من نور ربها	وساح بها لله لطف واشفهاق
فمن ألسن بالشكر لله أعلنت	وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر أبرم الله ناقض	وليس لمسعى النجح في الله اخفاق
محمد قد أحيت دين محمد	وللخلق أدماء تفيض وارمباق
ولو لم تب غطى على شفق الضحا	دم لسيوف البغى في الارض مهراق
فايمن بمشحون من الفلك سابح	له باختيار الله حط وإسباق

إليك وصفح الماء أزرق رقرق
تضل الحجي سهم من السعد رشا
وصحت من التوفيق واليمن أوافق
ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
وبالشر والايام سهم وترياق
له في مجال السعد عدو واعناق
تفيض على العافين أم هي ارزاق
فلم يجد اطناب ولم يغن اعراق
غمام ندى ان أخلف الغيث غيداق
بدور لها في ظلمة الروع اشراق
ففيها جنى ملء الاكف وايراق
وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا
لاآلىء والمجد المؤئل نساق
هم الاصل في العلياء والناس الحاق
فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
فهم للمعالى والمكارم عشاق

تزر على أعناقهم منه أطواق
ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما أموه للفتح اغلاق
جريرة من أبدى لك العذر أخلاق
وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق
ولله ارفاد عليهم وارفاق
خزائنه ما ضرها قط انفاق
وان حشدت طسم وعاد وعملاق
تخوم لمخطط الصليب وأعماق

أقلك والدأماء تظهر طاعمة
الى هدف السعد انبرى منه والدجا
فخطت لتقويم القوام جداول
تبارك من أهالك للخلق رحمة
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة
سمت منك أعناق الورى لخليفة
وقالوا بنان ما استقل بكفه
وأظنب فيك المادحون وأغرقوا
ألست من القوم الذين أكفهم
ألست من القوم الذين وجوههم
رياض اذا العافى استظل ظلالها
أبوك ولى العهد لو سالم الردى
فمن ذاله جد كجذك أو أب
وحسب العلا فى آل يعقوب أنهم
أسود سروج أو بدور أسرة
يطول لتحصيل الكمال سهادهم
ومنها :

لقد نسيت احسان جذك فرقة
أجازت خروج ابن ابنه عن ترائه
ومن دون ما راموه لله قدرة
خذ العفو وابذل فيهم العرف وتسع
فربما تنبو مهندة الطيبى
وما الناس الا مذب وابن مذب
ولا ترج فى كل الامور سوى الذى
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا

فيسر ليسرى وأحیی بك الوری
 فجاز صنع الله وازدد بشكره
 وأوف لمن أوفى وكاف الذى كفى
 وتهنيك يا مولی الملوك خلافة
 فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها
 فلا راع منها السرب للدهر رائع
 أمولای راع الدهر سربى وغالنى
 وليس لكسرى غيرك اليوم جابر
 ولى فيك ود واعتداد غرسته
 وقد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة
 وأنت حسام الله والله ناصر
 وأنت الامان المستجار من الردى
 وأهون ما يرجى لديك شفاعاة
 ودونكها من ذائع الحمد مخلص
 اذا قال اما كل سمع لقواله
 ودم خافق الاعلام بالنصر كلما
 قال : « وعدت منه ببر كبير واحترام شهير » : يشير بذلك الى ما أكرمه به
 وكتب له من الظهير الذى يتضمن كمال الاحترام والتوقير ، ونصه : « هذا ظهير
 كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ،
 للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الارفع الامجد الاسمى الاوحد
 الانور الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع ، المصنف المفيد
 النصدر الاحفل ، الافضل الاكمل ، أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل
 الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل ، الافضل الحسينب الأصل
 الاكمل ، البرور المرحوم أبى محمد ابن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول
 والاقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ، ورعى له خدمة
 السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة

فى خدمة أمرنا العال ، وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها ، المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية فى كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلاحرسها الله ، ومن حيث جرت العادة ان تمشى له ، ورفع الاعتراض بابها فيما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواء ، وفيما يستفيدة خدامه بخارجها واحوازها من غن ووطن وكان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب فى شىء من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف ، يتصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما ، اعلن بتجديد الخطوة واتصالها ، واتمام النعمة واكمالها ، من تواريخ الاوامر المذكورة الى الآن ومن الآن الى ما يأتى على الدوام واتصال الايام ، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت ، والوظائف اذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف بفضل الله ، وتحرر له الازواج التى يحرنها بتلماغت من كل وجية ، وتحاشى من كل مغرم أو ضربة بالتحجير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله ، وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمائة « وكتب فى التاريخ » اه وقوله وكتب فى التاريخ هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة : « صح فى التاريخ » .



وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان ابي زيان بن ابي عبد الرحمن رحمهما الله



كان للوزير عمر بن عبد الله اليباني مودة ومصافة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بصره وظهيره على الملك مسعود بن عبد الرحمن ابن ماساي يكون عنده عدة وعنادا ليوم ما ، فلما بوع السلطان أبو زيان استقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجعما القدوم على السلطان المذكور ، فقدم في صحبته مسعود ، ونزلا من الدولة بخير منزل . وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته بإشارة الوزير عمر ابن عبد الله فاضطلع بها ، ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصيته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب شق الابلمة ، وجعل اماره مراكش لابي الفضل ابن السلطان أبي سالم اسعافا لغرض عامر ابن محمد في ذلك .

وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو عنان(*) فاجابوه ، وحملوا أولياءها على العقد عليها ، وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزاء وثروة وتابعا ، وذلك في جمادى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما اليها من الاعمال واستبد بها ، ونصب أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم صورة ، واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت كأنها دولة مستقلة ، فصرف اليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مفرهم ، ولجأوا اليه فاجارهم على السلطان واجتمع اليه منهم ملاء ، واتسع الخرق

(*) والصحيح ابو الحسن لان المصاهرة لم تنعقد بين ابي عنان والحفصيين راجع ابن خلدون ج ٢ صحيفة ٤٧٢ وتاريخ الدولتين للزركشي صحيفة ٨٣ وصحيفة ٨٤

على الراقع ، واضطربت الاحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبى زيان الامير عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ، وتغلب على سجلماسة وأعمالها ، ثم غلب عليه أخوه عبد المؤمن بن أبى على فخرج عبد الحليم الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المؤمن بسجلماسة ، وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل الى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى وأضافها الى مملكة فاس ، ثم انتقض الوزير مسعود أيضا وباع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بن أبى على ، ونصبه للامر وصار يشوش به على الدولة ، وشرق عمر ابن عبد الله بدائه فى أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطان البحر من مرسى غساسة الى الاندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمئة ، وأقبلا على الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطان أبو زيان من شغبهما . والله غالب على أمره .



مقتل السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن رحمه الله



لما طال استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبى زيان وحجره اباه اذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره عزم على التفتك بالوزير المذكور ، وتناجى بذلك مع بعض ندمائه وأعدله طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، فمما ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عينا له عليه فعاجله ، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه ان كان الحجاب مرفوعا له عن خلوات السلطان وحرمه ، فدخل عليه وهو فى وسط حشمه فطردهم عنه ، ثم غطه حتى فاظ ، وأمر به فالتقى فى بشر بروض الغزلان ، واستدعى الخاصة فذراهم مكانه بها ، وأنه سقط عن دابته وهو سكران ، وذلك فى محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمئة كذا عند ابن خلدون . وقال فى «الجدوة»: «توفى يوم الاحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمئة وله ثمان

وعشرون سنة ، ودفن بجامع قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوما واحدا ، والله أعلم .



الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن

رحمه الله



هذا السلطان هو الذي أنعش دولة بني مرين بعد تلاشيها ، وأعاد إليها شبابها بعد هزمها وتقاضيها ، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد ، وأعادها من العز إلى حالها المعتاد ، وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برسمه ، وحلى ديباجته باسمه ، أمه : مولدة اسمها مريم ، صفته : آدم اللون شديد الادمة ، طويل القامة ، يشرف على الناس بطوله ، نحيف الجسم ، أعين أدعج أخنس ، في وجهه أثر جدري . وكان عفا متمسكا بالدين ، محبا في الخير وأهله ، لم يشرب خمرا ولا وقع في فاحشة قط ، وبالجملّة فقد كان من صالحى الملوك رحمه الله .

ولما كان من الوزير عمر بن عبد الله اليبانى إلى السلطان أبي زيان رحمه الله ما كان من الخنق والالقاء في البئر ، استدعى عبد العزيز بن أبي الحسن هذا ، وكان في بعض الدور من القصبة بفاس محتاطا عليه من قبل الوزير المذكور ، فأحضره بالقصر ، وأجلسه على سرير الملك وباعه ، وفتحت الابواب لبني مرين وسائر الخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده ، معطين الصفقة بطاعته ، فتم أمره وثبت ملكه وذلك يوم الأحد الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة ، ثم إن الوزير عمر جرى معه على عادته من الاستبداد ، ومنع التصرف في شيء من أمور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وتأفف منه ، ودارت بينه وبين الوزير أمور إلى أن عمل السلطان على الفتك به فأعد له جماعة من الخصيان يزوايا داره ، ثم أحضره ووبخه وثار به أولئك الخصيان

فتناولوه هربا بالسيف ، وصاح الوزير المذكور صيحة أسمع بها بطانته خارج الدار فوثبوا على الابواب فكسروها ، واقتحموا الدار فاذا صاحبهم مخرج بدمائه قد فرغ منه فولوا الادبار هاربين ، ثم تبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع فى خبر طويل ، واستبد بملكه واضطلع به وأدار الامور فيه على ما ينبغي والله تعالى أعلم .



انتقاض أبى الفضل بن أبى سالم ثم مقتله بعد ذلك



قد قدمنا أن أبا الفضل بن أبى سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مراکش اسعافا لكافله عامر بن محمد الهنتاني ، فلما فتك السلطان عبد العزيز بالوزير المذكور سولت لابي الفضل نفسه مثلها فى عامر بن محمد لاستبداده عيه ، وأغراه بذلك بطانته فأحس عامر بالشر فتمارض بداره من مراکش ، ثم استأذنه فى الصعود الى معتصمه من الجبل ليمرضه هناك حرمة وأقاربه ، وارتحل بجملته واحتل بحصنه وكان أعز من الابلق الفرد ، فيش أبو الفضل من الاستمكان منه ، ثم أغرته بطانته اذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن ابى على ، وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سجلماسة ، فسكر أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبة مراکش فجاء برأسه اليه ، وطار الخبر بذلك الى عامر فارتاع وحمد الله اذ خلصه من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز ، وأغراه بأبى الفضل ورغبه فى ملك مراکش ، ووعد بالمظاهرة ، فأجمع السلطان أمره على النهوض اليها ، ونادى فى الناس بالعطاء ، وقضى أسباب حركه ، وارتحل من فاس سنة تسع وستين وسبعمائة ، وقد استبد أبو الفضل بمراكش وأعمالها ، وأقام بها رسم الملك ، واستوزر واستلحق وجعل شوراء لمبارك بن ابراهيم ابن عطية الخلطى .

ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبي الفضل وهو منازل لعامر بن محمد فانفض معسكره ولحق بتادلا ليعتصم بجبل بني جابر منها ، فتبعه السلطان عبد العزيز إليها ونازله ، وأخذ بمخنقه وقتله فقل عسكره ، ثم داخل بعض بني جابر في جر الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا ، وانهزمت جيوشه وتقبض على أشياعه وسبق مبارك بن ابراهيم الى السلطان عبد العزيز فاعتقله الى أن قتله مع عامر بن محمد كما نذكر .

ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة وراء بني جابر فدخل بنو جابر في شانه ، وبذلوا لهم عن السلطان مالا دثرا في اسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا ، وأحضره أمام السلطان فوبخه ، ثم اعتقله بفسطاط مجاور له ، ثم غط من الليل فكان مهلكه في رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة لمضى ثمان سنين من امارته على مراکش ، وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد يختبر طاعته فأبى عليه ، وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره .

انتقاض عامر بن محمد الهنتاتي وحصار السلطان عبد العزيز اياها

وظفر لاه

كان عامر بن محمد الهنتاتي مجير السلطان أبي الحسن من ابنه أبي عنان على ما وصفنا من بلوغ الغاية في الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوازها ، وكان قد حصل في مدة رياسته على ثروة عظيمة وجاد كبير ، وكان له معتصم بجبل درن أعز من بيض الانوق قد حصن فيه ماله وسلاحه وذخيرته ، وكان كلما هاجه هائج صعد اليه وأمن على نفسه ، فلما صفا الامر للسلطان عبد العزيز جعل عامرا هذا من أهم أمره فنصب له واستعد لقتاله وعقد على وزارته لابي بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس ونهض اليه من فاس سنة سبعين وسبعمائة فحاصره في جبله سنة كاملة . ولما طال الحصار على

عامر وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد ، فبعث الى السلطان وسهل له الطريق لاقتحام الجبل ، فرحفت العساكر والجنود وشارفت المعصم ، ولما استيقن عامر أن قد أحيط به بعث الى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مختارا له ومشييرا عليه بالتى هى أحسن وأسلم ، فلقى الولد بنفسه الى السلطان فقبله ، وبذل له الامان وألحقه بجملته ، واتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فردة الثلج ، وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فاقحمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه ، وعابن الهلكة العاجلة فرجع أدراجه مخفيا حتى آوى الى غار مع أدلاء كان قد استخلصهم ، وبذل لهم مالا على أن يسلكوا به ظهر الجبل الى صحراء السوس ، فأقاموا ينتظرون امساك الثلج وقد شدد السلطان عبد العزيز فى التقير عنه والبحث ، فعثر عليه بعض البربر بالغار المذكور ، فسيق الى السلطان فأحضره بين يده ووبخه فاعتذر واعترف بالذنب ورغب فى الاقالة فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك ، وانطلقت الايدى على معاقل عامر ودياره فانهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة احدى وسبعين وسبعمائة لحول من يوم حصاره ، وعقد على هتاتة لابن أخى عامر ، وهو فارس ابن عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى ، وارتحل الى فاس فاحتل بها آخر رمضان المذكور ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس ، وحمل عامر وسلطانه تاشفين من بنى عبد الحق كان نصبه للامر مموها به على عادته ، فحملا معا على جملين وقد أفرغ عليهما لباس رث ، وعشت بهما أيدي الاهانة فكان ذلك عرة لمن وآه .

ولما فضى السلطان عبد العزيز نسك عيد الفطر أحضر عامرا فقرعه بذنوبه ، وأتى بكتاب بخطه يخاطب فيه أبا حمو بن يوسف الزياني ويستجده على السلطان فشهد عليه به وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلد حتى انثر لحمه وضرب بالعصى

حتى ورمت أعضاؤه، وهلك بين يدي الوزعة، وجنب تاشفين سلطانه الى مصر عه فقتل
 قعصا بالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم الخلطي من مجبسه بعد الاعتقال فالحق
 بهم ، ولكل أجل كتاب ، وصفا لجو للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ
 لغزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله .



ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول



قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان
 أبي الحسن رحمه الله فاستمرت في ملكتهم الى هذا التاريخ فنشأت بينهم فتنة
 وتقاتلوا على الملك وأعروا ثغورهم الموالية للمسلمين من الحامية والجند فبقيت
 عورة ، وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء التي قرب عهدهم
 بانتظامها في ملكة المسلمين .

وكان السلطان عبد العزيز في شغل عن ذلك بفتنة أبي الفضل بن أبي سالم
 وعامر بن محمد وانتقاضهما ، فبعث الى ابن الاحمر صاحب الاندلس أن
 يزحف اليها بعساكره وعليه عطاؤهم وامدادهم بالمال والاساطيل على أن تكون
 مثوبة جهاده خالصة له ، فأجاب ابن الاحمر الى ذلك ، وبعث اليه السلطان عبد
 العزيز باحمال المال ، وأوعز الى أساطيله بسبته فانعمرت واقلعت حتى احتلت
 بمرسى الجزيرة الخضراء لحصارها ، وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين
 على أثرها بعد ان قسم فيهم العطاء وأزاح العلل وأعد الآلات للحصار ، فنازلها
 أياما قلائل ، ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريح ويأسهم من مدد
 ملوكهم ، فآلقوا باليد وسألوا النزول على الصلح ، فأجابهم ابن الاحمر اليه ،
 ونزلوا عن البلد وأقيمت فيه شعائر الاسلام ومحيت منه كلمة الكفر ، وكتب
 الله أجرها لمن أخلص في معاملته (*) وكان ذلك سنة سبعين وسبعمائة ،

(*) انظر الاطاحة ج ٢ - صحيفة ٥٦

وولى ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل الى نظره الى أن وقع الاختيار على هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعوام الثمانين وسبعمائة وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس .



نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلائه عليها

وفرار سلطانها ابي حمو بن يوسف عنها



كان أبو حمو بن يوسف الزياني قد فسد ما بينه وبين عرب سويد وقبض على بعض رؤسائهم محمد بن عريف فاستصرخوا عليه السلطان عبد العزيز ، وكانت القوارص لا تزال تسرى اليه من أبي حمو المذكور فصادفوا منه صاغة الى ما التمسوا منه ، واعتزم على النهوض الى تلمسان ، وبعث الحاشرين الى الجهات المراكشية فتوافى الناس اليه على طبقاتهم ، واجتمعوا عنده أيام منى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فافاض العطاء وأزاح الغلل ، ولما قضى نسك عبد الاضحى عرض الجند ونهض الى تلمسان فاحتل بتازا .

واتصل خبره بابي حمو فجمع الجموع وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة أصحابه وتفرق عنه العرب من بني معقل فاجفل هو وأشياعه من بني عامر بن زغبة فدخلوا القفر .

وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فدخلها في يوم مشهود ، واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر ابن غازي بن الكاس على عساكر مرين والعرب وسرحه في اتباع أبي حمو فأدركه ببعض بلاد زناته الشرق فاجهضوه عن ماله ومعسكره فاتهب بأسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بزمائه الى مصاب ، وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة ، ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصاته واستنزل ثواره في أخبار طويلة .

واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال ،
وعقد عليها للولاء والعمال واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه
واستمر مقيما بتلمسان الى أن كان ما نذكره .



نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطاننا الغني بالله

الى السلطان عبد العزيز بتلمسان



قد قدمنا ما كان من رجوع الغني بالله ابن الاحمر الى ملكه بالاندلس سنة
ثلاث وستين وسبعمائة ، ولما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلفه
بفاس من الاهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر
ابن الخطيب من سلا وبعثهم الى نظره ، فسر السلطان ابن الاحمر بمدمه
ورده الى منزلته ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بئدماؤه وأهل خلوته ،
وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال
وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على
السعاية فيه ، وقد صم السلطان عن قبولها ، ونما بذلك الخبر الى ابن الخطيب
فتسمر عن ساعده للرحلة عن الاندلس والحق بالمغرب ، وكان له حين اليه
ورغبة في الايالة المرينية من قبل ذلك ، فقدم الوسائل الى السلطان عبد العزيز
وأوعز اليه بما عزم عليه من الحق بحضرته فوعده السلطان بالجميل وبسط
أمله ، فحينئذ استأذن السلطان الغني بالله في تفقد الثغور الغربية من أرض
الاندلس فأذن له ، وسار اليها في جماعة من فرسانه ، ومعه ابنه علي فلما حاذى
جبل طارق مال اليه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز
أوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه ، فاحتل بسبته ثم سار منها فقدم
على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، فاهتزت له
الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الامن والغبطة ،

ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين
سفيراً الى الاندلس في طلب أهله وولده فجاءهم على أكمل الحالات من الامن
والتكرمة ، ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثر بها من شراء الضياع
وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانية
وتوقيراته ، وأقام مطمئناً بخير دار عند أعز جار .

وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله

كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض التحول في صغره ولاجل
ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الابناء الى الاندلس فأقام بالمغرب ،
ولما شب أفاق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه في مثواه بتلمسان وتزايد
نحوه ، ولما كمل الفتح واستفحل الملك اشتد به الوجع فصابره وكمه عن الناس
خشية الارجاج ثم عسكر خارج لتلمسان للحاق بالمغرب .

ولما كانت ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع
وسبعين وسبعمائة قضى نجه رحمه الله بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسبق
الى فاس فدفن بجامع قصره ، وسنه يومئذ أربع وعشرون سنة ، وكانت دولته
ست سنين وأربعة أشهر (*) .

ومن نظمه ما ذكره ابن الأحمر في « نثر الجمان » مديلاً بيتي والده السلطان
أبي الحسن اللذين هما قوله :

أرضي الله في سر وجهه — وأحمى العرض من دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختياراً — وأضرب بالسيوف طلي الرقاب
فقال هو وأحسن :

[*] ومن اولاده : السلطان محمد السعيد ومحمد وعبد الله .

وأرعب خالفني في العفو عني وأطلب حلمه يوم الحساب
وأرجو عونه في عز نصر على الأعداء محروس الجناب
وعبدك واقف بالباب فارحم عيدا خائفًا ألم العقاب

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز
ابن أبي الحسن

هذا السلطان ممن ولي الأمر وهو صبي ، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه
المسمى : « باعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلال » كنيته : أبو زيان .
أمه : عائشة بنت القائد فارح العليج ، صفته : آدم اللون شديد الادمة .
ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان خرج الوزير أبو
بكر بن غازي بن الكاس على الناس ، وقد احتمل أبا زيان ابن السلطان عبد
العزيز ، فعزاهم عن سلطانهم ثم طرح ابنه بين أيديهم ، فازدحموا عليه باكين
متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة ، ثم أخرجوه للمعسكر وأنزلوه
بفساطيط أبيه وتم أمره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الأبرام والنقض ،
والصبي كالعدم ، اذ لم يكن في سن التصرف .

ثم ان الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس وأجلس
الصبي لبيعة العامة فبايعوا ، ثم توافت لديه وفود الأمصار على العادة ، واستبد
الوزير أبو بكر واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بامر
المغرب ابراما ونقضا .

ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها أبو حمو ابن يوسف
الزياني ، والتفت عليه بنو عبد الواد من كل جانب ومحا دعوة بني مرين من
ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره ، واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم
بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن أبي

يفلوسن بن أبي علي بن أبي سعيد بناحية بطوية، فإن السلطان ابن الأحمر كان قد سرحه من الأندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي لطلب ملك المغرب تشغيا على الوزير أبي بكر بن غازي، ثم أتبعه بالأمير أبي العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم الذي كان محتاطا عليه بطنجة، فرحف الأمير أبو العباس المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فحاصروا الوزير أبا بكر بن غازي وسلطانه أبا زيان بن عبد العزيز، وضربوا على فاس الجديد سياجا بالبناء للحصار، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه الأمير أبي العباس ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتهما، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه من سجل ماسة وأعمالها، فتراضيا وزحفا إلى فاس كما قلنا، وأمدهم ابن الأحمر بجمع من جنده، فاستمر الحال على حصار فاس إلى أن أذن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أبي العباس، فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبعمائة وغرب إلى الأندلس فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما والله غالب على أمره.



الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله

أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن



هذا السلطان يقال له : ذو الدولتين لانه ولي الملك مرتين كما سيأتي .
أمه : حرة بنت أبي محمد السبائي . كنيته : أبو العباس ، لقبه : المستنصر بالله ، صفته : أبيض اللون ربعة تعلوه صفرة رقيقة ، أدعج أسود الشعر أكحل الحاجبين ضيق البلج أسيل الخدين براق الثنايا جميل الوجه مليح الصورة ظريف المنزع لطيف الشمائل حسن الشكل إذا ركب ، بويغ أولا بطنجة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ثم بويغ البيعة العامة بالمدينة البيضاء بعد استيلائه

عليها يوم الاحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وكان الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن عند ما أشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاية مراکش عوضا عن سجلماسة ففقدوا له على كره مخافة ان تفرق كلمتهم ولا يتم أمرهم ففعلوا ، وطووا له على النكت فارتحل الى مراکش واستولى عليها ، ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها في ايلة ابن الاحمر .

واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها ، واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وفوض اليه أموره فغلب على هواه وجعل أمر الشورى الى سليمان بن داود فاستقل بها وحاز رئاسة المشيخة ، واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعلوا اليه المرجع في نقضهم وابعادهم ، فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان أبي العباس على ملك المغرب حتى تم له ، وبما كان تحت يده من أبناء الملوك المرشحين للامر ، فكان أبو العباس وحاشيته يصنعونه لاجل ذلك ، والله تعالى أعلم .



محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله

لما لجأ ابن الخطيب الى بنى مرين وأصاب عندهم دارا وقرارا عز ذلك على ابن الاحمر ، وسعى بطاقته عنده في ابن الخطيب لعداوتهم له ، ثم بلغه انه يغري السلطان عبد العزيز بتملك أرض الاندلس وقطع دعوة بنى الاحمر منها ، فعظم عليه ذلك ودبر الحيلة في قتل ابن الخطيب ، وتبع أعداؤه كلمات زعموا أنها صدرت منه في بعض تأليفه فاحصوها عليه ورفعوها الى قاضي غرناطة أبي الحسن النباهي فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وبعث ابن الاحمر برسم الشهادة مع هدية لم يسمع بمثلها الى السلطان عبد العزيز وطلب منه اقامة الحد على ابن الخطيب أو اسلامه اليه ، فصم السلطان عبد العزيز عن ذلك وأنف

لذمته أن تخفر ولجواره أن يؤذى ، وقال للوفد : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان فسى جوارى » ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس فى جملة .

ثم لما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله وولى ابنه أبو زيان وقام بأمره الوزير أبو بكر بن غازى عاود ابن الاحمر الكلام فى شأن ابن الخطيب وبعث بهدية أخرى الى الوزير المذكور وطلب منه اسلامه اليه ، فابى الوزير وأساء الرد ، وعادت رسل ابن الاحمر اليه مخففين ، وقد رهبوا سطوته ، فعند ذلك عمد ابن الاحمر الى الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، وكان عنده بالاندلس فاطمعه فى ملك المغرب وأركبه البحر ، فقذف به بساحل بطوية من بلاد الريف تشغيا على الوزير أبى بكر بن غازى كما مر ، ثم تاب له رأى آخر فأغرى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبى بكر بن غازى المذكور ، وكان يومئذ بسبته قائما على ثغرها ، فداخله فى البيعة لابی العباس بن أبى سالم ، وكان يومئذ بسبته محتاطا عليه فى جملة من القرابة ، والتزم أن يمدد بالمال والرجال حتى يتم أمره ، لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق ، ويبعث له بالقرابة الذين هم بطنجة ليكونوا تحت يده ، ويسلم اليه ابن الخطيب متى قدر عليه ، فكان الامر كذلك ، فان السلطان أبا العباس لما استولى على الامر نزل لابن الاحمر عن جبل طارق فمحا دعوة بنى مرين من وراء البحر ، ثم ملك بعد ذلك سبته فاستولى عليها ، وبعث اليه بالقرابة المذكورين فوسع لهم جناحه بفرناطة ، ثم قبض السلطان أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطبخوا بالاعلام لابن الاحمر ، فحيثئذ بعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك ، وكان من تلامذة ابن الخطيب وبه تخرج ، فقدم على السلطان أبى العباس وأحضروا ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء ، وعرضوا عليه بعض كلمات وقعت له فى بعض كنبه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل ، وامتنحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاء ، ثم ثل الى مجبسه ، وتفاوضوا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فاتفى بعض الفقهاء بقتله ، فدرس سليمان بن داود اليه

بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعافنة من أهل الاندلس
 جاءوا في ليل في ذلك الوفد فقتلوه خنقا في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد
 فدفن في مقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من الغد طريحا على شافة قبره وقد
 جمعوا له أعوادا فأضرموها عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره ، وأعيد الى
 حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء
 بها سليمان بن داود واعتدوها من هناته ، وعظم التكبر فيها عليه وعلى قومه وأهل
 دولته .

وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت
 فتجيش هوائفه بالشعر يبكي نفسه فمما قال في ذلك :

بعثنا وان جاورتنا البيوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما	وكنا نقوت فيها نحن قنوت
وكنا شمس سماء العلاء	غربنا فناحت عليها السموت
فكم جدلت ذا الحسام الطيبي	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق المقبر في خرقه	فتي ملئت من كسائه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له	فقل يفرح اليوم من لا يموت
وكانت نكبته رحمه الله أوائل سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وعند الله	تجتمع الخصوم .



بقية اخبار امير مراكش عبد الرحمن بن ابي يفلوسن رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من معاقدة السلطان أباي العباس والامير عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن على ولاية سجلماسة أولا ثم التعويض عنها بمراكش ثانيا ، فلما فتح السلطان أبو العباس فاسا وفي للامير عبد الرحمن بعقده فسار الى مراكش واستولى عليها وعلى أعمالها ، واقتسمت مملكة المغرب الأقصى يومئذ بنصفين .

وكان الحد بين الدولتين ثغر آزمور فكانت في ايالة صاحب فاس ، وما وراءها الى مراكش في ايالة صاحب مراكش ، ثم كانت بينهما بعد ذلك موصلات ومناقضات ومسلمات ومحاربات يطول جلبها ، واتصل ذلك الى منتصف سنة أربع وثمانين وسبعمائة فظفر السلطان أبو العباس بعبد الرحمن بعد محاصرته بقصبة مراكش تسعة أشهر ، ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانفض الناس من حول الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وبقي هو في قصبته منفردا بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما: سليم وأبو عامر ، وركب السلطان أبو العباس من الغد في التبيية الى القصبة فافتحمها بمقدمته ولقيه الامير عبد الرحمن وولداه مسابقين الى الميدان ومباشرين القتال بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسي .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان يمتري ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء في جاههم فذهب مثلا في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة » وكان ذلك خاتم جمدي الآخرة سنة أربع وثمانين المذكورة لمضى عشر سنين من امارة عبد الرحمن على مراكش ، ثم رحل السلطان أبو العباس منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله غالب على أمره .

ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم

ذكر ابن خلدون أن الشاوية من واد حسان بن أبي سعيد الصيحي نسبة إلى صييح بالتصغير بطن من سويد ، وسويد إحدى قبائل بني مالك بن زغبة الهلالين ، وكان دخول حسان وأخيه موسى ابني أبي سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ، قدموا في صحبة عبد الله بن كندوز العبد الوادي ثم الكمي ، وكان عبد الله هذا قد نزع عن يغمراسن بن زيان إلى السلطان يعقوب المذكور فقدم عليه قبل فتح مراكش ، فاهتز السلطان يعقوب لقدمه وأحلّه بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهاز مراكش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل انتجاع ابله ورواحله وسائر ظهره في أحيائهم ، فقدم عبد الله بن كندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصيحيين وكانا عارفين برعاية الأبل والقيام عليها فأقاموا يتقبلون في تلك البلاد ويتعدون في نجعتها إلى أرض سوس ، وكانت ماشية السلطان يعقوب متفرقة في سائر المغرب فجمعها لعبد الله بن كندوز ، وجمعها عبد الله لحسان الصيحي المذكور ، فكان حسان يباشر أمور السلطان في شأن تلك الماشية ويطالعه بمهماتة فحصلت له مداخلة معه جلبت إليه الحظ حتى ارتفع قدره ، ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات منها وانفردوا بخطة الشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد إلى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات ، وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم ، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده قال ابن خلدون : « وهم لهذا العهد يتصرفون في الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الأبل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة » اه قلت : ولفظ الشاوية نسبة إلى الشاء التي هي جماعة الغنم مثلاً قال الصحاح : « والنسبة إلى الشاء شؤى قال الراجز :

لا ينفع الشاوى فيها شاته * ولا حماراه ولا علاته

وان سميت به رجلا قلت شائى وان شئت شاوى » اه .

واعلم أن الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسنا من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر غير أن لسان الجميع عربى ، وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ، ثم انضفت اليهم قبائل أخرى ، واختلطوا بهم فأطلق على الجميع شاوية تغليا ، وهكذا وقع فى سائر عرب المغرب الاقصى المواطنين بتلوله فانهم وقع فيهم اختلاط كبير حتى نسوا أنسابهم وأصولهم الاولى الا فى النادر ، وذلك بسبب تعاقب الاعصار وتناسخ الاجيال وتوالى المجاعات والانتجاعات ووقعات الملوك بهم فى كثير من الاحيان وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم الى بلاد بعض ، ومع ذلك فأسماؤهم الاولى لا زالت قائمة فيهم لم تتغير الى الان فمنها يهتدى الفطن الى التنقيب عن أنسابهم والحق فروعهم باصولهم متى احتاج الى ذلك . والله تعالى أعلم .



نهوض السلطان ابي العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها

لما نهض السلطان أبو العباس الى مراكش وحاصر بها عبد الرحمن بن أبي يفلوسن خالفه الى المغرب أبو حمو بن يوسف الزياني فى جمع من أولاد حسين عرب معقل وذلك باغراء عبد الرحمن المذكور ، فدخلوا الى أحواز مكناسة وعانوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعا وخربوا قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفلوا من كل ناحية ومر أبو حمو فى طريقه الى تلمسان بقصر ونزمار بن عريف السويدي فى نواحي بطوية المسمى بمراة فهدمه .

ووصل السلطان أبو العباس الى فاس فأراح بها أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان فأنتهى الى تاوريرت ، وبلغ الخبر الى أبي حمو فاضطرب رأيه

واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه فاستعدوا له ، ثم بدا له فخرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيما بالصفيصف فأهرع أهل البلد اليه بعيالهم وأولادهم متعلقين به تفاديا من معرة هجوم العسكر عليهم فلم يزع ذلك عن قصده ، وارتحل ذاهبا الى البطحاء ، ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بو سعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاصغر وأهله بحصن تاجحمومت وجاء السلطان أبو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها أياما ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها باغراء وليه ونزما جزاء بما فعله أبوحمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ، ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وهناك بلغه الخبر باجازه موسى بن أبى غنان من الاندلس الى المغرب ، وأنه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا عوده على بدئه ورجع أبو حمو الى تلمسان فاستقر ملكه بها الى أن كان ما نذكره ان شاء الله .



خلع السلطان أبى العباس بن أبى سالم وتغريبه الى الاندلس

والسبب فى ذلك



قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر فى مملكة المغرب ودالته على السلطان أبى العباس بما أنه كان السبب فى ولايته وبما تحت يده من القرابة المرشحين الذين أرصدهم للتشغيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من أحدهم ما لا يوافق هواه ، وكان مع كثرة تحكمه فيهم يتجنى عليهم فى بعض الاوقات بما يأتونه من تقصير فى شفاعاة أو مخالفة فى أمر لا يجدون عنها محيصا فيضطغن ذلك عليهم ، وكان يعتد على السلطان أبى العباس بشىء من هذه الهنات .

فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وثمانين وسبعمائة اتصل بابن الاحمر أن دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فاتتهز الفرصة وبادر بتسريح موسى ابن السلطان أبى غنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد

الرحمن بن ماسى رئيس الفتنة وقطب رحاها ، وكان عنده بالاندلس بعبد مفارقة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، فنزل موسى بن أبى عنان سبعة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت فى طاعته ، ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها .

واتصل الخبر بالسلطان أبى العباس وهو بلمسان فجاء مبادرا ونزل بتازا فأقام بها أربعا ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسلموا الى موسى طوائف وأفرادا ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره وأضرمت النار فى خيامه وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ثم بعث موسى بن أبى عنان من أتاه بالسلطان أبى العباس فى الامان فقدم عليه وقيده وبعث به الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطا عليه الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله .

وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما ، ومن وزرائه فى هذه الدولة : محمد بن عثمان بن الكاس المجذولى ومن كتابه : عبد المهيم بن أبى سعيد بن عبد المهيم الحضرمى تغمد الله الجميع برحمته .

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى فارس موسى

ابن أبى عنان بن أبى الحسن

أمه : مولدة اسمها تاملالت ، صفته : أسمر مائل الى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية تملأ صدره قائم الانف واذا تكلم يملأ لسانه فمه فيخرج من بين شفتيه ويتحرك فيقبح كلامه ، بويج يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة وقام بامر دولته وزياره مسعود بن ماسى مستبدا عليه ، ولما استقر أمره بالحضرة وجه اليه ابن الاحمر أمه وعياله وكانوا عنده وهناه وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشيح يقول فى

مطلعه :

قد نظم الشمل أتم انتظام
وضاحك الروض نفور الغمام
الى أن قال في آخره :

مولاي يهنيك وحق الهنا
قد فزت بالفخر ونيل المنى
وقرت العين وزال الغنا
ولم يزل ملكك حلف الدوام
يتلو عليك الدهر بعد السلام



خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي اليه



كان الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد قد لحق من مقمره بالاندلس بحضرة تونس في سبيل طلب الملك ، وكان الوزير مسعود بن ماساي قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس وافترقت حاشيته في الجهات فطلبوا بطن الارض دون ظهرها ، ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعثر على الحسن بن الناصر بها فتاب له رأى في الرجوع به الى المغرب لطلب الامر ، فخرج به من تونس وقطع المفاوز الى أن انتهى الى جبال غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه ومنقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته ، واستوزر العباس ابن المقداد .

وبلغ الخبر الى مسعود الوزير فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن عبد الرحمن بن ماساي فحاصره بجبل الصحيفة أياما فامتنع عليه فنهض اليه مسعود بنفسه على ما ذكره .



وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله



لما كان من استبداد ابن ماسى على السلطان موسى ما قدمناه استكشف من ذلك وداخل بطانته فى الفتك به فمما ذلك اليه وحصلت له نفرة من السلطان طلب لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لدافعة الحسن بن الناصر القائم بغماره ، واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماسى ، فلما انتهى الى قصر كنامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى ، وكانت وفاته فى جمادى الآخرة طرقة المرض فهلك ليوم وليلة من مرضه ، وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه ، قاله ابن خلدون .

وقال ابن القاضى فى الجذوة : « توفى السلطان موسى بن أبى عنان مسموما يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وله احدى وثلاثون سنة فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر وولى بعده محمد بن أحمد بن أبى سالم » اهـ

ومن كتابه: أبو الفضل محمد بن محمد بن أبى عمرو التميمى وأبو القاسم محمد بن سودة المرى ، ومن قضاته : أبو عبد الله محمد بن محمد المغبلى والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبى زيان محمد بن أبى العباس

ابن أبى سالم بن أبى الحسن



أمه: حرة وهى رقية بنت السلطان أبى عنان، صفته: أبيض اللون قائم الانف أسيل الخدين ، بويغ بعد خاله موسى بن أبى عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وسنه يوم بويغ خمس سنين

وخلع يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة وغرب الى الاندلس مع أبيه فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوما تحت استبداد الوزير مسعود عفا الله عنه .

الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن

أمه : أم ولد اسمها عسيلة ، صفته : أسود اللون عظيم الخلق رحب الوجه طويل القامة والساقين ممتلئ الأنف عظيم الساعدين ، وكان قبل ولايته عند ابن الأحمر بالاندلس فى جملة القرابة ، ولما استوحش الوزير مسعود من السلطان موسى بن أبي عنان بعث ابنه يحيى الى ابن الأحمر يسأل منه إعادة السلطان أبي العباس الى ملكه فأخرجه ابن الأحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدو ، فلما توفي السلطان موسى بدا للوزير مسعود فى أمره ودس لابن الأحمر فى رده وأن يبعث اليه بالواثق هذا ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسغفه ابن الأحمر فى ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجيء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده فاجازه الى سبتة ، واتفق أن جماعة من الحاشية انتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبتة فقدم عليهم الواثق بها ورجعوا به الى المغرب وتقبلوا فى نواحيه الى أن وصلوا الى جبل مغيلة قرب فاس ، فبرز الوزير مسعود فى العساكر ونزل قبالتهم وقتلهم هنالك أياما ثم وقع الاتفاق على أن يبايع مسعود للواثق بشرط الاستبداد فتم العقد على ذلك .

قال فى «الجذوة» : بوع السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وقام بأمره الوزير مسعود بن ماسى ، ثم حدث الفتنة بين الوزير المذكور وابن الأحمر بسبب أن الوزير طلب منه إعادة سبتة الى الايالة المرينية وكان موسى بن أبي

عنان قد نزل له عنها كما مر وكان طلبه على سبيل الملاطفة فاستشاط ابن الأحمر غضبا وأساء الرد فجهز ابن ماسى العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر ابن عثمان الوسافى ويحيى بن علال بن آمصمود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بنى الأحمر فاستولى عليها ، ثم سرح ابن الأحمر السلطان أبى العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللتغيب على ابن ماسى الجاحد لاحسانه ، فعبّر السلطان أبو العباس البحر الى المغرب فاحتل سبتة واستولى عليها ، ثم تقدم الى فاس فحاصرها وضيق على ابن ماسى وسلطانه الوثائق بالله ، وأهرع الناس الى الدخول فى طاعته حتى من مراکش ، فاستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر ، ثم أذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط أن يبقى وزيرا ويغرب سلطانه الى الاندلس فاجيب وخلع الوثائق بالله ، ثم خرج الى السلطان أبى العباس فبايعه وتقدم أمامه فدخل دار ملكه يوم الخميس خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ولحين دخوله قبض على الوثائق بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك وسنه يوم قتل ثمان وثلاثون سنة وبها قبر .

ومن وزرائه : يعيش بن على بن فارس اليبانى ومسعود بن رحو بن ماسى ، ومن كتابه : منصور بن أحمد بن محمد التميمى ، وأبو يحيى محمد ابن محمد بن أبى القاسم بن أبى مدين ، ومن قضاته : أبو يحيى محمد بن محمد السكاك رحمهم الله تعالى بمنه .



الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبى العباس بن أبى سالم بن أبى الحسن



لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فاس الجديد فى التاريخ المتقدم بوبع البيعة العامة فى اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لمضى ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من

خلعه .

ولما ملك أمر نفسه قبض على الوزير ابن ماسى وعلى اخوته وحاشيته وامتحنهم امتحانا بليغا فهلكوا من العذاب ، ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله فى دور بنى مرين النازعين عنه اليه ، فانه كان متى هرب منهم أحد عمد الى بيوته فنهبها فامر السلطان أبو العباس بعقابه فى اطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا الى أن يرح به العذاب وتجاوز الحد ، ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية وذهب مثلا للآخرين .



ظهور محمد بن عبد الحليم بن ابي على بسجلماسة ثم اضمحلالة بعد ذلك



قد قدمنا أن الامير عبد الحليم بن أبى سعيد كان تغلب على سجلماسة ثم غلبه عليها أخوه عبد المؤمن ، وسافر عبد الحليم الى المشرق فهلك فى سفرته تلك ، وكان قد ترك ابنه محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا بين الدول من ملك الى آخر على أن أكثر مقامه انما كان عند أبى حمو صاحب تلمسان ، ولما حاصر السلطان أبو العباس فاس الجديد كان محمد هذا عند العرب الاحلاف ، فلما اشتد الحصار على مسعود بن ماسى دس الى الاحلاف أن ينصبوا محمد ابن عبد الحليم للامر ويجلبوا به على المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبى العباس عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحليم سجلماسة فملكها حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على فاس الجديد وأوقع بمسعود بن ماسى واخوته خرج محمد بن عبد الحليم عن سجلماسة ولحق باحياء العرب فسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمنه ونزل على أبى حمو بتلمسان الى أن هلك فسار الى تونس ونزل على صاحبها أبى العباس الحفصى ، ثم ارتحل بعد وفاته الى المشرق لحج الفريضة والله تعالى أعلم .

نكبة الكاتب ابن ابي عمرو وحر كات بن حسون ومقتلهما

كان محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي ، وقد تقدم ذكر والده ، في دولة السلطان أبي عنان كاتباً عند السلطان أبي العباس في دولته الاولى ، فلما خلع وولى موسى بن أبي عنان تقرب اليه بسالف المخالصة لابيهِ من أبي عنان فقد كان أعز بطاته كما مر ، فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفع منزلته على منازل أهل الدولة وجعل اليه كتابة علامته على المراسيم السلطانية كما كان لابيهِ ، وكان يفاوضه في مهماته ويرجع اليه في أموره حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى في جماعة من بطانة السلطان أبي العباس فاتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجرى بينهم وبينه في مجالس المنادمة عند السلطان أبي العباس حقدوا عليهم ، فلما ظفر بالحظ من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم ، وكان القاضي أبو اسحق ابراهيم الزنناسي من بطانة السلطان أبي العباس وكان يحضر مع ندمائه فحقد عليه ابن أبي عمرو وأغرى به السلطان موسى فضربه وأطافه ، وجاء بها شنعاء غريبة في القبح ، ثم سفر ابن أبي عمرو عن سلطانه موسى الى الاندلس فكان يمر بمجلس السلطان أبي العباس من محل اعتقاله فلا يلم به وربما يلقاه فلا يحييه ولا يوجب له حقاً ، فأحفظ ذلك السلطان أبا العباس فلما رد الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماساي قبض على ابن أبي عمرو هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك تحت السياط وحمل الى داره ، وبينما أهله يحضرونه الى قبره اذا بالسلطان قد أمر بان يسحب في نواحي المدينة ابلاغاً في النكال فحمل من نعشه وقد ربط في رجله جبل وسحب في سكك المدينة ثم ألقى على بعض المزابيل .

ثم قبض السلطان على حر كات بن حسون شيخ العرب وكان مجلباً في الفتنة ، وكان العرب المخالفون من معقل لا أجاز السلطان أبو العباس الى سبته

وحرركات هذا بتادلاء راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاءوا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى اذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجديد قبض عليه وامتحنه الى أن هلك . والى الله عاقبة الامور .



اخبار تلمسان واستيلاء السلطان ابي العباس عليها



كان السلطان أبو حمو بن يوسف الزياني قد عاد الى تلمسان وثبت قدمه بها كما قلنا الى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فوقعت بينهما حروب وشرق أبوه بدائه ، ثم عادت له الكرة عليه في أخبار طويلة ، فاستمد أبو تاشفين السلطان أبا العباس فامده بابنه الامير أبي فارس ووزير محمد بن يوسف بن علال عقد لهما على جيش كيف من بني مرين وغيرهم ، فانتصر أبو تاشفين على أبيه فقتله وبعث برأسه الى السلطان أبي العباس ، ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة واستمر بها مقيما لدعوة السلطان أبي العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجيه العساكر معه واستمر على ذلك الى أن مات سنة خمس وتسعين وسبعمائة (*) ، فغلب على تلمسان أخوه الامير يوسف بن أبي حمو .

ولما اتصل الخبر بالسلطان أبي العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن

(*) وكان تازعه اخوه ابو زيان بن ابي حمو صاحب الجزائر وزحف اليه مرارا فلم يغن شيئا ثم وفد على السلطان ابي العباس متطارحا عليه على الانتصاف من اخيه فاقام عنده مدة ثم اسعجه وجيز معه عسكرا الى تلمسان منتصف سنة ٧٩٥ فانتهى الى تازا وهناك اتصل به خبر وفاة ابي تاشفين وحينئذ خرج السلطان ابو العباس من فاس انظر « كشف العين » للمؤلف

هنا لك بعث ابنه الامير أبا فارس في العساكر الى تلمسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والده وفر يوسف بن أبي حمو الى بعض الحصون فاعتصم به الى أن كان ما نذكره .



وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق

الى السلطان ابي العباس بتازا والسبب في ذلك



كان العلامة الرئيس ولى الدين ابن خلدون قد استوطن في آخر عمره مصر القاهرة ونزل من سلطاتها بالمنزلة الرفيعة قال رحمه الله : « وكان يوسف ابن على بن غانم أمير أولاد حسين من معقل ثم من أولاد جرار منهم قد حج سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، واتصل بصاحب مصر الملك الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة من الترك قال : فقدمت الى السلطان المذكور فيه وأخبرته بمحلّه من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يظرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك ، فلما قدم يوسف بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها وجلس في مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع في المكافأة عليها بمتخير الجياد والبضائع والثياب حتى اذا استكمل من ذلك ما رضى وعزم على بعثها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يبعث بها من موضع مقامه بتازا احترامه المنية دون ذلك .



وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله



كانت وفاة السلطان أبي العباس بسجل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزير صالح بن حمو اليباني وكان قد قدمهما لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فاصابه حماه هناك ليلة الخميس السابع من محرم فاتح سنة ست وتسعين وسبعمائة وحمل الى فاس فدفن بالقلعة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، ومن وزرائه في هذه الدولة: صالح بن حمو اليباني ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجي ، ومن حجابيه : أبو العباس أحمد بن علي القبائي ، ومن كتابه : الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسنى السبتي ، والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردي ، ويحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي ، ومن قضاته : القاضي أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الزناسني : قال في «الجدوة» : وكان السلطان أبو العباس شاعرا مقلعا بديع التشبيه فمن نظمه قوله :

أما الهوى يا صاحبي فألقته وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيت قوت النفوس وحليها فتخذه دينا الى ومذهبا
ولبست دون الناس منه حلة كان الوفاء لها طرازا مذهباً
لكن رأيت له الفراق منفصا لا بفراقنا لا مرجباً

ومن أخبار السلطان أبي العباس ما حكاه في «نفح الطيب» : «أن الاديب الكاتب أبا الحسن علي ابن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحباً للسلطان أبي العباس هذا ، فحضر معه ذات يوم في بستان سح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الاصيل شواهد الاصفرار وأزعم النهار لما قدم الليل على الفرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه :

يا فاس اني وايم الله ذو شغف بكل ربع به مغناه يسينى

يوسف بن أبي حمو واتصل باحياء بنى عامر بن زغبة وعزم على الاجلاب عليه بهم فسرب أبو زيان فيهم الاموال يقتلوه وبعثوا اليه برأسه فسكنت أحوال تلمسان وذهبت الفتنة بذهاب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبي فارس قاله ابن خلدون ، وهو آخر ما ورخه من دولة المغرب .

واعلم أن ما نسوقه بعد هذا من الاخبار عن هذه الدولة المرينية لم يسمح لك الوقت بالوقوف عليه في تأليف يخصها أو موضوع يقص أخبارها نسقا وينصها ، وانما تنبغا ما أثبتناه من ذلك في مواضع ذكرت فيها بحسب التبع لا بالقصد الاول وعلى الله تعالى في الهداية الى الصواب المعول .



بقية اخبار السلطان عبد العزيز ووفاته



قالوا: كان السلطان عبد العزيز بن أبي العباس رحمه الله كثير الشفقة رفيق القلب منقبضا عن الغدر متوقفا في سفك الدماء وكان فارسا عارفا برخص الخيل ويحسن قرض الشعر ويحب سماعه فمن نظم له ، وقد نزل المطر ، يشكر الله تعالى عليه ، قوله :

الله يلطف بالعباد فواجب أن يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
توفي رحمه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة
ودفن مع أبيه بالقلعة فكانت دولته ثلاث سنين وشهرا ومن وزرائه : صالح بن
حمو اليباني ويحيى بن علال بن آمصمود الهسكوري ومن كتابه : يحيى بن
الحسن بن أبي دلامة ومن قضائه : عبد الحليم بن أبي اسحق الزناسني رحمهم الله
تعالى بمنه .



الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله ابى عامر عبد الله ابن ابى العباس بن ابى سالم رحمه الله تعالى



هذا السلطان شقيق الذى قبله ، أمه : الجواهر المتقدمة . صفته : أدعج العينين حسن الانف لامى العذار . بويغ بعد أخيه عبد العزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وكان التصرف والنقض والابرام فى هذه المدة كلها للوزراء وتوفى السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمائة ، فكانت دولته سنة وخمسة أشهر سوى أيام ، ومن وزرائه : صالح بن حمو ويحيى بن علال ، ومن قضاته : عبد الرحيم اليزناسنى ، ومن حجابيه : أبو العباس أحمد بن على القبائلى وفارح بن مهدى العليج والله تعالى أعلم .

وأما أخبار الغنى بالله ابن الأحمر بالاندلس فإنه كان أسقط رئاسة الجهاد من بنى مرين بها ومجا رسمها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبى يفلوسن للتشغيب على أبى بكر بن غازى بن الكاس حسبما تقدم . وصار أمر الغزاة والمجاهدين اليه وبأشر أحوالهم بنفسه واستمر الحال على ذلك الى أن هلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، فولى مكانه ابنه أبو الحجاج يوسف وبايعه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتقبض على اخوته : سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر ، ثم سعى عنده فى خالد القائم بدولته وأنه أعد السم لقتله وان يحيى بن الصائغ اليهودى طيب دارهم قد داخله فى ذلك ففكك بخالد وتناوشته السيوف بين يديه لسنة أو نحوها من ملكه ، ثم حبس الطبيب المذكور فذبح فى محبسه ، ثم هلك سنة أربع وتسعين وسبعمائة لستين أو نحوها من ولايته .

وقد وقت لبعض الاصبويليين ، واسمه : منويل باولو القشتيلى ، على كتاب موضوع فى أخبار المغرب الأقصى فنقلت منه بعض أخبار لم أجدها الا عنده (الاستقصا - رابع - 6)

وهو وان كان ينقل الغث والسمين والرخيص والتمين الا أن الناقد البصير يميز حصاه من ذره ويفرق بين حشفه وثمره، فمن ذلك انه حكى عن السلطان أبى الحجاج المذكور ما صورته قال : « كانت مراسلات السلطان المرينى، يعنى السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغنى بالله صاحب غرناطة حسنة فى الظاهر تدل على الموافقة والمحبة وكان المرينى فى الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل الى اعمال الحيلة فاهدى الى السلطان أبى الحجاج كسى رفيعة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحيته ومع ذلك فلم يدرك المرينى غرضه فانه لم يلبث الا يسيرا حتى توفى أيضا » اه . ولما توفى أبو الحجاج بويج ابنه محمد بن يوسف وقام بامر القائد أبو عبد الله محمد الخصاصى من ضائع أبيه، قال ابن خلدون : « والحال على ذلك لهذا العهد » ولذا ذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث :

وفى سنة خمسين وسبعمائة كان الوباء الذى عم المسكونة شرقا وغربا على ما نبهنا عليه فيما مضى .

وفى سنة خمس وستين وسبعمائة توفى الولي الزاهد أبو العباس أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر الاندلسى تزيل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن سعد التلمسانى فى كتابه : « النجم الثاقب فيما لاولياء الله من المناقب » : كان ابن عاشر أحد الاولياء الابدال معدودا فى كبار العلماء مشهورا باجابة الدعاء معروف بالكرامات مقدما فى صدور الزهاد منقطعاً عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحى العباد ملازما للقبور فى الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر فى أمر الرزق ، وله أخبار جلية وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من الخلق شديد الهية عظيم الوفا كثير الخشية طويل التفكير والاعتبار ، قصده أمير المؤمنين أبو عثمان وأرتحل اليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث اليه بعض أولاده بكتاب كبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فأجاب به بما قطع رجاءه منه وأياسه من لقائه فاشتد حزنه وقال : « هذا ولى من

أولياء الله تعالى حجه الله عنا « اه . ومناقب الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس ابن عاشر الجافى من علماء سلا كتابه المسمى «بتحفة الزائر فى مناقب الشيخ ابن عاشر» فانظره . وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وهى السنة التى قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطينى المعروف بابن قنفذ فى كتابه «انس الفقير» ما حاصله : «انه رجع من هجرته بالمغرب الاقصى فى السنة المذكورة الى بلده قسنطينة فاجتاز فى طريقه بتلمسان» قال : وفى هذه السنة كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب فأقامت بتلمسان نحو شهر أنتظر تسير سلوك الطريق فالتجأت الى قبر الشيخ أبى مدين ودعوت الله عنده فوقع ما أملته وارتحلت بعد أيام يسيرة فرأيت فى الطريق من الخير ما كان يتعجب منه من شاهده ، وكان أمر الطريق فى الخوف والجوع بحيث أن كل من تقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين ، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى ان منهم من يسمعننا ضرب الاكف خلفنا تحسرا علينا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوى المعروف بابن المجراد صاحب «لامية الجمل» وشرح الدرر» وغيرهما من التأليف الحسان ، قال صاحب «بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته فى الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب» فى حق الشيخ المذكور : «كان محدثا حافظا راوية له معرفة بالرجال والمغازى والسير وكان رجلا صالحا حسن السيرة صادق اللهجة انتفع به الناس وظهرت بركته على كل من عرفه أو لازم مجلسه أو قرأ عليه من صغير أو كبير» قال : «وذلك عندنا معروف بسبته مشهور بين أهلها وانتقل الى بلده سلا وتوفى بها فى السنة المذكورة» قلت : وقبره مشهور بها الى الآن وعليه قبة صغيرة وهو من مزارات سلا خارج باب المعلقة منها عن يمين الخارج على نحو غلوة وأهل سلا يسمونه سيدى الامام السلاوى رحمه الله ورضى عنه

وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة توفى الشيخ الامام العارف المحقق
الربانى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزى المعروف بابن عباد شارح (الحكم
العطائية) وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور آنفاً، قال صاحبه وأخوه فى الله
الشيخ أبو زكرياء السراج فى حقه مانصه: «كان حسن السميت طويل الصمت كثير
الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق على الهمة متواضعا معظما عند الخاصة
والعامة، نشأ ببلدة رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو
ابن سبع سنين، ثم اشتغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية
والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها، ثم أخذ فى طريق الصوفية
والمباحثة عن الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم فى علوم الاحوال والمقامات
والعلل والآفات وألف فيها تأليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة، وله أجوبة
كثيرة فى مسائل العلوم نحو مجلدين، ودرس كتباً وحفظها كلها أو جلها» الى
أن قال: «ولقى بسلا الشيخ الحاج الصالح السننى الزاهد الورع أحمد بن عاشر
وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال رحمه الله: «قصدهم لوجدان السلامة
معهم»، وتوفى رحمه الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب
من السنة المذكورة وحضر جنازته السلطان أبو العباس بن أبى سالم فمن دونه
وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به رحمه الله ورضى عنه.

ومن فوائده التى نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره فى رسائله قال:
«كنت قد ما خرجت فى يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل
البحر فوجدت هنالك سيدى الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضى عنه
وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا منى الاكل فقلت: انى صائم
فنظر الى سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لى: «هذا يوم فرح وسرور يستقبح
فى مثله الصوم كالعيد» فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظنى من النوم» اهـ
واعلم انه فى آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال
المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس ومألوقاتهم وأزيائهم. قال ابن خلدون
فى مقدمة تاريخه بعد أن ذكر أن الاحوال العامة للاتفاق والاجيال والاعصار
هى أس المؤرخ الذى تنبنى عليه أكثر مقاصده ما نصه: «وأما لهذا العهد وهو

آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذى نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة ، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كروههم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان، وشاركوهم فيما بقى من البلدان بملكتهم وبأسهم ، هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال أحوالها ، وانتقص عمران الارض باتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ، ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانه ، وكأنما نادى لسان الكون فى العالم بالخموم والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها ، واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدد الى آخر كلامه رحمه الله، فافهم هذه الجملة وتفطن لاحوال الدول التى سردنا أخبارها فيما مضى وأحوال التى نسرد أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك والسبب فيه والله تعالى الموفق للصواب بمنه .



الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس

ابن أبي سالم



هذا السلطان هو ثالث الاخوة الاشقاء من بني أبي العباس الذين ولوا الامر من بعده ولاء. أمه: الجواهر أم أخويه قبله. بويغ بعد صلاة العصر له من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمدى الآخرة سنة ثمانمائة وسنه يومئذ ست عشرة سنة وكان القبض والابرار وسائر التصرفات فى دولته للوزراء والحجباء والسلطان متفرغ لاستيفاء لذاته ، ومن أكبر حجابيه : أبو العباس القبائلى الذى تذكر خبره الآن .



حجابه ابي العباس القبائلى ونكبته ومقتله والسبب فى ذلك (*)



بيت بنى القبائلى بيت مشهور فى الوزارة والحجابه والكتابة من لدن الدولة الموحدية بمراكش الى هذا التاريخ ، وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن على القبائلى كاتباً مشهوراً وحاجباً مذكوراً وكان قد بذل الاقران وتصدر على الاعيان وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً ، وكان يحابى بالخطط السلطانية الاقارب والارحام لا يعدل بها عمن سواهم فاضطغت عليه القلوب وكثرت فيه السعايات الى أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقعة شعاء كان من خبرها: انه كان للحاجب المذكور ولد اسمه عبد الرحمن وكان من فضلاء وقته ، وكان لعبد الرحمن هذا ولد اسمه على وكان من نجباء الابناء فكان لجده أبى العباس لذلك ميل اليه ومحبة وافتتان به ، فاتفق أن

(*) انظر ترجمة القبائلى هذا فى «الضوء اللامع» للسخاوى ولا بد ، بقذفادج ١ صفحة ٤٧

مرض هذا الحافد ذات يوم فنزل جده أبو العباس من الحضرة بفاس الحديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمن من عدوة القرويين من فاس القديم وكانت الدار بزقة الحيلة من الطالعة فبات الشيخ عند حافده تلك الليلة ، وكان منذ ولي خطة الحجابة لم يغب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ في ذلك بالحزم بحيث يسد أبواب الحضرة ويفتحها ويأشر سائر الامور السلطانية بنفسه ، فلما أراد الله انفاذ قدره غطى على عقله وبصره فتساهل في تلك الليلة وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه في غلق الابواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام بالامور السلطانية أبى محمد عبد الله الطريفي الاتى ذكره فغلقا الابواب على العادة ، ولما كان الصباح من الغد تقدم الولد أبو القاسم لاختد المفاتيح من دار الخلافة فأخرجت اليه وتولى فتح الابواب وحده دون أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف ، فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الابواب مفتحة بدون حضوره أخذه من ذلك ما قدم وما حدث وأسرها في نفسه حتى اذا كان المساء وحضر الوقت المعهود لغلق الابواب طلع للحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائلي يعرف بأبى سعيد فبادر أبو محمد فسد الابواب في وجهه قبل أن يصل اليه وأمسك المفاتيح عنده واستبد بها فطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فتحهمه وامتنع وكأنه أمر دبر بليل ، ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور الى السلطان أبى سعيد فاعلمه بما اتفق له مع أولاد الحاجب فأوعز اليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه الا وقت فتحه المعتاد وزاد في الوصية بان لا يفتح ولا يغلق الا بمحض السعيد ابن السلطان أبى عامر رحمه الله . ولما رجع أبو سعيد الى والده بعدوة القرويين من فاس أعلمه بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتلا غيظا وقامت قيامته وكانت فيه دالة على السلطان فتخلف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء : (اذا عاديت من يملكك فلا تلمه انه يهلكك) ، ثم استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث اليه براءة بخطه ليزيل ما يصدره من الموجدة فكتب الحاجب جوابها ، وأقسم أن لا يطأ بساطا فيه فارح بن مهدي العليج وكان فارح هذا بعين التجلة من السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب حمى أنفه وأظلمت الدنيا

فى عينيه وأمر بالايقاع بالحاجب فى الحين فذبح هو وولده عبد الرحمن يوم
الخميس الموفى ثلاثين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، وكان عبد الرحمن
هذا فاضلا شاعرا فمن شعره فى الغزل قوله :

أتسمع فى الهوى قول اللواحى	وقد أبصرت خشف بنى رياح
غزال خلف الصب المعنى	من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت ولا اثم عليها	مراض جفونه كل الصحاح
يقول ولحظه بالعقل يزرى	على م تطيل وصفى وامتداحى
فقلت فنون سحر فيك راقى	قضت للقلب بالعشق الصراح
جيتك والمقلد والتأيا	صباح فى صباح فى صباح

وبقى الحافد أبو الحسن على بن عبد الرحمن المذكور مرتبا فى جملة
الكتاب وكان فاضلا شاعرا أيضا ولما مرض السلطان أبو سعيد فى شعبان سنة
سبع وثمانمائة وصح من مرضه وهنأته الشعراء بقصائد كثيرة فكان من جملتهم
أبو الحسن المذكور فقال :

هنيئا لنا ولكل الانام	براحة فخر الملوك الهمام
امام أقام رسوم العـلا	وحل من المجد أعلى السنام
به قرت العين لما بدا	صحيحا وما ان به من سقام
وهل هو الا كبر الدجا	يوارى قليلا وراء الغمام
ويظهر طورا فيجلو به	عن الناس يا صاح ساجى الظلام
أو الليث يعكف فى غيله	فتحذر منه السباع اهتجام
أمولاي عثمان بحر الندى	ومردى العداة ونجل الكرام
لقد رفع الله مقداركم	فنفسى الفداء لكم من امام
أمولاي عبدك قد ضره	أقول رضاكم وبعد المرام
وأضحى كئيبا لابعادكم	مشوقا لتقيل ذاك المقام
فكن راحما يا امام الورى	عطوفا بمملوكك المستهام
لعل الذى ناله ينقضى	وتشمل منك هبات جسام
فأيديك الله بالنصر ما	ترنم فوق الفصون حمام

حجابه فارح بن مهدي وأوليته وسيرته



قال ابن خلدون : « فارح بن مهدي من معلوجي السلطان يعني أبا العباس وأصله من موالي بني زيان ملوك تلمسان » اهـ . وقال في « الجذوة » : « هو من موالي السلطان أبي سعيد بن أبي العباس » . ولا منافاة بين الكلامين والله أعلم . ولما قتل أبو العباس القبائلي ولي الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا . قال في « الجذوة » : ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شيخا مجربا للامور عارفا مجيدا في التدبير قد أعطى الرياسة حقها والخطط مستحقها وكان ممسكا عنه فلا يميل مع نفسه ولا يسحب أردانه ولا يوحش سلطانه موسوما عند الخلافة بالامانة ملحوظا لديها بعين المروءة والصيانة . وكان السلطان أبو سعيد يعتنى به لاجل كبر سنه وتربيته الحرة : آمنة بنت السلطان أبي العباس (*) : كانت تبدي له وجهها في حالي صغرها وكبرها فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره . بهذا ذكره التاورتي ولعل فيه تعريضا بالحاجب قبله . ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في كتابه : « مرآة المحاسن » على مدينة تيجساس وصفها بقوله : « انها في شرقي تطاوين على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل من غربها وتحتها من شمالها جرف كبير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ولها نهر نفاع يجلب اليها منه جدول ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقى الزرع والكتان والثمار فأهلها في أمن من القحط » الى أن قال : « ولم تزل عامرة الى حدود ثمانمائة فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي انوالى عليها من قبل بني مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الآن » اهـ : قلت : وفي هذه المدة خربت تطاوين القديمة أيضا فزعم منويل في تاريخه : أن قراصين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم كانت تغير على سواحل اصبانيا وتغنم مراكبها ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريكي الثالث شكوادرة لغزو تطاوين ومراكبها فاتته الى وادي مرتيل وأفسدت قراصين

(*) آمنة المرينية التي نسب اليها البستان (للمؤلف)

المسلمين التي به ثم نزلت عساكر الاصبنيول للبر فافتحمت مدينة تطاوين بعد أن جلا أهلها عنها وخربتها وعانت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بناؤها على يد الرئيس أبي الحسن على المنطري الغرناطي كما سيأتي . وكانت وفاة فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم .



حجاجة ابي محمد الطريفي وسيرته



لما توفي الحاجب فارح بن مهدي ولي الحجاجة من بعده أبو محمد عبد الله الطريفي وكان من فضلاء الحجاب وهو الذي بنى مسجد السوق الكبير بفاس الجديد وحبس عليه كتب كثيرة فكان ذلك من حسناته الباقية نفعه الله بقصده .



حدوث الفتنة بين السلطان ابي سعيد والسلطان ابي فارس الحفصي والسبب في ذلك



لما توفي السلطان أبو العباس الحفصي صاحب تونس ولي الامر من بعده ابنه أبو فارس المذكور فوزع الوظائف من الامارة والوزارة وولاية الاعمال على اخوته فاعتضد بهم ، وكان من جملتهم أخوه أبو بكر بن أبي العباس بقسنطينة فنازعه بها ابن عمه الامير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي صاحب بونة وألح عليه في الحصار فصمد اليه السلطان أبو فارس الحفصي وأوقع به على سيوس وقعة شعاء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخا صاحبها ، وهو يومئذ أبو فارس المريني ، فأقام أبو عبد الله بفاس الى سنة عشر وثمانمائة في دولة السلطان أبي

سعيد فاتفق أن فسد ما بين السلطان أبي فارس الحفصي وبين اعراب افريقية من سليم فقدمت طائفة منهم حضرة فاس مستجدين السلطان أبا سعيد على صاحبهم أبي فارس فألقوا عنده الامير أبا عبد الله المنهزم بسيوس كما مر، فعقد له السلطان أبو سعيد على جيش من بنى مرين وغيرهم وبعنه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقته اعراب افريقية طائفة وهون عليه المراتب شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فأخذ بجاية من أبي يحيى وفر في البحر، وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف الى السلطان أبي فارس فخالفه الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار أهلها معتقلين الى الحضرة، وعقد عليها لاحمد ابن أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبي عبد الله المذكور فنزع المراتب عنه الى السلطان أبي فارس لعهد كان بينهما، فانفض جمع أبي عبد الله وقتل واحتز رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه بباب المحروق احد ابواب فاس اغاظه للسلطان أبي سعيد وذلك سنة اثنى عشرة وثمانمائة . ثم تحرك السلطان أبو فارس الى جهة المغرب قاصدا أخذ الثار من السلطان أبي (*) سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان أبو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جليلة فقبل ذلك أبو فارس وكافأ عليه وانكفأ راجعا الى حضرته، ولحقته في طريقه بيعة أهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب الاندلس أيضا قاله صاحب « الخلاصة النقية » وهو الاديب أبو عبد الله محمد الباجي أحد كتاب الدولة التركية بتونس .



(*) كان زحف ابي فارس الى المغرب سنة ٨٢٧ هـ - كما عند الزركشي صفحة ١١٠ وهلك ابو سعيد سنة ٨٢٣ هـ وعليه فاز السلطان المريني الماخوذ منه الثار هو احد الملوك الذين تعاقبوا على مملكة المغرب قبل السلطان عبد الحق كما يعلم تحقيق ذلك في تاليفنا الموضوع في تاريخ المغرب فراجعته تستقد والله اعلم للمؤلف

استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله

كان جنس البرتقال وهو البردقيز فى هذه السنين قد كثر بعد القلة واعتز بعد الذلة وظهر بعد الخمول وانتعش بعد الذبول فانتشر فى الأقطار وسما الى تملك الامصار فانتهى الى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل ، وألح على سواحل المغرب الأقصى فاستولى فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرته لها حصارا طويلا ، وسلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجمة ، وسلطان البرتقال يومئذ خوان الاول

وذكر منويل فى تاريخه : أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله بن أحمد أخو أبى سعيد المذكور وسيأتى كلامه بتمامه .

وذكر صاحب «نشر المثنى» : فى كيفية استيلاء البرتقال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال : « رأيت بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصارى جاءوا بصناديق مقلعة يوهمون أن بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهله الى سلطان فاس مسترخين له ، وعليهم المسوح والشعروالوبر والنعال السود رجالا ونساء وولدانا فانزلهم بملاح المسلمين ثم ردهم الى الفحص قرب بلادهم لعجزه عن نصرتهم حتى تفرقوا فى البلاد والامر لله وحده » قال : « وسمعت من بعضهم أن الذى جرأ النصارى على ارتكاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يفوض اليهم انتصرف فى المرسى والاستبداد بغلتها ويبدلوا له خراجا معلوما فى كل سنة فكان حكم المرسى حينئذ لهم دون المسلمين ولو كان المسلمون هم الذين يلون حكم المرسى ما تركوهم ينزلون ذلك العدد من الصناديق مقلعة لا يعلمون ما فيها والله أعلم بحقيقة الامر » .

ولما استولى البرتقال على سبتة اعتنى بها وحصنها واستمرت فى ملكتهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة ثم ملكها منهم طاغية الاصنيول فى سبيل مهادنة وشروط انعقدت بينهم بمدينة أشبونة فى حدود الثمانين وألف ، وأخبار السلطان أبى سعيد كثيرة ، وقد أرخ دولته وسيرته الكاتب أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورتى رحمه الله . وتوفى السلطان المذكور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وولى الامر من بعده ابنه عبد الحق الاخير ، كذا ذكره فى « جذوة الاقباس » . وقد ذكر منويل فى أمر أبى سعيد ووفاته ما يخالف هذا ، قال : « لما كانت دولة السلطان أبى سعيد المرىنى كان المسلمون أهل جبل طارق قد سئموا ملكة ابن الاحمر صاحب غرناطة وتحققوا بان المرىنى أقوى منه شوكة وأقدر على تخليصهم مما عسى أن ينالهم به الاصنيول من حصار ونحوه ، فبعثوا اليه يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول فى طاعته ان هو أمدهم بما يدفعون به فى نحر ابن الاحمر فأعجب أبا سعيد ذلك وللحين بعث اليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيدى عبو ومعه طائفة من الجيش امدادا لهم وكان قصد أبى سعيد ببعث أخيه عبد الله الحصول على احدى الفائتين : اما فتح جبل طارق ان كان الظهور له ، أو الاستراحة منه ان كان عليه ، لانه كان يشوش عليه فجاء الاخ المذكور حتى نزل بازاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده ، وتحصن قائد الغرناطى وعسكره بقلعة الجبل وطير الاعلام بذلك الى صاحبه ، فبعث اليه جيشا قويته به نفسه فنزل من القلعة وانضم اليه مدده وقتلوا جيش المرىنى فهزموه ، وقبضوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى الى صاحب غرناطة ، فعمد صاحب غرناطة الى عبد الله وأنزله فى محل معتبر وأحسن اليه ، فتخلف ظن السلطان أبى سعيد فيما كان يجب لآخيه من التلف وغازله فعل ابن الاحمر معه من الاحسان والابقاء عليه ، ثم ان أبا سعيد دبر حيلة بان بعث من قبله رجلا الى أخيه ليسقيه السم ويستريح منه ، مع أن غوغاء أهل المغرب وقبائله المنحرفة عن السلطان كانوا قد تشوفوا لقدمه عليهم وقيامهم معه ، فبطلت حيلة أبى سعيد فى السم ولم يحصل

على طائل . ثم ان ابن الاحمر اتفق مع عبد الله على أن يمدّه بالعسكر والمال
ويسرحه الى المغرب ليستولى على ملكه ويأخذ له بالنار من أخيه ، فقبل عبـد
الله ذلك وأمدّه ابن الاحمر وسرحه الى المغرب ، فلما احتل به تبعه عدد وافر
من قبائله الذين كانوا مستقلين لوطاة أبي سعيد ، فنهض اليه أبو سعيد فكانت
الكرة عليه ورجع مفلولا في يسير من الجند الى فاس فتقبض عليه أهلها
وسجنوه وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله ، وفتحوا الباب فدخل الحضرة واستولى
عليها وتم أمره ، وسجن أخاه أبا سعيد الى أن مات . قال : « ولما استقل عبد الله
بأمر المغرب كله هدأت الرعية واستقامت الاحوال ، الا انه تكدر عيشه بذهاب
سبته التي استولى عليها طاغية البرتقال خوان الاول بعد ما حاصرها أشد
الحصار ، وكان ذلك على السلطان من أعظم النحوس ، وتكدر المسلمون
غاية لفوات هذه المدينة العظيمة منهم . ثم ثاروا على السلطان عبد الله واعتورته
ارماحهم حتى فاض ، ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من اخوته ، وبعد قتال
شديد ولم يتصف احد منهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد
الحق بن أبي سعيد « اه كلام منويل . وهذا السلطان عبد الله الذي زاده منويل
بين أبي سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب « جذوة الاقباس » وبعده أن يكون
هذا الخبر الذي ساقه منويل لا أصل له والله أعلم بحقيقة الامر .

ومن جملة حجاب السلطان أبي سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن
أحمد الملياني . قال في « الجذوة » : « أصله من زرهون وتولى حجابة السلطان
المذكور » قال : « ففقد مولاه ومخدومه ، وهتك سترة ، وخرب داره وعبث
بحريمه ، وقتل أولاده واخوانه ، ورفع الاذئاب ، وحط الرؤساء ، وكان
فساد المغرب على يده ، وقد ذكره التاورتي فائى عليه . قال في « الجذوة » :
« ووجدت في طرة ذمه وتنقيصه » والله أعلم .

ومن وزراء السلطان أبي سعيد : صالح بن حمو اليباني ، ويحيى بن
علال بن آمصمود الهسكوري ، وقد تقدم ذكرهما ، ومن كتابه : الفقيه الاديب
أبو زكرياء يحيى بن أبي الحسن بن أبي دلامة ، وكان صاحب العلامة عند
السلطان المذكور ، وممن شهد له أهل عصره بالتبريز في النظم الفائق . ثم

ابنه محمد من بعده ، ومن قضاته : الفقيه أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم
اليزناسني وقد تقدم ذكره ، والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن ابي سعيد بن ابي العباس
ابن ابي سالم المريني رحمه الله



هذا السلطان هو آخر ملوك بني عبد الحق من بني مرين ، وهو أطولهم
مدة ، وأعظمهم محنة وشدة ، وهو أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان
ابن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد
عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتي المريني ، أمه علججة
اصبنيولية على ما ذكره منويل ، وفي أيامه ضعف أمر بني مرين جدا وتداعى
الى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة أبيه من قبله على ما
نذكره .



زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخيبة



قال منويل : « كان لطاغية البرتقال خمسة اخوة شجعان ، فأرادوا أن
يدركوا فخرًا باستيلائهم على ثغر من ثغور المغرب ، يضيفونه الى سبتة
ويوسعون به ما ملكوه من أعمالها ، فركبوا قراصينهم في ستة آلاف عسكري
ونزلوا بسبتة . ثم زحفوا الى طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وحاصروها
وضيقوا على أهلها ثم عاجلهم سلطان فاس وسلطان مراكش وأرهبوهم عن
فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا على كبير عسكريهم فرناندو وجماعة من أصحابه

وعادوا بهم أسرى الى فاس ، فلما صارت عظماء البرتقال فى يد المسلمين وأسرهم جنحوا الى السلم فسالهم المسلمون على أن يردوا لهم سبته ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه الذين معه ، فرضى البرتقال بذلك وانعقد الصلح عليه ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتقال الذى وقع الشرط عليه فى سجن فاس واستمرت سبته فى يد العدو وعد ذلك من سوء بخت المسلمين والامر لله وحده .

وقد ذكر صاحب « المرأة » : أن البرتقال استولى على طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وهو غير صواب ، وانما كان الحصار فقط . والله تعالى أعلم .



اخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم



كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن صالح بن حمو اليابانى ، قالوا : وهو الذى أوقع بالفقيه القاضى أبى محمد عبد الرحيم ابن ابراهيم الزنناسى قتله ذبحا سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ومن وزراء السلطان المذكور الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى . قالوا : وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة غزا الوزير المذكور الشاوية ، وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعزل داؤهم فقل الوزير المذكور جمعهم وخرب منازلهم ثم كانت وفاته سنة اثنين وخمسين وثمانمائة ، قتله عرب انقاد على سبيل الذدر قعصا بالرماح وحمل قتيلا الى فاس فدفن بالقلة خارج باب الجيسة . وولى الوزارة بعده على بن يوسف الوطاسى ، قالوا : فكانت أيامه مواسم ادياته وصيائه وحفظه أمور الملك ورفقه بالرعية مع العدل وحسن الادارة ، ثم توفى بتماسا خامس رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، وحمل الى فاس فدفن بالقلة أيضا . وفى هذه السنة أو التى قبلها استولى البرتقال على قصر المجاز وهو المعروف بقصر

مصمودة والقصر الصغير وهو الآن خراب . والله أعلم .



وزارة يحيى بن يحيى الوطاسى ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب في ذلك



لما توفي الوزير على بن يوسف رحمه الله قدم للوزارة بعده أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسى، قالوا: فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك انه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نعم عليه انه عزل قاضى فاس الفقيه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودى وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولى(*)؛ وكان المصمودى من الدين وتحرى المعدلة بمكان، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواده على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه فى بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم! الأمن حماه الاجل منهم فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبى بكر وأبى شامة وعلى عمهم فارس ابن زيان وقرىبيهم محمد بن على بن يوسف وأثنى الذبح على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الحلوى أخوى الوزير المذكور فلم يوجد! لذهاب الشيخ فى ذلك اليوم للمصيد واختفاء الحلوى عند قيام الجمعية، فكان ذلك من لطف الله بهما، واتصل بهما ما جرى على عشيرتهم وبنى أبيهم فذهبا الى منجاتهما وكان من أمرهما ما نذكره . وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضى سبعين يوما من وزارة يحيى بن يحيى المذكور، وصفا للسلطان عبد الحق

(*) راجع «درة الحجال» ج ١ ص ٢٢٠ فقد ذكر ان الذى قدم للقضاء بعده هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله المكناسى .

أمره ورأى أن قد شفا نفسه من الوطاسيين ونقى بساط حضرة من قضيضهم ،
وأبرأ جسم ملكه من مرضهم والله غالب على أمره .

رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة

قالوا : كان السلطان عبد الحق منذ أوقع بنى وطاس لم تسمح نفسه
بإعطاء منصب الوزارة لاحد ، ثم نما اليه أن العامة وكثيرا من الخاصة قد
نقموا عليه إيقاعه بالوطاسيين ، وأن أذنهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب
آصلا ، وكان قد استولى عليها بعد فراره حسبما نذكر ، وربما شافهه البعض
منهم بذلك . فولى عليهم اليهوديين المذكورين تأديبا لهم وتشفيا منهم زعموا
فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال ، واعتز
اليهود بالمدينة وتحكموا في الاشراف والفقهاء فمن دونهم ، وكان اليهودي
هرون قد ولى على شرطته رجلا يقال له : الحسين لا يألو جهدا في العسف
واستلاب الاموال ، واستمر الحال على ذلك والناس في شدة .
وفي سنة سبع وستين وثمانمائة انتزع الاصبنيول جبل طارق من يد
ابن الأحمر .

استيلاء البرتقال على طنجة

ثم في سنة تسع وستين وثمانمائة استولى البرتقال على طنجة ، زحفوا
اليها من سبتة في ألوف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بأيديهم أكثر
من مائتين وخمس سنين ثم بذلوها لطاغية النجليز سنة أربع وسبعين وألف
في سبيل المهادة والصهر الذي انعقد بينهما كما سيأتي .

مقتل السلطان عبد الحق بن ابي سعيد والسبب في ذلك

ثم ان اليهودى عمد الى امرأة شريفة من أهل حومة البلدة فقبض عليها والبلدة حومة بفاس . قالوا : وكانت بدار الكومى قرب درب جنينة فانحى عليها بالضرب ، ولما ألتهبها السياط جعلت تتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فحمى اليهودى وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول ، وأمر بالابلاغ فى عقابها ، وسمع الناس ذلك فاعظموه ، وتمشت رجالات فاس بعضهم الى بعض ، فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبى فارس عبد العزيز بن موسى الوريالكلى وكانت له صلابة فى الحق وجلادة عليه ، بحيث يلقى نفسه فى العظام ولا يبالي ، وقالوا له : « ألا ترى الى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود فى المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت » فنجع كلامهم فيه وللحين أغراهم بالفك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبى عبد الله الحفيد فأجابوه الى ذلك واستدعوا الشريف المذكور فابعوه ، والتفت عليه خاصتهم وعامتهم ، وتولى كبر ذلك أهل حومة القلقليين منهم ، ثم تقدم الوريالكلى بهم الى فاس الجديد فصمدوا الى حارة اليهود فقتلوهم واستلبوهم واصطلموهم نعمتهم واقتسموا أموالهم ، وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا فى حركة له ببعض النواحي . قال فى «نشر المثنى» : « خرج السلطان عبد الحق بجيشه الى جهة القبائل الهبطية وترك اليهودى يقبض من أهل فاس المغارم ، فشدد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجعها ضربا » وحكى ما تقدم ، فاتصل بعبد الحق الخبر وانفض مسرعا الى فاس واضطرب عليه أمر الجند ، ففسدت نياتهم ، وتكرت وجوههم ، وصار فى كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم ، فأيقن عبد الحق بالنكبة وعان أسباب المنية . ولما قرب من فاس استشار هرون اليهودى فيما نزل به فقال اليهودى له : « لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها وانما يكون قدومنا على مكناسة الزيتون لانها

بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا، وحينئذ يظهر لنا ما يكون» فما استتم اليهودي كلامه حتى انتظمه بالرمح رجل من بني مرين يقال له تيان، وعبد الحق ينظر، وقال: «ومازلنا في تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل بأشارتهم» ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا للدين والفم». ثم قالوا للسلطان عبد الحق «تقدم أمامنا الى فاس فليس لك اليوم اختيار في نفسك». فأسلم نفسه، وانهت محلة، وفيئث أمواله وحلت به الالهانة، وجاءوا به الى أن بلغوا عين القوادس خارج فاس الجديد، فاتصل الخبر بأهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرج الى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردعة، وانتزع منه خاتم الملك وأدخله البلد في يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه، ثم جنب الى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن ببعض مساجد البلد الجديد، ثم أخرج بعد سنة ونقل الى القلة فدفن بها وانقرضت بمهلكه دولة بني عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده. (*)

ونقل الثقات أن الشيخ أبا العباس أحمد زروق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبي فارس الوريكلي لما صدر منه في حق السلطان عبد الحق، وكان يقول: «لا آمن الغندور على صلاتي يعنيه بذلك، والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة والاباية وما أشبه ذلك، والله يتغمدنا والمسلمين برحمته آمين».

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول:

في سنة سبع وثمانمائة توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي عالم فاس وأديبها ونحوها صاحب المقصورة وشرح الخلاصة وغير ذلك من التأليف، قيل: هو آخر من درس كتاب سيويه في النحو بفاس.

وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن

(*) وكانت دولته منذ تاريخ وفاة والد أبي سعيد ستا وأربعين سنة

عمر بن الفتوح التلمساني ثم المكناسي ، يقال : ان سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شابا حسن الصورة ، جميل الشارة ، فمرت به امرأة جميلة فجعل ينظر اليها من طرف خفي فقالت : « اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » فتأثر لقولها واتعظ وتاب الى الله تعالى ، وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الارض التي قارف الذنب فيها فارتحل الى فاس فاقام بها مدة وانتفع الناس به ، ثم انتقل بعدها الى مكناسة فتوفي بها في السنة المذكورة . قالوا : وهو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل مدينة فاس والمغرب وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة كان الوباء العظيم بالمغرب ، هلك فيه جمع من كبار العلماء والاعيان ، ويسمى هذا الوباء عند أهل فاس بوباء عزونة .

وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة في ذى القعدة منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسي مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير وكان من أهل الصلاح والخير والايثار .

وفي سنة اثنين وسبعين وثمانمائة في أواخر ذى القعدة منها توفي امام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الاندلسي الاصل المعروف بالقوري ودفن بباب الحمراء منها .

وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة في أواخر صفر منها توفي الشيخ العارف بالله المحقق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته بمسراته من أعمال طرابلس . والله أعلم .



بقية اخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الاندلس منها
وانقراض كلمة الاسلام منها



كانت دولة بنى الاحمر فى هذه المدة متماسكة . والفتنة بين أعياصها
متشابهة ، والعدو فيما بين ذلك يخادعهم عما بأيديهم ويراوغهم ويسالمهم تارة
ويحاربهم الى أن كانت دولة السلطان أبى الحسن على بن السلطان سعد بن
الامير على ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغنى بالله ، فنارعه أخوه
أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل ، قدم من بلاد النصارى وبويع
بمالقة وبقي بها مدة ، وعظم الخطب واشتدت الفتن ، وشرق المسلمون بداء
الخلاف الواقع بين هذين الاخوين ، وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى
تفريق كلمتهم والتمكن من فسخ عهدهم وذمتهم ، وذلك أعوام الثمانين
وثمانمائة . ثم انقاد أبو عبد الله لآبى الحسن فسكنت أحوال الاندلس بعض
الشيء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن وأسرره
النصارى فى بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبى الحسن ثم نزل لآخيه
أبى عبد الله الزغل عن الامر لآفة أصابته فى بصره . ثم ان العدو عمده
لاسيره أبى عبد الله بن الحسن فوعده ومناه ، وأظهر له من أكاذيبه وخدعه
غاية مناه ، وبعثه للتشغيب على عمه طلبا لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم
وتوصلا الى ما بقى عليه من حصون المسلمين وبلادهم وطالت الفتنة بين العم
وابن الاخ وكل عقد كان بين العدو وبينه انحل وانفسخ ، وخبت العامة
الذين هم أتباع كل ناعق فى ذلك ووضعت ، وكان ذلك من أعظم الاسباب المعينة
للعدو على التمكن من أرض الاندلس والتهامها واستئصال كلمة الاسلام منها .
ثم ان ابن الاخ استولى على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد ففتت
ذلك فى عضده وعطف الى وادى آش فاعتصم بها ، وحاصر العدو مالقة فقاتله
أهلها بكل ما أمكنهم حتى اذا لم يجدوا للقتال مساعا نزلوا على الامان ،
فاستولى العدو عليها أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ثم استولى

بعد ذلك على وادى آش وأعمالها صلحا ودخل فى طاعته صاحبها أبو عبد الله
العم بعد أن استهوى العدو قواده بالاموال الجزيلة، ثم ان العدو خذله الله راسل
أبا عبد الله بن أبى الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول فى الخطة
التي دخل فيها عمه من النزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون
تحت حكمه مخيرا فى أى بلاد الاندلس شاء فشاور رعيته فاتفق الناس على
الامتناع والقتال ، فعند ذلك أرهف العدو حده. وجعل غرناطة وأهلها من
شأنه بعد أن استولى أثناء هذه الفتن والتضريبات على حصون كثيرة لم تتعرض
لذكرها ، حتى لم يبق له الا غرناطة وأعمالها ، وقد اختصرنا معظم هذه
الاخبار اذ لم تكن من موضوع الكتاب وانما أئلمنا بهذه النبذة تسميما للفائدة
وزيادة فى الامتاع . ولما كان اليوم الثانى والعشرون من جمدى الآخرة سنة
ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع
ودوخ الارض ، وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير فاحكمه ،
وكان الناس يظنون أنه عازم على الانصراف ، فاذا به قد صرف عزمه الى
الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر ،
واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد ، والطريق بين غرناطة
والبشرات متصلة بالمرافق ، والطعام يأتى من ناحية جبل شلير الى أن تمكن
فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق ، وانقطع الجالب
وقل الطعام ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن
خارج البلد ، ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال
وعظم الخطب ، وذلك أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة . وطمع العدو فى
الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر ناس
كثيرون من الجوع الى البشرات ، ثم اشتد الامر فى شهر صفر من السنة وقل
الطعام وتفاقم الخطب ، فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم كأبى عبد
الله الموافق شارح «المختصر» وغيره وقالوا : « انظروا لانفسكم وتكلموا مع
سلطانكم » فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبى الحسن أهل دولته وأرباب
مشورته وتكلموا فى هذا الامر وأن العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لامدد لنا وكنا

نظن أنه يقلع عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم . فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين ، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ، ثم عددوا مطالب وشروطا أداروها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش ، منها : أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والماعقل والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهد ، وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء اجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك ائتمن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة قبلها منهم ، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء ولا حول ولا قوة الا بالله .

وفي ثاني ربيع الاول من السنة ، أعني سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد ان استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين شرطا منها : تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ، وابقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ، ومنها : اقامة شريعتهم على ما كانت ، ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعته ، وأن تبقى المساجد كما كانت والاقواف كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يفصبوا أحدا ، وأن لا يولى على المسلمين نصراني أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم ، وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لما لكة ولا لغيره ، والسلطان يدفع ثمنه لما لكة ، ومن أراد الجواز الى العدو لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء ، وأن لا يؤخذ أحد بدينه غيره ، وأن لا يجبر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ، وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع

الى الاسلام تمادى على ما أراد ، ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة ، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ، ولا يطلع نصراني للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ، ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ، ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ، ولا يمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ، ويتركون من المغارم سنين معلومة . وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره .

وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ، ولما علم بذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذا الوجه ، ثم أمر العدو ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها ، وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بسحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه منها ، ثم أمر سلطان المسلمين ان ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناء بأندرش ، فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ، ثم احتال عدو الله فى نفيه لبر العدو وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا لاسبيل لاحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من من بر العدو ، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه وليقف معه وفاء بما عهد له ، فانصرف السلطان أبو عبد الله فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر فنزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل ذلك قد طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك ، وحين جوازه لبر العدو لقي شدة وغلاء وبلاء . ثم ان النصارى نكثوا العهد ، ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها عليهم انهم قالوا: ان القسيسين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن يرجع

فهرأ لدينه ، ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة . ثم تعدوا ذلك الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع أنت نصرانيا . ولما تفاحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام فقتلوه وهذا كان السبب الاعظم فى التنصر ، قالوا: لان الحكم خرج من عند السلطان أن من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجمل فأنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر .

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين بعد الله فى خفية ويصلى فشدد النصارى فى البحث عنهم حتى انهم أحرقوا كثيرا منهم بسبب ذلك ومنعوه من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا فلم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم جملة أعوام سبعة عشر وألف بعد أن ساكنوهم بفرنطة وأعمالها نحو من مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والامر لله وحده . ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الاندلس خرجت ألوف منهم بفاس وألوف آخر بتلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس فتسلط عليهم فى الطرقات الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الاوباش ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المصرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وكذلك بتطاوين وسلا وبيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى ، وهو المنصور السعدى ، منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور ، وحصنوا قلعة سلا . وهى رباط الفتح ، وبنوا بها القصور والحمامات والدور .

قال أبو العباس المقرئ فى « نفح الطيب » : وهم الان - يعنى فى حدود

الثلاثين وألف - بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى
والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وانقضى أمر الاندلس وعادت
نصرانية كما كانت أول مرة ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين .

وفى السنة التى استولى الاصبنيول على غرناطة انكشفت لهم أرض
ماركان التى كانت مجهولة قبل هذا التاريخ لسائر الامم . وذلك أن الحكماء
الاقدمين من اليونان وغيرهم أجمعوا على أن شكل الارض كرة وان الماء قد
غمر أحد جانبيها كله بحيث صارت الارض فيه كأنها بيضة مفرقة فى طست ماء
قد رسب فيه أكثرها وبرز أقلها ، وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المسكون
ببنى آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المنقسم الى سبعة أقسام تسمى الاقاليم
ولم يهتدوا الى أن الجانب الآخر منكشف عنه الماء ولا انه مسكون كهذا الجانب
بل جزموا بانه ماء صرف يسمى البحر المحيط ، واستمر هذا الاعتقاد عندهم
ونقله الخلف عن السلف ووضعوا فيه التآليف العديدة الى أن كانت سنة سبع
وتسعين وثمانمائة وهى السنة التى استولى فيها الاصبنيول على غرناطة وسائر
الاندلس ، فاتفق أن ظهر فى تلك المدة رجل من فرنج جنوة اسمه كلب بضم الكاف
واللام كانت حرفته الملاحة والسفر فى البحر وكان بعيد الهمة ، مولعا بالشهرة
مغرى بالذكر وحسن الصيت ، فخطر بباله أن جانب الارض الذى أغفل
الحكماء الالون ذكره وزعموا انه بحر صرف ربما يكون مسكونا كهذا الجانب
وكان جنس البرتقال فى هذه المدة قد كثر أسفارهم فى البحر وملكوا عدة
محال من جزائره الخالدات ، فحصل لكلب الجنويزى بعض غيرة ونفاسة
منهم وأراد أن يأتى بأعظم مما فعلوا فعزم على التلجيج فى البحر المحيط والابعاد
فيه عسى أن يظفر بمراده ، فتطارح على ملك البرتقال واسمه يومئذ يوحنا
الثانى فى أن يعينه على ما هو بصدده ويمده بما يكون سببا فى نيل مقصده ،
فلم يلتفت الى قوله ولا عرج على رأيه ومن قبل ما كان أهل جنوة يحمقونه
وينسبونه الى التهور بمثل هذه الآراء ، فلما لم يجد عند ملك البرتقال مراده
تطارح على ملكة الاصبنيول ، وهى يومئذ ايسابيللا الشهيرة الذكر عندهم ،

فأسعفته وهيأت له ثلاث سفائن وشحنتها بالرجال والسلاح والزاد والمال ودفعت ذلك اليه ، فسافر بها كلب في البحر المحيط على سمت المغرب حتى أرسى بعض الجزائر الخالدات فأراح بها أياما ثم سافر على السمت المذكور ملججا مدة من شهرين ، ولما طال السفر على أصحابه الذين معه أرادوا قتله ، وبينما هم في ذلك ظهرت له أرض ماركان فسار حتى أرسى باجفانه على ساحلها في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثمانمائة المذكورة ، فعثر منها على أرض واسعة ذات أقطار ونواحي وجبال وأنهار تفوت الحصر ، حتى قيل : انها تساوى نصف هذا المسكون من الارض أو تزيد ، وإذا فيها خلق كثير من بنى آدم كهذه الا أنهم لم يفقهوا قوله ولا فقه قولهم . فعاد كلب الى ملكة الاصنيول بعد أن بنى هنالك حصنا وترك به بعض الجند وساق من تلك الارض بعض الغرائب من حيوان وغيره ، اثباتا لدعاه فلما قدم على الملكة بعد مغيبه سبعة أشهر وأحد عشر يوما أعظمت قدره ، ونوهت باسمه ، وسرت بما أتى به من ذلك كله ، وعدت ذلك من سعادتها الى ما تسنى لها من الظفر بجزيرة الاندلس والاستيلاء عليها ، وتبين للفرنج حينئذ أن الارض معمورة من كلا الجانبين لا من جانب واحد كما اعتقده الاقدمون ، فحينئذ تسارعت أجناسهم الى أرض ماركان واقسموها واعتنوا بعمرانها وسموها: الدنيا الجديدة ، فكانت من أعظم الاسباب في انتعاشهم وتقويتهم وضخامة دولهم واتساع خطط ممالكهم ، والامور كلها بيد الله .

ومن جملة ما كان مفقودا بأرض ماركان نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الالهية . ولما رأوا الاذى راكبا على الفرس مسرجا ظنوه قطعة واحدة وأن الفارس وفرسه حيوان واحد خلق على تلك الكيفية الى غير ذلك وأخبار أرض ماركان وكيفية العثور عليها ثم التردد اليها واعتمارها بعد ذلك طويلة وملخصها ما ذكرناه ، والله تعالى الموفق بمنه .

وهذا آخر النصف الاول من كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، قد شرعنا في املائه منتصف رجب الفرد الحرام من سنة سبع وتسعين ومائتين والفرغنا منه في منتصف

ذى الحجة الحرام فى السنة المذكورة . ونشرع بعون الله تعالى فى الجزء
الثانى منه مفتتحا بما يكون كالتوطئة لدولة بنى وطاس من أخبار البرتقال على
الجملة ، وعلى الله تعالى الكمال بمنه وفضله « (*) »

اخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة

اعلم أن هذا المغرب الاقصى حرسه الله وكلاه بعين حفظه ، لم يزل
بجميع ثغوره وسواحله وأقطاره منذ الفتح الاسلامى الى المائة التاسعة محفوظا
الجوانب من طروق أمم الفرنج وغيرهم من أعداء الدين ، محفوظا الاكفاف
بالحامية من جنود المسلمين ، مرهوبة شوكة ملوكة عند أمم النصرانية جيلا
بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، ودولة بعد دولة . لم تكن الفرنج تحدث نفسها بغزو شىء
من بلادهم ، أو طرق ثغر من ثغوره ، أو الاستيلاء على شىء من سواحله ، ولم يكن أهلها
أيضا يتوقعون ذلك منهم ولا يخشونه ، بل هم الذين كانوا يغزون الفرنج فى
عقر ديارهم وأعز بلادهم ، ويحامون عن بلاد الاندلس وسواحل افريقية
وغيرها متى هاج أهلها هيج من ذلك حسبما تقدمت الاخبار المفصلة عن
ذلك ، ولم يبلغنا أن جنسا من أجناس الفرنج فيما قبل المائة التاسعة غزا شيئا
من أطراف المغرب الاقصى ، أو ثغرا من ثغوره بقصد الاستيلاء والتملك ،
الا ما كان من مدينة سلا التى دخلها الاصبينول غدرا أيام الفتنة بين يعقوبين
ثم خرجوا عنها لمدة يسيرة حسبما مر ، والا ما كان من محاصرة أهل جنوة
لسببة ثم الافلاع عنها كذلك ، ونحو هذا مما لا يعتبر ، فلما دخلت المائة
التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بنى أبى حفص بافريقية ،
وبنى زيان بالمغرب الاوسط ، وبنى مرين بالمغرب الاقصى ، وبنى الاحمر
بالاندلس ، وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين ودامت فيهم
واشتغلوا بانفسهم دون الالتفات الى جهاد العدو ومطالبته فى أرضه وبلاده على
ما كان لهم من العادة قبل ذلك ، وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالة وهم الاصبينول

(*) ما بين قوسين هو زيادة بخط المؤلف فى الاصل بعد الطبعة الاولى

والبرتقال ، وهم البرطقيز ، بجزيرة الاندلس واستفحال أمرهم ، فكثر أسفار البرتقال في البحر المحيط ودام قلبهم فيه ومرنوا عليه حتى حصلوا على عدة جزائر منه ، واكتشفوا بعض الرؤوس الساحلية من أرض السودان وغيرها ، ثم شروها لتملك سواحل المغرب الأقصى ، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها حتى تمكنوا منها ونشبو فيها ، فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبما تقف عليه مبينا في مواضعه ان شاء الله .

فاستولوا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ست سنين على ما في بعض تواريخ الافرنج ، ثم في سنة اثنتين وستين وثمانمائة استولوا على قصر المجاز ، ثم استولوا في سنة تسع وستين وثمانمائة على طنجة ، ثم في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ملكوا أصيلا ، وفي هذا التاريخ نفسه أو قبله بيسير استولوا على مدينة آفا وبعض سواحل السوس ، ثم في حدود سنة سبع وتسعمائة نزلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور ويط وبنوا بها حصن البريجة وطال مقامهم بها ، ثم في سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائش ، ثم بعد ذلك بيسير في حدود العشر وتسعمائة على ما تقتضيه تواريخ الفرنج ملكوا حصن آكاير وما اتصل به من سواحل السوس الأقصى ، ثم ملكوا في حدود اثنتي عشرة وتسعمائة رباط آسفي ثم عطفوا على ثغر آزمور فاستولوا عليه في سنة أربع عشرة وتسعمائة . ثم المعمورة وهي ، المهدية ، ملكوها أيضا في حدود سنة عشرين وتسعمائة وفي هذا التاريخ نفسه رجعوا الى مدينة آفا بعد هدمها فبنوها وسكنوها ، وبالجمل فلم يبق من ثغور المغرب الأقصى بيد المسلمين الا القليل مثل سلا ورباط الفتح وفجى المسلمون من هذا البرتقال بالامر العظيم ، ودهوا منه بالخطب الجسيم ، واستحذو عدو الله على بلاد الهبط وضايقهم بها حتى انحازوا الى الامصار المنزوية عن الاطراف والقرى النائية عن السواحل ، وكان ذلك كله فيما بين انقراض دولة بنى وطاس وظهور دولة الشرفاء السعديين ، ولقد ذكر في « مرآة المحاسن » أن قصر كتامة كان في صدر المائة العاشرة مقصدا

للتجار وسوقا تجلب اليه بضائع العدوتين وسلعها ، قال : « اذ كان القصر المذكور ثغرا بين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحط به رجال تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربين من آصिला وطنجة وقصر المجاز وسبتة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب اذ ذاك محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي ، فان القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقد شرارة السلطان المذكور ، ومشب ناره ، وموشج عصيته مع مجاورته لبلاد الحرب ، فكان نظره مصروفا اليه واختصاصه موقوفا عليه وتقبل بنوه من بعده مذهبه فيه » اه كلامه فهذا يدل على ما كان عليه العدو خذ له الله من المضايقة للمسلمين في ثغورهم وبلادهم والله الامر من قبل ومن بعد .

ولما نزل باهل المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعة ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامه على ذلك ، وصرفوا وجوه انغرم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين غيرة واحتسابا ، وكم من ولي عصر أو عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صوابا حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون ، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون ، فمن استشهد منهم في سبيل الله سيدي عيسى بن الحسن المصباحي دفين الدعداعة بأرض البروزي من بلاد طليق ، وأبو الحسن على ابن عثمان الشاوي من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني ، وأبو الفضل فرج الاندلسي ثم المكناسي ، وأبو عبد الله محمد القصري المعروف بسقين قتله النصارى عند ضريح الشيخ أبي سلهم ، وكان قد قصده للزيارة ففتكوا به هنالك ، وكل هؤلاء معدود في أولياء الله تعالى ، وممن أسر منهم ثم خلصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي دفين تانسيفت من أحواز مراكش ، والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من أحواز فاس ، ووالد صاحب «دوحة الناصر» وهو أبو الحسن علي بن مصباح الحسني عرف بابن عسكر ، والشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي أحد قضاة سلا وهو صاحب «جذوة الاقباس» و «المنتقى المقصور» وغيرهما من التأليف

الحسان أسر وهو ذاهب الى الحج ، وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي المعروف بخروف نزيل فاس وشيخ الجماعة بها ، هؤلاء كلهم أصابه الاسر ثم خلصه الله بعد حين ، وغير هؤلاء ممن لم يحضروا ذكرهم ، أجزل الله ثوابهم ويسر بمنه حسابهم ، ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونشروا ، فممن ألف في ذلك الباب قفاد : الشيخ المتقن البارع الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن جيش التازي ، قال في «الدوحة» : «وقفت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله فكان مما ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب دون المداد باللجين ، أودعه نظما ونثرا » وممن نظم في ذلك فأجاد ، الشيخ الصالح المتصوف المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولى ، قال في «الدوحة» : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد زجلية وغيرها » وكان معاصرا للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتقالى ، فكان اذا جاءه زائرا حضه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك ، ولما توفي السلطان المذكور ، ودالت الدولة لولده السلطان أحمد ، وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس ، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتقال ، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله المذكور فألقى على نفسه أن لا يلقي السلطان المذكور ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضرورياته ، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان في النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم : «ياسيدى أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادى به وحض الناس عليه ، والمسلمون في شره لذلك وفرح » . ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحاً وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك ، ولهذا الشيخ زجلية ومقطعات حسان في الحض على الجهاد ، منها اللامية المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها :

قل للامير محمد يا طلعة الهلال

لويلة في السواحل من أفضل الليال

ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مرادى والعسكر يا كرام

نفسى على الجهاد سببت والسلام

ومنها القصيدة التي أولها :

قم للجهاد رعاك الله منتهجبا نهج الرشاد الى الاقوام لو فهموا

من بعد اندلس ما زلت محتدما لو كان يمكننى فى الليل احتزم

الى غير ذلك مما يطول ذكره قال صاحب «الدوحة» : « حدثنى الفقيه

العدل أبو العباس أحمد الدغمورى القصرى ، قال : كان الشيخ أبو عبد الله

يقول : « ما غزونا غزوة قط الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ،

ويخبرنى بجميع ما يتفق لى ولاصحابى فى تلك الغزوة » ، وله رضى الله عنه

فى شأن الجهاد والرجولية حكاية ظريفة وهى انه غزا مرة غزوة الى الثغور الهبطية

ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبى زكرياء يحيى بن بكار

قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين ، وامامهم الشيخ غازى بن

الشيخ أبى عبد الله محمد بن غازى الامام المشهور ، فوصل الشيخ أبو عبد

الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها فقال لهم : مهلا

ثم تقدم وأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس اليه

بالانكار فى تكرير الصلاة على الجنازة بالجماعة مرتين ، فقال لهم على البديهة :

« صلاتكم التى صليتم عليها فاسدة ، لكونها بغير امام » ، فقالوا له : « كيف ذلك

ياسيدى ؟ » قال : « لان من شرط الامام الذكورية وهى مفقودة فى صاحبكم

لان الذى لم يتقلد سيفا فى سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب

كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يتعبد بالسيرة النبوية فكيف يعد اماما

ذكرا بل امامكم والله من جملة النساء » اه . وحكى أيضا فى ترجمة الشيخ

أبى محمد عبد الله الورياكلى الذى قال له العلامة ابن مرزوق وقد عزم على

الرحلة الى بلاد المشرق فى طلب العلم : « ليس أمامك أحد أعلم منك » ، قال : « فرجع

من هنالك فوجد النصارى قد تغلبوا على طنجة وآصيلا ، فلازم الثغور الهبطية

(الاستقصا رابع - 8)

لأجل الرباط والجهاد في سبيل الله ، وبث العلم ونشره » ، قال : « وكان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصلى الشتاء والربيع ، ويخرج في الصيف والخريف فيربط في ثغور القبائل الهبطية » الى آخر كلامه ، وأمثال هذا كثير ذكرنا منه هذه النبذة اليسيرة لتقف بها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة في الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل في دار النعيم غدوهم ورواحهم .

وقد آن أن نشرع في الاخبار عن دولة بنى وطاس بعد أن نذكر دولة الشريف العمراني الذي بايعه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعد رحمه الله .



الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليته



هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن علي الإدريسي الجوطي العمراني من بيت بنى عمران فرقة من أدارسة فاس ، وهم واسطة عقد البيت الإدريسي ، وأوضحهم نسبا ، وأعلامهم حسبا ، قال ابن خلدون : « ليس في المغرب فيما نعلمه من أهل البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبلغ أعقاب إدريس رضي الله عنه » قال : « وكبرأؤهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن إدريس ابن إدريس ، وهم نقباء أهل البيت هناك والساكنون بيت جدهم إدريس ولهم السيادة على أهل المغرب كافة » اهـ والجوطي قال في « المرأة » : « نسبة الى جوطه بجيم مضموم وواو مد وطاء مفتوحة وهاء تأنيث وهي قرية عظيمة على نهر سبو في العدو الجنوبية خربت ولم يبق منها الا آثار ، ولها مسيل شتوي يعرف بمخروط جوطه » نزلها السيد يحيى فنسب اليها وقبره هنالك معروف » اهـ .

بيعة السلطان ابي عبد الله الحفيد والسبب فيها

كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب يعظمون هؤلاء الاشراف الادارسة ويوجبون حقهم ويتقربون الى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فاتهم من رتبة الخلافة التي كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعى ، فكان بنو مرين لما جبلوا عليه من الجنوح الى مراسم الدين وانتحالها يرون فى أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الاشراف . فلذا كانوا يخضعون لهم ، ويتأدبون معهم ما أمكن ، ولقد حكى أبو عبد الله بن الازرق : أن الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرئ كان يحضر مجلس السلطان أبا عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من فى المجلس اجلالا له ، الا الشيخ المقرئ فانه كان لا يقوم له ، فجرت بين الشريف والفقير المذكور معاتبة ومراجعة فى حكاية مشهورة ، تركناها لعدم تعلق الغرض بها (*) اذ الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من التجلة والتعظيم لاهل هذا البيت الكريم ، فلما اضطربت أحوال الدولة المرينية بفاس واجتمع رؤساء فاس الى الفقيه أبى فارس الورياكللى فى شأن اليهوديين اللذين كانا يحتكمان فى المدينة ويعتسفان أهلها ، أجمع رأيهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد ، وكان يومئذ بلى نقابة الاشراف بفاس ، فاستدعوه فحضر وبايعوه فى العشر الاواخر من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ، وتم أمره وكان من قتله للسلطان عبد الحق ما تقدم ذكره والله أعلم.

(٤) راجع ذلك فى «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للشيخ أحمد بابا ص ٢٥٤ طبع فاس

و «نفح الطيب» للمقرئ - ج ٣ - صفحة ١٤٨

فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب

قد قدمنا ما كان من أمر الشاوية وفتنتهم في أيام السلطان عبد الحق .
ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطال شرهم فزحفوا الى بلاد
الغرب من أحواز مكناسة وفاس ، وعاثوا وأفسدوا ، ولما تكلم أبو عبد الله محمد
العربي الفاسي في «مرآة المحاسن» على الشيخ عبد الوارث الياصوتي وانه أخذ عن
جماعة منهم: أبو النجاء سالم الروداني الشاوي ، والشيخ أبو عبد الله الصغير
السهي ، والشيخ أبو محمد الغزواني ، قال: «وكان الشيخ أبو النجاء أولا يقرأ
بالمدرسة العنانية ، فلما نزل الشاوية الغرب ، خرج من فاس خائفا يترقب ، وذلك
في أيام الحفيد» اه ، وبلاد الغرب تطلق في عرف أهله على خصوص بسيط
ازغار وما اتصل به الى ساحل البحر والله أعلم .

استيلاء البرتقال على مدينة آنفى وأصيلا

برأيت في بعض تواريخ الفرنج أن استيلاء البرتقال على آنفى كان في حدود
أربع وسبعين وثمانمائة ، وانهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين
سنة ، ثم شرعوا في تحصينها والبناء بها ، ولم يزالوا مقيمين بها الى حدود
أربع وخمسين ومائة وألف وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على
أصيلا ، وظفروا فيها بيت مال الوطاسي ، وأسروا ولده محمدا المدعو
بالبرتقال ، وابنته وزوجتيه وجماعة من الاعيان ، وكان الخطب عظيما ،
وبقي ولد الوطاسي عند البرتقال سبع سنين ، ثم افتكه والده بعد ، وكان يوم
أسر صبيبا صغيرا ، وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استيلاء وانما كانت بها كمبانية
خمسة نفر من تجار مادريد قاعدة قشتالة ، نزلوها بقصد التجارة باذن سلطان

الوقت (*) وكانت سلعمهم توسق وتوضع من مرساها ، وبنوا بها البناء الموجود اليوم
والله تعالى أعلم .

خلع السلطان ابي عبد الله الحفيد وانقراض امره



قال في «الجدوة» : «لما قامت عامة فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا
هذا النقيب من أهل مدينة فاس اماما استمر بها ، وابنه وزير له ، الى سنة خمس
وسبعين وثمانمائة ، فعزل عن الامامة وكان الذي خلعه أبا الحجاج يوسف
ابن منصور بن زيان الوطاسي ، وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور
الى تونس لمدة يسيرة من خلعه ، وبقيت حضرة فاس الجديد في يد أخت أبي
الحجاج المذكور وهي الزهراء المدعوة بزهور ، مع قائده السجيري ، الى أن
تولى الامر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي » والله غالب على أمره .



(*) مولاي سليمان اه من خط مؤاده

الخبر عن دولة بنى وطاس

وذكر نسبهم وأوليتهم



اعلم ان بنى وطاس فرقة من بنى مريـن غير انهم ليسوا من بنى عبد الحق ، ولما دخل بنو مريـن المغرب واقتسموا أعماله حسبما تقدم ، كان لبنى وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم ، وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بنى عبد الحق ، وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر ، ثم أذعنوا الى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة ، فاستعملهم بنو عبد الحق فى وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم ، فحسن أثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها ، وذكر ابن خلدون : « أن بنى الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخيل فى بنى مريـن ، وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللـمتونى لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى وطاس ووشجت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم ، ولم يزل السـرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بانوفهم » اهـ ولما كانت دولة السلطان أبى عنان واستولى على بجاية ، عقد عليها لعمر بن على الوطاسى من بنى الوزير هؤلاء فتار عليه أهلها واستلحموه فى خبر مر التنبية عليه .

ثم لما كانت الدولة الاولى للسلطان أبى العباس بن أبى سالم ، وخلص ملك مراکش وأعمالها الى ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، كان من جملة من تحيز اليه وصار فى جملة ، زيان بن عمر بن على المذكور ، فكانت له فى دولته الوجاهة الكبيرة ، والمنزلة الرفيعة ، ثم لما فسد ما بين السلطان أبى العباس والامير عبد الرحمن كان زيان بن عمر فى جملة النازعين الى السلطان أبى العباس ، فاتصل به وصار فى جملة الى أن حاصر

السلطان أبو العباس قصبة مراکش ، وبها يومئذ الأمير عبد الرحمن ، فابلى زيان بن عمر في ذلك الحصار وكان أحد الذين باشروا قتل ولدى الأمير عبد الرحمن .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان هذا يمتري ثدى نعمتهم ويعجر ذيله خيلاء في جاههم ، فذهب مثلاً في كفران النعمة وسوء الجزاء ، والله لا يظلم مثقال ذرة » . ثم جاء بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن زيان فولى الوزارة للسلطان عبد الحق كما مر ، ثم جاء بعده ابنه يحيى أيضاً ، وهو الذى قتله السلطان عبد الحق في جماعة من عشيرته ، وفر أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ الى الصحراء وبقي متنقلاً في البلاد الى أن كان من أمره ما نذكره .



الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء

الوطاسى رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من إيقاع السلطان عبد الحق ببنى وطاس وافلات محمد الشيخ ومحمد الحلو من النكبة ، وإن الشيخ كان قد خرج للصيد فاتصل به الخبر فذهب على وجهه لا يلوى على شيء ، وإن الحلو اختفى حتى إذا سكنت الهيئة تسلل ولحق بالشيخ فسارا الى جهة الصحراء وجعلاً يترددان فيما بينهما وبين البلاد المهبطة حتى ملكا آصيلاً ، وذلك قبل استيلاء البرتقال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلاً واستفحل أمره بهاتشوفت اليه الاعيان من أهل فس والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكتبونه ويقدمون اليه الوسائل سرا وربما دعوه الى القدوم على أن يذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء فاستمر الحال على ذلك الى أن قتل عبد الحق وبويع الحفيد ، فحينئذ أرهف الشيخ حده ، واستفرغ في المطالبة جهده ، الى أن استولى على الحضرة وصفا له ملك المغرب

قال في « المرأة » : « لما بايع أهل فاس أبا عبد الله الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسي في آصिला واستبّع القبائل واستنحل أمره ، وحاصر فاسا وقتا بعد وقت الى أن دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة . وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ المذكور في أوائل شوال من السنة المذكورة وهو مورث الملك لبيته بها » اه . وقد تقدم لنا أن الذي خلع الشريف من الملك هو أبو الحجاج يوسف بن منصور الوطاسي ، وإن حضرة فاس الجديد قد بقيت بعد ذهاب الشريف الى تونس في يد زهور الوطاسية والقائد السجيري الى أن قدم السلطان محمد الشيخ والله تعالى أعلم .

وقال منويل في أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته : « كانت مملكة المغرب الأقصى في غاية الاضطراب والانتكاس حتى طمع في ملكها كل من كانت توسوس له نفسه بذلك ، واستولى ابن الأحمر على جميع الثغور التي كانت لبني مرين بارض الاندلس ولم يترك لهم قيد شبر ، واشترأت أجناس الفرنج للتغلب على المغرب ، وفي تلك المدة كان با صيلا محمد الشيخ الوطاسي ، وكان شجاعا مقداما ، وأحس من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسى فاس وتنحية الشريف عنه ، لا سيما مع ما كان الناس فيه من افتراق الكلمة فجمع جندا صالحا وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف والتقوا باحواز مكناسة فوقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسي ، ثم جمع عسكرا آخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع أرباب دولته ، وفي أثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتقال على آصيلا وعلى بيت ماله الذي كان بها وعلى حظاياها وأولاده ، فأفرج عن فاس ورجع مبادرا الى آصيلا فحاصرها ، ولما امتنعت عليه عقد مع البرتقال هدنة وعاد سريعا الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها حتى خرج فارا بنفسه وأسلمها اليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدويخ القبائل التي باحواز فاس وغيرها ، فدخلوا في طاعته واغبطوا به » اه كلامه .



رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بعمارة وبنائهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك



قال فى «نشر المائى»: اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة ، اذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتناولون على أهل تلك المداشر فى أواخر دولة بنى وطاس .

وقال فى «المرآة» : «كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون فى الجهة المعروفة عندهم بالعدوة ، وهى عدوة وادى شفشاون ، فى حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ، على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبى الحسن بن أبى محمد المعروف بأبى جمعة العلمى ، واسمه الحسن بن محمد ابن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب أبى محمد عبد السلام بن مشيش ، ومات شهيدا قبل اتمام ما شرع فيه ، بتدبير النصارى دمرهم الله مع أهل النفاق اذ ذاك من أهل الخروب ، وقد جاءهم فى سبيل الجهاد وبينما هو يتجهجد من الليل فى مسجد هنالك ، اذ أضرموه عليه نارا فمات رضوان الله عليه ، وقام مقامه فيما كان بسبيله من الجهاد والاستفسار له وتجهيش الجيوش ابن عمه الامير الجليل ، الفاضل الاصيل ، أبو الحسن على بن موسى بن راشد بن على بن سعيد بن عبد الوهاب الى آخر النسب المتقدم ، فشرع فى اختطاط مدينة شفشاون فى العدو الاخرى فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها باهله وعشيرته ، ونزل الناس بها فبنوا وصارت فى عداد المدن الى أن توفى سنة سبع عشرة وتسعمائة ، وورثها بنوه من بعده ولم يزلوا فيها بين سلم وحرب الى أن أخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب والله تعالى أعلم .

ثورة عمرو بن سليمان السيف ببلاد السوس وشيء من أخباره



هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشيطمي المغيطي المعروف بالسيف، ويقال له المريدي بضم الميم، وكان ابتداء أمره أنه كان من تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، نقل الثقات أنه كان يتردد الى الشيخ المذكور، أيام حياته ويأتيه بألواح فيها كلام كثير منسوب الى الخضر عليه السلام، فلا يقول له في ذلك شيئاً غير أنه أثنى عليه مرات كثيرة، ثم لما مات الشيخ المذكور رحمه الله سنة سبعين وثمانمائة ثار عمرو المذكور مظفراً للطلب بنار الشيخ والانتقام من الذين سموه، اذ كان سمه بعض فقهاء عصره، فتبعهم حتى قتلهم، ثم صار يدعو الناس الى اقامة الصلاة ويقاثلهم عليها، فانتصر عليهم وشاع ذكره وتمكن ناموسه، ثم تجاوز ذلك الى أن صار يدعو الناس الى نفسه ويقتل المنكرين عليه وعلى شيخه وأصحابه، وسمى أصحابه المريدين، بضم الميم، قال زروق: «وما أحقها بالفتح» وسمى المخالفين له الجاحدين ثم جعل يتفوه بالمغيبات ويزعم أنه مأذون، وربما ادعى النبوة. وكان قد أخرج سلبو الشيخ الجزولي من قبره وجعله في تابوت وصار يقدمه بين يديه في حروبه كتابوت بني اسرائيل فينتصر على من خالفه، وقيل انه لم يدفنه وانما أخذه بعد موته فكفنه وجعله في التابوت، وجمع الجموع، وقاد الجيوش، وسفك الدماء، واستمرت فنته في الناس عشرين سنة.

قال الشيخ زروق رحمه الله: «بلغني أن شيخنا الفقيه أبا عبد الله القوري ورد عليه سؤال في شأن عمرو بن سليمان السيف فبادرت اليه كي أراه فقال لي: (قد خرج من يدي)، فقلت له: (فما مقتضاه؟)، قال: (مقتضاه انه يقول: ان أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق الا ما يقول له قلبه). قال زروق: «وشاع من أمره انه يقول: انه وارث النبوة، وان له أحكاماً تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وان الخضر حي، ونبي مرسل، وانه يلقاه ويأخذ عنه، بل يدعى ذلك من هو دونه من تلامذته».

وحكى بعضهم أن عمرا المذكور لما جعل شلو الشيخ فى التابوت ، كان اذا رجع به من حربه وضعه فى روضة عنده يسميها الرباط ، فاذا جنه الليل أطاف الحرس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقد عليه كل ليلة فتيلة عظيمة فى مقدار الثوب مغموسة فى نحو مدين من الزيت ليقوى الضوء ويتشعشع ، ويبلغ من كل الجهات الى مسافة بعيدة ، فتكشف الطرق عمن يأتى عليها ، كل ذلك مخافة أن يؤخذ منه شلو الشيخ فيتصر به عليه .

ويقال: ان ثورة عمرو المذكور وفتنته كانت أثرا من آثار دعوات الشيخ الجزولى رحمه الله ، فقد ذكر تلامذته كالشيخ التباع وغيره : أن الشيخ الجزولى خرج عليهم من آخر الليلة التى قتل فى صبيحتها ، فقالوا له : «ياسيدى الناس يزعمون أنك الفاطمى المنتظر» فقال : « ما يبحثون الا عمن يقطع رقابهم ، الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم » وكرر ذلك مرارا ، فكانوا يرون أن أثر دعوته ظهر فى عمرو السيف والله أعلم .

وقتل عمرو المذكور سنة تسعين وثمانمائة واختلف فيمن قتله ، فقيل كان عمرو قد تزوج زوجة الشيخ الجزولى وبنته فلما رأنا ما هو عليه من الزندقة والفساد فى الارض قتلناه امتعاضا للدين ، ترصدناه حتى اذا نام عدنا عليه فقتلناه ثم رمت احدهما وهى بنت الشيخ بنفسها من كوة هناك فى البيت الذى كانوا به فوصلت الى الارض سالمة ونجت ، وبقيت الاخرى ، وهى الزوجة ، بالبيت فدخلوا عليها فقتلوها . وقيل : انما قتله زوجته وربيبته ، وقيل : غير ذلك والله أعلم .

ولما هلك عمرو السيف دفن الناس الشيخ الجزولى ، وقيل : هو دفنه بموضع يعرف بتاصروت ثم نقل بعد الى مراكش على ما نذكر ان شاء الله ولما ذكر الشيخ أبو العباس الصومعى فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى قصة نقل الشيخ الجزولى الى مراكش ، وانه وجد طريقا لم يتغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة ، قال : « وأعجب من هذا أن عمرا المغطى السيف زعموا أنه وجد كذلك ، ولعله أدركته بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله » اهـ .

وفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الامام
أبا عبد الله بن غازى من مكناسة الى فاس فولى الخطابة أولا بالمسجد الجامع
من فاس الجديد ثم ولى الامامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين من فاس وصار
شيخ الجماعة بها واستوطنها الى أن مات رحمه الله .

وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة تحرك السلطان محمد الشيخ الى
دبدو ثم عاد الى حضرته . وفيها أيضا فى يوم الخميس السابع من ذى القعدة
توفى الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسى ودفن بالقلعة خارج باب
الجيسة .

وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولت الرينة ايسابىلا صاحبة مادريد
قاعدة بلاد قشتالة على حمراء غرناطة ومحتدولة بنى الاحمر من جزيرة الاندلس
ولم يبق للمسلمين بها سلطان ، وتفرق أهلها فى بلاد المغرب وغيرها أيادى
سبا ، وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى .



بناء مدينة تطاوين



قال منويل: « لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها
الى المغرب فنزلوا فى مرتيل قرب تطاوين ولما نزلوا به لم يقدموا شيئا على
الوفادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسى ، فأجل مقدمهم ورحب
بهم ، فقالوا : ان ضيافتنا عندك أن تعين لنا موزعا نبني فيه بلدا يكننا ونحفظ فيه
عيالنا من أهل الريف » فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الحربة منذ تسعين
سنة وولى عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظري ، وكان رجلا شجاعا من كبار
جند ابن الاحمر ، وكان قد أبلى معه فى حرب غرناطة البلاء الحسن ثم انتقل
الى المغرب كما قلنا ، ولما عقد له الشيخ الوطاسى على أصحابه رجوع بهم الى
تطاوين وشرع فى بناء أسوار البلد القديم ، فجدد به وبني المسجد الجامع به
واستوطنه هو وجماعته ، ثم أخذ فى جهاد البرتقال بسبته وبلاد الهبط الى أن

أسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في اتمام ما بقى عليه من بناء تطاوين ،
واتصلت الحرب بينهم وبين برتقال سبتة كاتصالها بين أهل آزمور وبرتقال
الجديدة » اه .

وقوله ان بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقول
أهل تطاوين من أن تاريخ بنائها رمز : « تفاحة » ، وان ذلك كان باعانة الشريف
أبى الحسن على بن راشد ، فيظهر والله أعلم أن أبا الحسن المنظري كان قد
قدم من الاندلس قبل أخذ غرناطة بسنين يسيرة موافق الرمز المذكور ، والله
أعلم .

قدوم ابى عبد الله ابن الاحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسى
رحمهما الله

لما استولى طاغية الاصبنيول على حضرة غرناطة وسائر الاندلس ، انتقل
سلطانها أبو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف
السلطان محمد الشيخ بعد أن خاطبه من انشاء وزيره أبى عبد الله محمد
العربى العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم	رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن	جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا	وأفزع الخطب ما يأتى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له	وهل مرد احكم منه منحتهم

وهى طويلة . ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلاة على
نبيه ما نصه .

« أما بعد فيامولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ، لا حظ الله لكم
من العزة ارواقا ، ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا أوراقا ، ولا زالت
مخضرة العود ، مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بشمرات السعدود ،
مطبورة بسحاب البركات المتداركات دون بروق ولا رعود ، هذا مقام العائد

بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المرتجى لعواطف قلوبكم ، وعوارف انعامكم ، المقبل الارض تحت أقدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، وماذا الذى يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل ، وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل ؟ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ، واجترأى عليه أكثر واحترامى اليه أكبر ، « اللهم لا برىء فاعتذر ، ولا قوى فانتصر » لكنى مستقيل مستعتب مستغفر ، « وما أبرئ نفسى ، ان النفس لأماراة بالسوء » هذا على طريق التنازل والاتصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف . وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته الام ابنة الصديق : « والله انى لا علم أنى ان أقررت بما يقوله الناس والله يعلم أنى منه بريئة لا قول ما لم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لاتصدقونى . فأقول ما قاله أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » على انى لا أنكر عيوبى فانا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبى فانا جبل الذنوب ، الى الله أشكو عجرى وبجرى ، وسقطاتى ، وغلطاتى . نعم ، كل شىء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول ، الناطق بفم الشيطان المسول ، ومن أمثالهم : « سبنى واصدق ، ولا تفر ولا تخلق » أفملى كان يفعل أمالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة أحمالها ، ويهلك نفسه ويحبط أعمالها ؟ عياذا بالله من خسران الدين وايتار الجاحدين والعتدين ، « قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين » وأيم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وقطقتها ، غير أن الرعاع فى كل أوان أعداء الملك وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحقق أو أجهل من أبى ثروان ، أو أعقل أو أعلم من اشج بنى مروان « رب متهم برىء » ، ومسربل بسربال وهو منه عرى ، وفى الاحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ، ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل ، وعلى الراجح الاعتماد ، ثم اساعة الاحكام المتصل المتباد والمرجوح الاطراح ، ثم التزام الصراح ، بعد النفض من الراح ، وأكثر ما تسمعه الكذب ، وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ، ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ، وزمينا بما لايرمى به الكفار ، فضلا عن

الفجار ، وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمر ما لديكم منه حفظ الجار ، واذا عظم الالكاء ، فعلى تكأة التجلد الاتكاء ، أكثر المكثرون ، وجهد في تعيرنا المتعرون ، ورمونا عن قوس واحدة ، ونظمونا في سلك الملاحدة أكفرا أيضا كفرا ؟ ، غفرا اللهم غفرا ، أعد نظرا يا عبد قيس ، فليس الامر على ما خيل لك ليس ، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحققا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غافلين ، فانفتق علينا فتق لم يمكننا له رتق ، «وما كنا للغيب حافظين» ، وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتميز والنقد ، فعند جهيتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يوئنا فيوبقنا ، أو يبرئنا فيقينا . ايه يامن اشرب الى ملائنا ، وقذح حتى في اسلامنا ، رويدا رويدا ، فقد وجدت قوة وايدا ، ويحك انما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء الياء لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر ، والامر عليك مقبل وعنا مدبر ، كما قاله كاتب الحجاج المتبر . وعلى الجملة فهنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا ، وزهنا فافقرنا بالخطا في كل ورد وصدر فله در القائل :

«ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر» وكأننا بمعسف اذا وصل الى هنا ، وعدم انصافا يعلمه الهاء قد ازور متجانفا ، ثم افتر متهانفا وجعل يمثل بقولهم : «اذا غيروا قالوا : مقادير قدرت» وبقولهم : «المرء يعجزه المحال ، فيعارض الحق بالباطل ، والحال بالعاطل» وينزع بقول القائل «رب مسمع هائل وليس تحته طائل : وقد فرغنا أول أمس من جوابه ، وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به ، وسنلم الآن بما يوسع تبكيتا ، ويقطعه تسكيتا ، فنقول له : ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض ، مع اجتهادك أثناءه في اصدارك ، وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك ، أو جميع ما تراوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك ، أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بد أن يقر اضطرارا بان مطلوبه يشذ عنه مرارا ، بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ، ويطلبه فيعجز عن ادراكه ، فنقول : ومسألتنا من هذا القليل : أيها النبيه النبيل ، ثم تسرد له من الاحاديث النبوية ما شئنا ، مما يسايرنا في غرضا منه ويمائنا ،

قوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس »
وقوله أيضا : « لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فاخلق به أن يلود بأكناف الاحجام ، ويؤزم على نفث فيه كأنما الجم بلجام . حينئذ نقول له ، والحق قد أبان وجهه وجلاله وقهره بحجته وعلاه . « ليس لك من الامر شيء » « قل ان الامر كله لله » ، وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ، ويرخص عن أثواب أعراس ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم ، وكيفما كانت الحال ، وان ساء الرأى والاتجال ووقعنا في أوجال وأوحال ، فقل عرشنا ، وطويت فرشنا ، ونكس لوانا ، وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا ، « وما في الشر خيار » ويد اللطاف تكسر من صولة الاغيار ، فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفًا ، ولا عدمنًا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفًا ، والا فلك بغداد دار السلام ، ومتبوا الاسلام ، المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاويسية ، والعقول الايسية ، قد نوزلت بالجيوش ونزلت ، وزوولت بالزخوف وزلزلات ، وتحيف جوانبها الحيف ، ودخلها كفار التار عنوة بالسيف ، ولا تسل اذ ذاك عن كيف ، أيام تجلت عروس المنية ، كاشفة عن ساقها مبدية ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والادوية ، وقيد الائمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضة بالعمائم في رقابهم والاردية ، وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضها الى ارساغها ، وتهم ظمأوها بوردها فتتكلم عن تجرعها ومساغها ، فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها ، وخربست مساجدها وديارها ، واصطلم بالحسام أسرارها وخيارها ، فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف ، حسبما عرفت أو حسبما تعرف ، فلاتك متشككا متوقفا ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا ، فأين تلك الجحافل والآراء المدارة في المحافل ؟ حين أراد الله تعالى بادل الكفر لم تجد ولا

قلامة ظفر، اذن من سلمت له نفسه التي هي رأس ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله، وكل أوجل أوقل ريشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهازه واتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تعصب واعتياص، بعد ما ظن كل الظن أن لامحيد ولا مناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه، على ما أسداه اليه من رفده وخيره، ومغافاته مما ابتلى به كثير من غيره، ويرضى بكل ايراد واصدار، تتصرف فيهما الاحكام الالهية والافدار، فالدهر غدار، والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب، والدوائر تدور، ولا بد من نقص وكمال للبذور، والعبد مطيع لا مطاع، وليس يطاع الا المستطاع، وللخالق التقدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للذهان عن مداه انقطاع، ومالى والتكلف لما لا أحتاج اليه من هذا القول، بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول، فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمنى بصفره، ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعد من نفره، ولا فاز قدحه بظفره، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجرب براحتها الى المتاعب، وقديما للاكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب الذى جبت وجدعت، ولئن رهصت وهصرت فقد نهبت وبصرت، ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت، وباولينا من تنكرها لنا بكرة، ورميها لنا فى غمرة أى غمرة، أيام قلبت لنا ظهر المجن، وغيم أفقها المصمى وأدجن، فسرعان ما عاينا جبالها منبته، ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بفته، فمن استعاذ من شيء فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور، والانحطاط من النجد الى الفور :

فينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة نتصف
 قبا لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف
 وأبها لقد أرهقتنا ارهاقا، وجرعتنا من صاب الاوصاب كأسا دهاقا،
 ولم نفرع الى غير بابكم المنيع الجنب المفتوح حين سدت الابواب، ولم نلبس
 غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا !! لك من الاثواب، والى أمه يلجأ
 (الاستقصا رابع - 9)

الطفل لجأ للهفان، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ، ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان ، والى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا وكفان . ولا ريب فى اشتمال العلم الكريم على ما تعارفه الملوك بينهافى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم، وقرع الانسان وعض البنان من الندم، ديناتديته مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان، ولقد عرض علينا صاحب قشالة مواضع معتبرة خير فيها ، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يفتق النفوس ويكفيها ، فلم نر ، ونحن من سلالة الاحمر ، مجاورة الصفر، ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر، ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعة، وأما المطالب المشاغب حمة شر لنا لا سعة ، وادكرنا أى اذكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار: « ألم تكن أرض الله واسعة » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام: « أنا برىء من مؤمن مع كافر ترأى ناراهما » وقول الشاعر الحاث على حث المطية المتأقلة عن السير فى طريق منجاتها البطية: وما أنا والتلذذ نحو نجد وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا ، تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات ، وتتضمن مالا مزيد عليه من الرغبات ، فلم نختر الا دارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الاضواء الا لمن بجلبه وصل جبلنا ، وبريش نبله ريش نبلنا ، ادلالا على محل اخاء متوارث لاعتى كلاله ، وامتالا لوصاة أجداد لا نظارهم وأقدارهم اصالة وجلاله ، اذ قد روينا عن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا : أن لا يتغفوا اذا دهمهم أمر بالحضرة المرينية بدلا ، ولا يجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا ، فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج ، وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج ، فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين ويشفى النفس الشاكية من ألم البين ، ومن توصل هذا التوصل وتوصل بمثل ذلك التوصل تطارحا على سدة أمير المؤمنين ، المحارب للمحاربين ، والمؤمن للمستأمنين ، فهو الخلق الحقيق بأن يسوغ أصفى مشاربه ويبلغ أوفى مآربه على توالى الايام والشهور والسنين ، ويخلص من الثبور الى الجبور

وبخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا، ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر .

عظفا أمير المؤمنين فاننا فى دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاتوت أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فانتسى أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاخرى بنا والاحجى ، والانجح لسعينا والارجى ، أن نعدل عن هذا المنهاج، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج :

الناس يقدونك اضطرارا منهم وأفديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض وأنت حتى أموت جارى
فغش الخبزى وعش لمائى وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه ، وتعاضمت نعمائوه ، رحمة تجعل فى يد الهداية أغنتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا ، وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب ، وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب، ونسأله، وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا ، متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ، ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا ، «سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا «كل ذلك كان فى الكتاب مسطورا» لم نستطع عن مورده صدورنا ، «وكان أمر الله قدرا مقدورا» ، الا وان لله سبحانه فى مقامكم العالى الذى أيدته وأعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل ، وترجع فروع انبشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصله، فبمثلته يجب اللباد والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولامر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ، ومنه جل جلاله

نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ، ويأوب بنا من حمايته ووقيته الى معقل منيع وجناب رفيع . آمين ، آمين ، آمين . ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا ، وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفي ، كريم وفي ، أعز جارا من أبي دواد ، وأحمى أنفا من الحرث بن عباد ، يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ، ان أغاث ملهوفنا فما الاسود بن قنان يذكر ، وان أنعش حشاشه هالك فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر ، جلسه كجلس الققعاق بن شور ، ومذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور ، الى التحلى بأهميات الفضائل التي أضدادها أهميات الرذائل وهى الثلاث : الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة : الاقوال ، والافعال ، والشمائل ، وينشأ عنها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم ، وتيقظ وتحفظ وإتقاء وإرتقاء ، وصول وطول وسماح نائل ، فنبور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق ، وبمجده السامى خطره فى الاخطار وبته الذى ذكره فى النباهة والنجاة قد طار ، يباهى جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيفلا ، وهو الرفيع المنتمى والتجار ، الراضع من الطهارة صفو البان الناسى من السراوة وسط أحجار فى ضضىء المجد وبحبوح الكرم ، وسرواة أسرة المملكة التى أكنافها حرم ، وذؤابة الشرف التى مجادتها لم ترم ، من معشر أى معشر بخلوا أن وهبوا ما دون أعمارهم ، وجبنوا ان لم يجمواسوى دمارهم . بنو مرين ، وما ادراك ما بنو مرين « سم العداة وآفة الجزر » « النازلون بكل معرك ، والطيون معاهد الازر » لهم عن الهفوات انتقاء ، وعندهم من السير النبوية اكنفاء انتسبوا الى بر بن قيس ، فخرجوا فى البر عن القيس ، مالههم القديم المعروف قد نفذ فى سبيل المعروف ، وحديثهم الذى نقلته رجال الزخوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف ، تحمد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابلهم ولدنهم فله آباء أنجيومهم ، وأهميات ولدنهم ، « شم الانوف من الطراز الاول » اليهم فى الشدائد الاستناد ، وعليهم فى الازمات المعول ، ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية

والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول ، كأنما عناهم بقوله جرول:
 أولئك قوم ان بنو أحسنوا البنا وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شدوا
 وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
 وتعذلنى أبناء سعد عليهم — وما قلت الا بالذى علمت سعد
 وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
 يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ،
 فهو أحق بما قاله فى منقر قيس بن عاصم :

لا يفظنون ليعب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن
 حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل ، وأمير المؤمنين دام
 نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف
 الملوكية مستعل ، ارفض مزنيهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة ، وانشق
 غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على برائته للثوبة ، فقل لسكان الفلا : لا
 تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالى السرحان المواشى سواء مشى اليها النقرا أو
 الجفلى بل يصددهم صدمة تحطم منهم كل عرين ، ثم يتلع بعد أشلاءهم المغفرة ابتلاع
 الثنين ، فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه ، وأخو المنايا « وابن جلا وطلاع
 الثنايا » ، مجتمع أشده ، قد احتكت سنه وبان رشده ، جاد مجده ، محتزم
 بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد .

لا يشرب الماء الا من قليب دم ولا يبيت له جار على وجل
 اسدى القلب آدمى الروا ، لابس جلد النمر يزنى العناد والنوى .
 وليس بشارى عليه دمامة اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم
 ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم
 فالنجاى النجاى سامعين له طائعين ، والوجل الوجل لا حقين به خاضعين قبل أن
 تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ، ويعبى الفداء بنفائس النفوس والاموال
 على القاد ، حينئذ يعض ذو الجهل والفداه على يديه حسرة وندامة ، اذا
 رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبندود ، قد لفحتهم نار ليست

بذات خمود، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود، زعقات
تؤز الكتائب أزا وهمزا، محققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا، وسلا
للهندية سلا وهزا للخطية هزا، حتى يقول النسر للذئب: «هل تحس منهم من
أحد أو تسمع لهم ركزا»: «ثق خليفة الله بذاك في كل من رام أذى رعيتك
أو أذاك، فلك عادة الله سبحانه في ذوى الشقاق والنفاق، الذين يشقون
عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق، وينصبون جبال البغى والفساد في
جميع النواحي والآفاق، فلن يجعلهم الله عز وجل من الأمنين، أنسى
وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين» ولا يهدى
كيد الخائنين، وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس
والتعظيم، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم
منتظمين فى سلك أوليائكم، متشرفين بخدمة عليائكم، ولا فقد غرة ولا عدما
من قصد مثابكم العزيزة وخدمها، وان المتراعى على سنائكم لجدير بحرمتكم
واعتنائكم، وكل ملهوف تبوأ من كفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره
محروسا من الضيم مصونا، وقد قيل فى بعض الكلام: «من قعدت به نكايه الايام
أقامته اغانة الكرام»، ومولانا أيدى الله تعالى ولى ما يرفه الينا من مكرمة بكر،
ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر، ويروى معنعن
بحديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر، وغيره من
ينام عن ذلك فيوقف، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ، وما عهد منذ
وجد الا سريعا الى داعى الندى والتكرم بريثا من الضجر بالمطالبة والتبرم،
حافظا للجار الذى أوصى النبی صلى الله عليه وسلم بحفظه، مستفرغا وسعه
فى رعيه المستمر ولحظه، آخذا من حسن الثناء فى جميع الاوقات والآثناء
بحظه.

فهو من دوحة السنا فرع عز	ليس يحتاج مجتنيه لهـ
كفه فى الامحال أغزر وبل	وذراه فى الجوف أمتع جرر
حلمه يسفر اسمه لك عنه	فتفهم يا مدعى الفهم لغزى
لا تسله شيئا ولا تستلنه	نظرة منه فيك تغنى وتجزى

فنداه هو الفرات الذي قد عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المتبع الذي تر جمع عنه الخطوب مرجع عجز
فدعوا ذهنه يزاول قسوى فهو أدري بما تضمن رمزي
دام يحيى بكل صنع ومن ويعافى من كل بوس ورجز

وكأننا به قد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلاله ، وتلقى
ورودنا بتهلله واستهلاله ، وتأنيسنا بجميل قبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوض
كوثره المترع بزلاله ، والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به فى حله
وارتحاله ، ومآله وحاله ، ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه
واستزائه ، وهز الذوايل لاطفاء ذباله ، وهو سبحانه وتعالى المسئول أن يريه
قرة العين فى نفسه وأهله ، وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله ، وكافة شؤنه
وأحواله ، وأحق ما نصل بالسلام وأولى ، على المقام الجليل مقام الخليفة
المولى ، وأزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه ، وارساله ، سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاة وسلاما دائمين
أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ، ضامين لمجددهما ومرددهما صلاح
فساد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وإفضاله .
انتهت الرسالة وما كادت .

ووصل السلطان ابن الأحمر المخلوع بعد نزوله بمليية الى مدينة فاس
بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه ، متلهفا على ما خلفه ، وبني بفاس بعض
قصور على طريق بنيان الاندلس ، وتوفى بها سنة أربعين وتسعمائة ودفن
بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ذرية من بعده . قال فى «نشر المائى» :
«انقرضوا ولم يبق منهم أحد» . وزعم منويل أنه هلك فى وقعة أبى عقبة فسى
حرب الوطاسيين مع السعديين ، قال : « ولم يحسن هذا الرجل أن يدفع عن
ملكه فدفع عن ملك غيره »

استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبنائهم مدينة الجديدة

صانها الله سبحانه وتعالى بيمينه



قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقفت لبعض البرتقاليين واسمه لويـز مارية على تأليف فى أخبار الجديدة من لدن بنوها الى أن انتزعها المسلمون منهم فاقتطفت منه ما أثبتته فى هذه الترجمة . قال هذا المؤلف : لما كانت سنة ألف وخمسمائة واثنين مسيحية قلت : ويوافقها من تاريخ الهجرة سنة سبع وتسعمائة تقريبا بعث سلطان البرتقال ، واسمه منويل ، من دار ملكه اشبونة عمارة فى البحر للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فاجأهم هيجان البحر وموجه الى ساحل البريجة فيما بين آزموور وتيط ، وكانت البريجة على ما يفهم من كلامه بناء متخذاً هنالك للحراسة ونحوها كان يسمى برج الشيخ ولا زال مسمى بهذا الاسم الى الآن ، فأرسل البرتقاليون على الساحل المذكور ونزلت طائفة منهم الى البر فطوفوا بالبريجة وما حولها وأعجبهم المكان فعزموا على المقام به ، واتفق رأيهم أن يتركوا جماعة هنالك يحفظون المحل ويرجع باقيهم الى ملكهم ليستأذنوه فيما عزموا عليه ، فتركوا اثني عشر رجلاً بالبريجة بعد أن حصنوها وشحنوها بما يحتاجون اليه من عدة وقوت ونحوهما ، ورجع الباقون الى الملك فاخبروه بشأنهم ، فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائين والعملة لينوا لهم ما يتحصنون به ، فقدموا على اخوانهم وشرعوا فى ادارة السور على قطعة من الارض ، فذبر بهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتسابقوا اليهم على الصعب والذلول ففر النصارى الى البريجة وتحصنوا بها وأفسد المسلمون كل ما كانوا عملوه فى تلك الايام وأحجروهم بحصنهم ، ووضعوا عليهم الرصد الى أن فتر عزمهم وأيسوا من نجاح سعيهم ، فعاد جلهم أو كلهم الى اشبونة وأعادوا الكلام على ملكهم منويل فى شأن البريجة ووصفوا له حسن البقعة وصحة هوائها ومنزلتها من البحر ، ومن قبائل أهل المغرب من أهل تامسنا ودكالة وغيرهم ، وأنها عسى أن تكون سلماً للاستيلاء على غيرها

من بلاد المغرب، لا سيما ودولة المسلمين به يومئذ قد تلاشت وملكتهم قد ضعف، فوفر ذلك في نفس الملك واستأنف العزم، وبعث معهم حصّة من العسكر تحصل بها الكفاية وتأتى بها المدافعة والممانعة مع جماعة وافرة من البنائين والمهندسين، وحملهم ما يحتاجون اليه من آلة وغيرها، فانتهوا الى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الاول، وتحنينوا غفلة أهل البلاد وشرعوا في بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق، ودأبوا في العمل ليلا ونهارا فلم تمض مدة يسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به. وكان انشاؤهم لهذا الحصن على البريجة القديمة بان جعلوها أحد أرباعه وأضافوا اليها ثلاثة أرباع أخر، وأداروا السور على الجميع، واتخذوا في داخل هذا الحصن ماجلا عظيما لخزن الماء، وهو النطفية في لسان الجبل، بنوه مربعا بتربيع الحصن، مساحة كل ربع منه مائة وثلاثون شبرا وجوانبه وقبوه من حجر النصف العجيب النحت المحكم الوضع والالتئام، محمولا ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربع. قال هذا المؤلف: وامتلاء نحو بلكاظة من هذا الماخن يسع عشرين بوطّة من الماء، ثم شيّدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعا جدا، ليس صادق التربيع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل، ثم بنوا في أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفا مستديرا صاعدا في الجويرقى اليه على مدارج لطيفة، وجعلوا في أعلاه صاريا خارجا من جوفه، وناقوسا للحراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته. وجميع هذه البناءات التي ذكرها المؤلف من الحصن وما معه لا زالت قائمة العين والاثر الى الان الا الطرى فانه قد اتخذ في هذه الايام التي هي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف منارا للمسجد الجامع، وذلك أن عامل الجديدة في هذا العصر، وهو الرئيس الفاضل أبو عبد الله محمد بن ادريس الجرارى حفظه الله، استأذن الخليفة، وهو السلطان الاعظم المولى الشريف أبو على الحسن بن محمد العلوى نصره الله، في جعله منارا لكون المنار القديم قصيرا لا يسمع الناس الاذان، فأذن أعزه الله في ذلك، وهذا العامل اليوم جاد في اصلاحه والزيادة فيه وقد أشرف على التمام، وكذلك

استأذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور فى ادارة جدار من داخل سور المدينة يكون سترة على منازل أهلها وبيوتهم ، لان السور المذكور كان مرتفعا على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكشفا على البيوت ، واستأذنه فى اصلاح القبة المشرفة على البحر المعروفة بقبة الخياطين ، وكانت قد تلاشت ، وابتخاذ سجن متسع محكم عن يمين الداخل من باب المدينة المذكورة لانه لم يكن بهاسجن معتبر ، فاجابه الخليفة المذكور الى ذلك كله أدام الله علاه . وقد تم جل ذلك وعادت القبة الى أحسن حالاتها التى كانت عليها أيام البرتقال والله لا يضع أجر من أحسن عملا .

ولنرجع الى موضوعنا الذى كنا فيه فنقول : ثم شرع نصارى البرتقال بعد الفراغ من الحصن المذكور فى ادارة سور المدينة على أوثق وجه وأحكمه وذلك انهم عمدوا الى بقعة مربعة من الارض مساحة كل ربع منها ثلاثمائة وخمس وسبعون خطوة ، وجعلوا مركزها الحصن المذكور ثم أداروا بها سورين عاديين تخذ الخارج منهما نحو خمسة عشر شبرا ، والداخل على نحو الثلاثين منه ، وبينهما فضاء مردوم بالتراب والحجارة الصغيرة ، فصار السوران بذلك سورا واحدا سعتة خمسون شبرا ، وهذا فى غير الربع الموالى للبحر ، أما هو فليس فيه ردم وانما هو سور واحد مصمت أضيق مما عدها يسيرا وارتفاع هذه الاسوار من داخل البلد نحو ستين شبرا ومن خارجها نحو السبعين . ثم أداروا خارج السور خندقا فسيحا وجعلوا عمقه أربعة عشر شبرا بحيث بلغوا به الماء واذا فاض البحر ملاء ما بين جوانبه . واتخذوا للمدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى ، وقد سد بالبناء فى هذه السنين ، واثان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين بالعمل الهندسى بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة الى ذلك ، فصارت المدينة بهذا كله فى غاية المناعة .

وكان بنو وطاس فى هذه المدة أشغل من ذات النجيين مع برتقال سبتة وطنجة وسائر بلاد الهبط ، فلذا تأتى لهؤلاء النصارى أن يفعلوا ما فعلوه فى هذه المدة اليسيرة ، وجعلوا داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم فى ذلك ، واتخذوا بها أربع كنائس ،

واتخذوا المخازن والاهراء للاختزان وسائر المرافق ومن جعلتها هري كان يسع ستمائة فيكة من الحب وأوطنوها باهلهم وعيالهم ، وكان فيها جماعة من أشرفهم وذوى بيوتاتهم من أهل أشبونة وغيرها ، وكانوا يعدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والذرية ، وكانوا يأملون الاستيلاء منها على مراکش فخبب الله رجاءهم ، ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من الحروب والغارات مما لعلنا نشير الى بعضه فى محله ان شاء الله .



استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فونتى قرب اكادير وما قيل فى ذلك



ذكر بعض المؤرخين من الفرنج أن استيلاء البرتقال على آكادير كان فى مدة ملكهم منويل المذكور آنفا وان ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد .

قال منويل : « لما علم طاغية البرتقال منويل أن مرسى آكادير جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان يظن أن ذلك لا يتأتى له لحصانتها وكثرة القبائل المجاورين لها ، ثم خاطر وبعث اليها جيشا فاستولوا عليها على حين غفلة من أهلها وحصنوها وبنوا بها دورا وبرجا جيدا وأخذوا فى التجارة بها مع أهل السوس ، وكثرت أرباحهم . ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن آسفى وآزمور » . قلت : مراده بآكادير حصن فونتى القريب منه ، والا فآكادير انما بنى بعد هذا التاريخ بكثير كما سيأتى . ثم مقتضى ما ذكره أن يكون زمان استيلائهم عليه موافقا أو قريبا لزمان استيلائهم على البريجة ، ومقتضى ما نقله فى « النزهة » عن ابن القاضى أن يكون استيلائهم عليه فى حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فانه لما وصف حال السلطان محمد الشيخ السعدى الآتى ذكره ان شاء الله

قال : « وكان له بخت عظيم في الجهاد فتح حصن النصارى بسوس بعد أن أقاموا به اثنتين وسبعين سنة » اهـ . وكان فتحه اياه في حدود سبع وأربعين وتسعمائة ، والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس في التاريخ الاول وعلى بعضها في الثاني ، والله أعلم .

وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله

ذكر ابن القاضي في « الجذوة » : « أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة » قال : « ومن حملة وزرائه أخوه الناصر بن أبي زكرياء » والله أعلم . وولى الامر من بعده ابنه محمد البرتقالى على ما ذكره .

الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي

المعروف بالبرتقالى رحمه الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ ببيع ابنه محمد البرتقالى في التاريخ المتقدم وكان نصارى سبتة وطنجة وآصيلا قد استحوذوا على بلاد الهبط وضايقوا المسلمين بها حتى الجأوهم الى قصر كامة ، فكان هو الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر ، وكان السلطان محمد هذا قد عني بجهادهم وترديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها ، فكان ذلك سببا لظهور الدولة السعدية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما ذكره ان شاء الله .

استيلاء البرتقال على ثغر آسفى حرسه الله

قال منويل : « كان البرتقال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفى ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغور ، فزحفوا إليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتقال ، وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفى وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتقال وأسلموها اليهم على الامان . فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كرة المسلمين عليهم ، فكان كذلك فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتقال حرب سديدة ، كانت صفوف المسلمين ترادف فيها كأمواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتقال وكبارهم ، ثم قدمت عليهم شكوا دره من مادرة بالعسكر والزاد فقويت نفوس البرتقال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتقال لينتهزوا فيهم الفرصة فكر المسلمون عليهم واستلبوهم . وهذا أول حصار كان على آسفى .

ثم بعد سنين قلائل زحف المسلمون إليها أيضا ومعهم عدد من المدافع ، وقاتلوا قتالا صعبا وزحفوا الى السور فهدموا منه ثلثة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ، ثم رحل المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحدنوا أنفسهم بالقتال ، وعمرت آسفى بالنصارى وانتقل إليها التجار وبنوا بها الدور ، وكانوا يسقون منها الحب ويحملونه فى السفن الى بلادهم ، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين .

ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى «مرآة المحاسن» ما نصه : «قرأت بخط شيخنا أبى عبد الله القصار أن صاحب آسفى أخرج الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولى منها فدعا عليهم ، فسئل منه العفو ، فقال : «أربعين سنة» فأخذها النصارى بعدها » اه . وهذا يقتضى ان استيلاءهم عليها كان فى حدود عشر وتسعمائة ،

لان وفاة الشيخ الجزولى رحمه الله كانت فى سنة سبعين وثمانمائة كما مر .
وعند الفرنج ما يقتضى أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بستين أو ثلاث .
والله أعلم .



زحف السلطان ابى عبد الله البرتقالى الى آصिला



قال منويل : « لما أفضى الامر الى السلطان محمد بن محمد الشيخ
الوطاسى أراد أن يأخذ بثاره من البرتقال الذين أسروه لسبع سنين ،
فزحف الى آصिला فى حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله
عليها ثم اقتحمها المسلمون عليهم اقتحاما واقتلوا فى وسط الازقة والاسواق يومين
ثم جاء المدد الى البرتقال من طنجة وجبل طارق ففويت نفوسهم وخرج
المسلمون عنهم ، لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم
بها الا الخربات ، ثم جد البرتقال فى اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر الى
أن رجعت للمسلمين . »



استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله



قال منويل : « بعث طاغية البرتقال أربع عشرة وتسعمائة الى ثغر
آزمور شكودره فيها ألفان من العسكر وأربعمائة خيالة ، فدافعهم زيان
الوطاسى ابن عم السلطان ، ونشبت مراكب البرتقال فى الساحل ، وتكسر
جلها وعات فيها المسلمون ، ورجع الباقي مغلولاً . ثم بعد أربع سنين بعث اليها
الطاغية منويل شكودره فيها عشرون ألفاً من العسكر وألفان وسبعمائة خيالة
فاتتهوا الى آزمور وحاصروها بحرا ، وزحفوا اليها من الجديدة برا ، ووقع حرب
شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البادية . ثم انهزم المسلمون وخرجوا

من باب تركه لهم البرتقال قصدا « قال : « لانه يقال فى المثل : الفار منك فى الحرب اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها » .

وقال فى « النزهة » : « كان نزول النصارى بآزمور سنة أربع عشرة وتسعمائة » قال : « وفى هذه السنة بنى النصارى حجر باديس . وفى أواخر المحرم منها أخذ النصارى - يعنى الاصبنيول - مدينة وهران ونكبوا أهلها ، فما منهم الا أسير أو قتل الى أن أعادها الله للإسلام على يد الاتراك فى حدود العشرين ومائة وألف » اه .

قلت : أهل آزمور يزعمون أن استيلاء البرتقال على مدينتهم كان متكررا وسيأتى ما يفهم منه ذلك والله أعلم .

ومن أخبار السلطان أبى عبد الله ما وقعت عليه فى تاريخ البرتقالين من أن السلطان المذكور كتب لطايعتهم منويل يطلب منه أن يتقدم بالوصاية لاصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبين له كان قد عزم على بعثهما الى الجزائر ثم منها الى تونس . وكان الطاغية لم يجبه أو أبطأ بالجواب ، فكرر اليه الكتاب ثانيا فى القضية المذكورة ، وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معا مترجمين بلغته ، وذكر أن تاريخ الاول منهما الثالث والعشرون من جمدى سنة عشرين وتسعمائة ، وتاريخ الثانى الثامن والعشرون من ذى القعدة من السنة . اه .



استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة لا حرسه الله



قال فى « نشر المائى » : « ان الذى اختط حصن المعمورة هو المهدي الشيعى على يد بعض عماله ، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدى » قال : « ولما كان زمن منويل البرتقالى بلغه أن مينا المعمورة جيدة ، وبلادها نفاعه ، فبعث اليها طائفة من جنده ، فوصلوا الى ساحلها ونزلوا فى البر المقابل لها . وبنوا هنالك برجاً لحصارها ، ثم أردفهم ملكهم المذكور

بعمارة تشتمل على مائتى مركب مشحونة بثمانية آلاف من المقاتلة « قال :
 « وكان خروج هذه العمارة من مدينة اشبونة فى اليوم الثالث عشر من يونيه
 العجمى سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسيحية ، قلت : يوافقها من
 تاريخ الهجرة تقريبا سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، فوافت مينا المعمورة
 فى الثالث والعشرين من يونيه المذكور وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياما
 وبلغ الخبر بذلك الى السلطان أبى عبد الله البرتقالى فبعث أخاه الناصر
 صريخا فى جيش كيف ، فوصل سادس اغشت من السنة المذكورة ، وقاتل
 البرتقال قتالا شديدا وهزمهم هزيمة قبيحة ، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين
 فهزموهم واستولوا على المعمورة وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود
 بها الان واستمروا بها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم فى دولة
 السلطان المذكور والله تعالى أعلم ، وفى السنة التى استولوا على المعمورة رجعوا الى
 موضع مدينة آفنى فشرعوا فى بنائها ، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء ، وبقوا
 بها مدة طويلة الى زمن السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على ما زعم منويل .



اخبار السلطان ابى عبد الله البرتقالى مع الشيخ ابى محمد الغزوانى

رضى الله عنه



أصل الشيخ أبى محمد عبد الله الغزوانى دفين حومة القصور من
 مراکش من غزوان ، قبيلة من عرب تامسنا ، وكان فى ابتداء أمره يقرأ
 العلم بمدرسة الوادى من عدوة الاندلس بفاس ، فحصلت له ارادة فسافر
 الى مراکش ولازم الشيخ التباع وتخرج به . ثم انتقل الى بلاد الهبط فنزل
 بها على قبيلة يقال لهم بنو فرنكار ، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره ، وعظم
 صيته ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج
 اليها بقصد الغارة على نصارى أصيلا ، وكان معه فى هذه الحركة الشيخ أبو عبد

الله محمد بن غازى - الامام المشهور - ، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزوانى وخشى على الدولة عاقبة أمره ، وأغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسى السفينانى الاصل . وكان هذا الفقيه يصحب السولاة والعمال ويخرج فى بعوثهم قاضيا ، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وقر ذلك فى نفس السلطان فبعث اليه فحضر وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاجناوت ، وجعله فى سلسلة وبعث به الى فاس ، وتقدم فى شأنه الى ابن شقرون صاحب شرطته بقصبة فاس القديم ، وكان الشيخ ابن غازى قد مرض فى هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله الى منزله من فاس ، فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك ، فبينما هو كذلك اذ مر به الشيخ الغزوانى فى سلسلته فسأل الموكلين به أن يعوجوا به على الشيخ ابن غازى كى يعود ويؤدى حقه ، فلما وقف عليه طلب ابن غازى منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازى لأصحابه : « احفظوا وصيتى فانى راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك » قالوا له ياسيدى : « ما عندك باس » فقال : « ان الله وعدنى أن لا يقبض روحى حتى يرينى وليا من أوليائه ، وقد أرايه الساعة فدلنى ذلك على انقضاء الاجل » فحملوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به . هكذا ساق هذا الخبر صاحب « الدوحة » فى ترجمتى الشيخين المذكورين .

وكانت وفاة ابن غازى أواخر جمدى الاولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وقال صاحب « المرأة » عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزوانى ما نصه : « فتحرك الشيخ الغزوانى لزيارة ضريح الشيخ أبى سلهم فعرض له العروسى قائد القصر الكبير وناولته كتاب السلطان يأمره فيه بقدم الشيخ الى فاس دار الملك اذ ذاك ، فقال له الشيخ : « طاعة السلطان واجبة » وقال للزائرين معه : « بلغت النية » فتوجه الشيخ الى فاس من ذلك المكان وكلما بات فى منزل ذهب جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل . وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارث الياصوتى اذ ذاك ساكنا بفاس ، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه أبو البقاء المذكور فسلم

عليه ، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع ، فلما انفصل عنه اشترى خبزا وعنبا وحمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرنى المكناسى ، وهو مؤلف « المجالس المكناسية » ، فوجدهم فى المسجد القريب من دار القاضى المذكور بدرب السعود ، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون . ثم دخل القاضى على الشيخ بالمسجد فقال له : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » قال أبو البقاء : « فتكلمت أنا وقلت : ان هذا الرجل قد نزل بلدا عظيمة المناكر وأخذت أعدد مناكرها ، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ، فهدى الله على يده من هدى وشئته من أبى » فقام القاضى وركب الى دار السلطان ، ثم رجع الى منزله فبات ومن الغد ركب الى دار السلطان أيضا ومعه الشيخ الغزوانى ، فلما اطمأن بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تازا ، وهو أبو العباس أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور ، سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وامام صلاته . قال صاحب « المرأة » : « ولم يسم لنا » . فقال للشيخ : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » فقال له الشيخ : « أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنباتك فاستشاط الكاتب غضبا ، فقال له أخو السلطان : « هؤلاء القوم يعنون الجنبات غير ما تعنيه العامة » - يشير الى ما فى الحكم - فقال له السلطان : « من أين تعرف هذا ؟ » فقال له : « من سيدى محمد بن عبد الرحيم بن يجيش » ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ : « نحن نريد قربك وأن تكون معنا فى هذه المدينة » فقال له : « على بركة الله » فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هنالك ما شاء الله ، قيل سبع سنين الى أن كانت سنة تعذر فيها المطر وأخذ الناس فى استخراج السواقي للحرث فاخرج الشيخ من وادى اللبن ساقية لم يكن فى سواقي السلطان وغيره مثلها ، فبعث اليه أخوه السلطان ، وهو الناصر . الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والبدال المشددة على لغة العامة ، وقال له : « نحن أحق بتلك الساقية » فقال له الشيخ : « خذها » وأخذ فى الرحيل الى مراكش ولما توجه تلقاءها أخذ خفيفه فى يده وجعل يشير به من جهة فاس الى جهة مراكش ويقول :

«أيا يسلطنة الى مراكش» ، قال صاحب المرأة : « هذا حديث شيعنا أبي عبد الله النيجي » قال « وآخيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغة عامة المغرب : سيري معي » : وموضع بني فزنكار أظنه تاصروت فإن بها رسما منسوباً إليه الى الآن ، وانه منزله الذي كان يأوى إليه ، وما زالت آثاره هنالك ، والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصورة الى تليمذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الهروي المعروف بالطالب ، ولعل سنة اخراج السواقى هي سنة ست وعشرين وتسعمائة ، فانه قد تعذر فيها المطر وحدث الغلاء الكبير المؤرخ سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وكأنه أشار الى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس الى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ والله أعلم .



نهوض السلطان ابي عبد الله البرتقالى الى مراكش ومحاصرته ابا العباس الاعرج السعدى بها



قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان فى سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وما زال أمرهم فى الزيادة الى أن كانت دولة أبي العباس الاعرج منهم ، فاستفحل أمره وبعد صيته ، وفلك بنصارى السوس فكتبه أمراء هنتاة أصحاب مراكش ودخلوا فى طاعته ، فانتقل إليها وملكها فى حدود اثلاثين وتسعمائة . ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته ، وأقبل فى جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر كذا فى «النزهة» . والذى عند غيره : أن الوزير الذى جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور . ولما رأى أبو العباس السعدى مالا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة ، فقدم السلطان أبوعبد الله ونصب الانفاض على مراكش ودام الحصار عليها أياماً ، فيحكى أنه قيل للشيخ أبي محمد الغزواني وكان قد استوطن مراكش يومئذ : ان أهل مراكش سثموا الحصار ، فركب

الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب
الخميس ، فوجد رماة السلطان أبي عبد الله يرمون من علا الاسوار من
أهل البلد ، فوقف الشيخ ينظر فجاءت رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة
اننى عليه والتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء ، فقبض عليها بيده
وقال : « هذه خاتمة حربهم » ثم رجع الى منزله فوردت الانباء على السلطان أبي
عبد الله في تلك الليلة بان بنى عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح
من الغد راحلا الى فاس ، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ، ولم يعد لبني
وطاس وصول بعدها الى مراكش ولا الى أعمالها ، والله تعالى أعلم .

ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم

كان من جملة وزرائه : ابن عمه المسعود بن الناصر ، وهو الذى زحف
معه الى مراكش على ما فى « النزهة » ، وكان من جملة وزرائه القائمين بامرته :
أخوه الناصر بن محمد الشيخ ، المعروف عند عامة فاس بابى علاقة وبالكديد
على ما مر . قال فى « الجذوة » : « لقب بذلك لكثرة سفكه الدماء واقدامه عليه ،
فكان يقتل الناس ويجزهم كثيرا ، وكذا بمكناسة أيام وزارته بها ، كذا
حدث غير واحد ممن أدركه وراآه وتوفى الوزير المذكور سنة ثلاثين
وتسعمائة » .

وفاة السلطان أبى عبد الله رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبى عبد الله البرتقالى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة
على ما فى « الجذوة » . ويؤخذ من « النزهة » أنها كانت سنة اثنين وثلاثين بعدها
والله أعلم . وولى الامر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده اليه .

الخبر عن الدولة الاولى للسلطان ابي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي

هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، ويعرف بابي حسون البادسي. قال في «النزهة»: «ببيع بفاس سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالى وخلعه وأشهد عليه بالخلع آخر ذى الحجة من السنة المذكورة انتهى

الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الوطاسي رحمه الله تعالى

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرتقالى ابن أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، ببيع يوم خلع عمه أبي حسون آخر ذى الحجة مئة سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة، قال ابن القاضي: «وقد رأيت البيعة التي كتبت له بخط الامام أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى من انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كابي العباس الجباك، والفقيه أبي العباس أحمد الماواسي وغيرهما» اهـ.

قال أبو عبد الله اليفرنى في «النزهة»: «وانظر ما وجه كتب البيعة لاحمد مع أن خلع أبي حسون لم يكن لموجب، والوانشريسى من أهل الورع وقال: ولعله لامر لم يظهر لنا والله أعلم» اهـ. وقال ابن عسكر في «الدوحة»: «لما توفي السلطان أبو عبد الله البرتقالى ودالت الدولة لولده السلطان أبي العباس أحمد وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس وزوجهم بهم، عقد الهدنة مع النصرارى المجاورين له ببلاد الهبط، وصاحبهم سلطان البرتقال، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى البهلولى، وكان له رغبة فى الجهاد وممن له وصلة بالسلطان أبي عبد الله، فكان اذا جاءه زائرا حضه على الغزو

فيساعده على ما أراد من ذلك . فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آلى على نفسه أن لا يلقي السلطان المذكور ، ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وقوت عياله ، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان فى النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم . « ياسيدى أخبرك أن السلطان أمر بالغزو وأمر بالنداء به ، وحض الناس عليه ، والمسلمون فى شره لذلك وفرح » ففتح الشيخ عينيه وتהלل وجهه فرحا وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك . اهـ



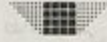
وقعة آنماي بين الوطاسيين والسعديين



قد تقدم لنا فى خبر السلطان أبى عبد الله أنه لما حاصر مراکش وأصابته الرصاصة الشيخ الغزوانى قال: « هذه خاتمة حربهم » ولم يعد لبنى وطاس وصول الى مراکش ولا الى أحوازها . قال فى «النزهة» : فكان أبو العباس الاعرج يتلاقى مع أبى العباس الوطاسى بتادلا وأحوازها قال : «وكانت بينهما معركة بموضع يقال له آنماي وذلك فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافترقا على اصطلاح » اهـ . وآنماي موضع قرب مراکش به زاوية الشيخ أبى العزم رحال الكوش .



عقد الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسي و ابي العباس السعدي رحمهما الله تعالى



لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي صاحب فاس ، وأبي العباس أحمد السعدي المعروف بالاعرج صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه ، وفناء الخلق بينهم ، دخلوا في الصلح بينهم والتراضى على قسمة البلاد ، وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون ، وأبو الرواين المحجوب دفين مكناسة الزيتون ، وكان صاحب حال وجذب ، فجعل الناس يوصونه بالنسكوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم ، فلما دخلوا على أبي العباس الاعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيما جاءوا لاجله ، وجدوا فيهما شدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا ، فحلف أبو حفص الخطاب لا يدخلوها - يعنى فاسا - ما دمت على وجه الارض . فما دخلوها حتى مات بعد مدة . فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعرفون شيئا ما دفنوا أبا حفص الخطاب - يعنى لتركوه في تابوت على وجه الارض - لانه حلف لا يدخلوها . ما دام على وجه الارض ، حكاه صاحب « ممتع الاسماع » . وذكر في شرح « زهرة الشماريح » : أن الصلح انبرم بين الطائفتين ، على أن للإشراف من تادلا الى السوس ، ولبنى وطاس من تادلا الى المغرب الاوسط ، وان ممن حضر الصلح المذكور قاضي الجماعة بفاس أبا الحسن على بن هرون المطغرى - بالطاء المهملة - مطغرة تلمسان ، والامام الشهير أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسى وغيرهما من مشايخ فاس . ويذكر أنه لما تواطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه ، وهدأت الاصوات ، وسكن اللجاج ، أتى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح ، فما وضعت الدواة بين يدي أحد الفقهاء الحاضرين الا وجم وانقبض ودفعها عن نفسه ، استحياء في ذلك المحفل أن يكتب لما لا يناسب الجهتين ، فقام قاضي الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأساورها ووضعها

بين يدي أبي مالك المذكور ، فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة بليغة ونسج الصلح على منوال عجيب ، واخترع اسلوبا غريبا تحير فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جأشه ، وجموم قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه ألسن الفصحاء هية واكبارا ، فقام قاضي الجماعة وقبله بين عينيه وقال : « جزاك الله عن المسلمين خيرا » ، « وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر » وكان ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة هـ .



غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله



ذكر صاحب « الدوحة » في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي رحمه الله ، انه استشهد في وقعة الحمر التي كانت في حدود أربعين وتسعمائة بين النصاري والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من آصيلا . قال : « حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الواقعة وبعضهم يصدق بعضا قالوا : لما انهزم الناس استقبل الشيخ أبو الحسن النصاري وسيفه في يده وهو يتلو بردة البوصري ، فكان ذلك آخر العهد به ، ولما رجع الناس من الغد ليحملوا قتلاهم لم يوقف له على عين ولا أثر ، وانما وجد غنبا من لباسه عند النصاري وفيه أثر طعنة في صدره » هـ . كلام الدوحة . وفي « المرأة » : « أن الشيخ المذكور مات في حياة شيخه الغزواني شهيدا في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة هـ . ولعله الصواب .

والعروسي المذكور هو من أمراء بني عبد الحميد العروسيين أصحاب قصر كامة ، وكانت لهم رياسة وسياسة وجهاد في العدو الى أن انقرض أمرهم أعوام الخمسين وتسعمائة .

قال في « الدوحة » : « أخبر غير واحد من فقهاء قصر كامة أن الشيخ أبا الرواين جاء الى القصر ، وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسي ، في عصابة من أقاربه أولاد عبد الحميد ، فصعد أبو الرواين صومعة المسجد ثم

نادى بأعلى صوته. « يا بني عبد الحميد اشتروا منى القصر والا خرجتم منه في هذه السنة » ، فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال : « ان كان القصر له أو بيده فلينزعه منا ، ما بقي لنا الا كلام الحمقى نلتفت اليه » ومن الغد خرج الشيخ أبو الراين من البلد وهو يقول : « القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون اليه أبدا . فكان كذلك بقدرة الله تعالى .



وقعة ابي عقبة بوادي العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد



هذه الوقعة من أعظم الوقعات التي كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها في أنديتها الى الان ، ويبالغون في وصفها والاخبار عنها ، وقد ذكرها شعراؤهم في أزجالهم الملهونة ، وهي محفوظة فيما بينهم ، وذلك انه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلجون على الوطاسيين دار ملكهم من فاس ، نهض اليهم السلطان أبو العباس الوطاسي أواخر سنة اثنين وأربعين وتسعمائة يجر الشوك والمدر في جمع كيف من الجند وقبائل العرب في حللها وظعننها ، وجاء أبو العباس السعدي في قبائل الحوز بحللها وظعننها كذلك فكان اللقاء بمشرع أبي عقبة ، أحد مشارع وادي العبيد من تادلا فنشبت الحرب ، وتقاتل الناس ، وبرز أهل الحفائظ منهم والترات ، وقاتل الناس على حرمهم وأحسابهم وعزهم ، فافنى بعضهم بعضا الا قليلا ، ودامت الحرب أياما على ما قيل الى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة . قال . في «الجدوة» : « فرجع السلطان أبو العباس الوطاسي الى فاس وبقيت محله وقصبة تادلا بيد الشريف السعدي » قال : « وتسمى هذه السنة سنة أبي عقبة . »

وقال في «المرآة» : « ومما اشتهر من كرامات الشيخ أبي طلحة محمد

المصباحي الشاوي الزناتى أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أبو العباس أحمد الوطاسي ومقاتلة مراكنش وسلطانهم أبو العباس أحمد الاعرج ومعه أخوه المتولى بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع أبي عقبة من وادي العبيد انهزم السلطان أبو العباس الوطاسي وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضون عليه ، فحضر هنالك رجل على فرس أنثى فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له : «سر يا أحمد ولا تخف» ولم يزل معه الى أن رجعوا عنه وأمن الطلب ، وقد عرف السلطان صفته وتحققها ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له : هذه صفة أبي طلحة المصباحي ، وتحقق ذلك ، ولما كان خروج السلطان المذكور الذي وصل فيه تطاوين وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد أبي الحسن على بن موسى بن راشد الشريف ، وذلك في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة . وبتطاوين بنى بها وقصد أبا طلحة المذكور ونزل عليه ، فلما رآه عرفه وأيقن أنه الرجل الذي أغاثه فأكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ : «يا رب كيف العيش مع هذه الشهرة فاقبضني اليك» فمات عقب ذلك من سسته قال في «المرآة» : «سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبا القاسم بن أبي طلحة المذكور فقال لي : «أعقل مجيء السلطان وأنا صغير جدا أقعد في حجر أبي وعند ركبته» اه . قلت والامير أبو الحسن بن راشد المذكور هو الذي اختط مدينة شفشاون كما مر . وذكر في «المرآة» : أن وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة ، فيكون السلطان المذكور انما تزوج ابنته بعد وفاته ولعله خطبها من أخيها الامير أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن والله أعلم . واعلم أن ما سلكتاه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبي عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذي صرحوا به ، وسيأتى بعد هذا ما ربما يفهم منه أن الامر بالعكس . والجواب أن قضية الصلح تكررت حسبما يؤخذ مما مر والله أعلم . وفي هذه السنة أيضا عقد السلطان أبو العباس الوطاسي مع برتقال آسفي صلحا على ثلاث سنين ، ودخل في هذا العقد آسفي والجديدة وآزمور وكب البرتقال بذلك الى ملكهم ووقعت المحادة في البلاد ، وتفرغ الوطاسي لقتال السعديين .

بناء السلطان ابي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله



كان السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي قد جدد بناء قنطرة الرصيف بحضرة فاس ، وذلك منتصف سنة احدى وخمسين وتسعمائة ، وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشرسي مشيرا الى التاريخ المذكور :

فخر السلاطين من أبناء وطاس	جسر الرصيف أبو العباس جده
لمن يمر به من عدوتي فاس	فجاء في غاية الاتقان مرتقيا
من هجرة المصطفى المبعوث للناس	وكان تجديده في نصف عام غنا
	وقال الفقيه أبو مالك أيضا :

برأى أبي العباس حامى حمى فاس	أيا أهل فاس سدد الله سدكم
على رغم قوم منكبين من الناس	وأحيى به أشجاركم وثماركم
وفاز من الشكر الجميل باجناس	فدام ودام السعد يخدم مجده
	وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج :

بتسديده سدسدا حصينا	ألا سدد الله رأى الذى
وأولاه فتحا ونصرا مينيا	وخلد في عزه ملكه
ميد العدا عدة المسلمين	امام الهدى أحمد المرتضى
	وقال الامام أبو الحسن على بن هرون :

وأبطل فى السد رأى الجهول	لقد سدد الله رأى العماد
بمولاي أحمد مدحى يطول	وقرب ما رامه من بعداد
« عقول الملوك ملوك العقول »	فطردها وعكسا لسانى يناد



وقعة وادى درنة بتادلا وأسر الامير ابى زكرياء الوطاسى ومهلكه

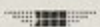
رحمه الله



ذكر فى «المرآة» عند الكلام على أبى عبد الله محمد بن يوسف الفاسى .
وهو والد الشيخ أبى المحاسن رضى الله عنه ، أن أبا عبد الله المذكور كانت له
وجاهة كبيرة عند أمير القصر أبى زكرياء يحيى بن أبى عبد الله البرتقالى ،
وهو يومئذ أخو السلطان أبى العباس الوطاسى ، قال : فاتفق بوجاهة أبى
عبد الله انفاسى خلق كثير ، ولم يسامح هو نفسه فى نيل شىء من الدنيا بسبب
ذلك الجاه الى أن أسر الامير أبو زكرياء المذكور فى وقعة وادى درنة من تادلا
للشرفاء على بنى وطاس فى رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، ومات فى تلك
الليالى القرية غما وأسفا رحمه الله ، قلت : وكان سلطان السعديين يومئذ محمد
الشيخ الملقب بالمهدى ، فانه تغلب على أخيه الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه
كما يأتى ان شاء الله تعالى .



استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدى على فاس وقبضه على بنى وطاس
ومهلك سلطانهم ابى العباس رحمه الله تعالى بفضله



لما غلب السلطان محمد الشيخ السعدى على أخيه أبى العباس الاعرج واستولى
على مراكش ، طمحت نفسه للتوغل فى بلاد الغرب وقراه ، ففرغ لحرب
بنى وطاس ونكث ما كان بينه وبينهم من الصلح ، ورموا منه بحجر الارض ،
وردد اليهم البعوث والسرايا وأكثر فيهم من شن الغارات ، وصار يستلبهم
البلاد شيئا فشيئا الى أن استولى عليها ، وكان أول ما ملك من أمصار الغرب
مكناسة الزيتون ، افتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار
ومقاتلة ، ثم تقدم الى فاس فالح عليها بالقتال وضيقها بالحصار مدة قريبة من
انسنه ، ثم استولى عليها بعد أن أسر سلطانها أبا العباس الوطاسى وصار فى

قبضته . وكان دخوله اياها أوائل سنة ست وخمسين وتسعمائة ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراکش ، عدا أبا حسون المخلوع فإنه فر الى الجزائر الى أن كان من أمره ما نذكره . ثم ان الشيخ السعدي عذر بنى وطاس فيما قيل بعد أن أظهر العفو عنهم وسرح سلطانهم أبا العباس من ثقافه والله أعلم . وفي « الجذوة » : « كانت وفاة السلطان أبي العباس الوطاسي بمراكش قرب سنة الستين وتسعمائة » اه .

وزعم منويل انه قتل مذبوحا بدرعة . قال : « زحف أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الى فاس فبرز اليه أبو حسون الوطاسي ، وكان قائد جيش ابن أخيه ، ووقع بينهما قتال عظيم انهزم فيه أبو حسون الى فاس . وحاصره السعدي بها سنتين ، ، ولما قلت الاقوات وعجز الوطاسيون عن الدفاع نزلوا على حكم السعدي فقبض على أبي العباس الوطاسي ، وفر أبو حسون الى الجزائر واستقل محمد الشيخ السعدي بامر المغرب وغرب الوطاسيين الى درعة ، فقتل أبا العباس الوطاسي الذي كان تلميذا له ذبحا » اه كلامه .



بقية اخبار السلطان ابي العباس الوطاسي وسيرته



كان من جملة وزراء السلطان أبي العباس المذكور ابنه محمد ، ومن أخباره : ما ذكره في « الدوحة » في ترجمة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين مكناسة الزيتون ، قال : « من كراماته الشائعة ما اتفق له مع الوزير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي ، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة فكان بها فغضب ذات يوم على أحد المشاورية فهرب المشاوري الى زاوية الشيخ أبي عثمان فبعث الوزير الى الشيخ بان عليه الامان وبعثه اليه فقال له الشيخ : « ان شئت أن تذهب الى سيدك فافعل » فقال المشاوري : « ياسيدي أخاف أن يقتلني » فقال الشيخ : « ان قتلك فالله يقتله » فذهب المشاوري الى الوزير وبقي عنده ليلتين وفي الثالثة قتله ، ولم يظهر له

فجاءت أمه الى الشيخ وقالت ياسيدى: «ان ولدى قد قتله الوزير» فقال لها : « سبق ذلك فى علم الله وان الآخر سيلحقه الآن » - يعنى الوزير - فوعك الوزير تلك الليلة وسلط عليه اكال فى جسمه فتمزق لحمه وتقطع شئنا فشيئا الى أن هلك لليال قلائل من مرضه ، فاعتبر الناس والسلطان بذلك ، ومن ذلك الوقت زاد الامراء وغيرهم فى احترام حرم زاوية الشيخ المذكور « اه . وكان للسلطان أبى العباس اعتقاد فى المتصلحين وأرباب الاحوال ، فمن فوقهم من أهل العلم والدين ، من ذلك ما حكاه فى «الدوحة» أيضا فى ترجمة أبى الحسن على الصنهاجى ، المعروف بالدوار ، قال : «كان أبو الحسن المذكور من الملامية ، وكان يدخل دور الملوك من بنى وطاس فيتلقاه النساء والصبيان يقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت الى أحد ، ويعطونه الثياب الرفيعة والذخائر النفيسة ، ويلبسه السلطان - يعنى أبا العباس - من أشرف لباسه ، فاذا خرج تصدق بجميع ذلك ، ويمر على حوانيت الزياتين فيغمس اكمام الحلة التى تكون عليه ويرقمها بالزيت أو بالسمن ، ولا يزال يدور فى الاماكن ويصرخ باسم الجلالة » اه . قالوا : وكان السلطان أبو العباس المذكور واقفا عند اشارة الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسى ، وهو ابن صاحب «المعار» ، لا يتعدى أمره ، ولا يخالف رأيه ، كما وقع له فى مسألة رجل اسلامى يعرف بعبد الرحمن المنجور ، وكان تاجرا جامعا للمال ، فشهد عليه فى حكاية طويلة أربعون رجلا من العدول باستغراق ذمته ، فأخذته اسلطان أبو العباس الوطاسى وقتله ، وصير أملاكه لبيت مال المسلمين ، فرغب أولاد المنجور من السلطان أن يؤدوا له عشرين ألف دينار ويرد اليهم أملاكهم ويسقط عنهم بينة الاستغراق ، فقال السلطان لحاجبه : «اذهب الى الشيخ عبد الواحد الوائشريسى وشاوره فى ذلك وعرفه بانى فى الحاجة الى هذا المال لاجل هذه الحركة التى عرضت لى » فذهب الحاجب اليه وأخبره بمقالته السلطان ورغبته فى قبول ذلك . فقال الشيخ : « والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين لاجل سلطانك ، اذهب وقل له : «انى لا أوافق على ذلك ولا أرضاه » فرجع الحاجب الى السلطان وأخبره بما قال الشيخ فرجع السلطان

عما عزم عليه .
ونظير هذا ما اتفق له معه أيضا ، وهو أن الناس خرجوا يوم العيد للصلاة
فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت الى خروج وقت الصلاة ، وحينئذ أقبل
السلطان أبو العباس في أبيته ، فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ أبو مالك
فرأى أن الوقت قد فات فرقى المنبر وقال : معشر المسلمين أعظم الله أجركم
في صلاة العيد ، فقد عادت ظهرا ، ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم
الشيخ أبو مالك وصلى الناس الظهر ، فدخل السلطان أبو العباس واعترف
بخطيئته رحم الله الجميع .

الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمه الله

لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الى فاس سنة ست
 وخمسين وتسعمائة ، وقبض على بني وطاس بها حسبا تقدم ، فر أبو حسون
 هذا الى ثغر الجزائر (*) حقنا لدمه ومستجيشا لتركها على السعدي . وكان
 الترك قد استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بني زيان كما سيأتي ،

(*) ذكر المؤرخ أو كسسط كورالفرنسي في كتابه « *Établissement des Dynasties* »

des Chérifs au Maroc » « قيام الدولتين الشريفتين بالمغرب » . ان ابا حسون فر اولاً
 الى اصبانيا مستعدياً الامبراطور شارنكان على عدو السعدي فوجده بالمانيا فالتحق به
 وحضر معه في حروبه ولما طال انتظاره لتجده ولم يفعل رجع ادراجه الى اصبانيا ومنها
 دخل للبرتغال فاعطاه ملكها ست قطع من الاسطول لتعينه بشواطئ الريف فلم يتمكن
 من النزول لبلاد الريف فتوجه حينئذ بحرا للجزائر وقيل اسر الاسطول الجزائري
 وهناك اتفق مع باشاها صالح رئيس على توجيه الجيش مع المغرب كما هو معلوم .
 راجع الكتاب المذكور صفحة ١٠٥ وما بعدها فقد بسط القول في الموضوع

فلم يزل أبو حسون عندهم يقتل لهم فى الغارات والسنام ويحسن لهم بلاد المغرب الأقصى ويعظمها فى أعينهم ، ويقول : ان المتغلب عليها قد سلبنى ملكى وملك آبائى وغلبنى على تراث أجدادى فلودهبتم معى لقتاله لكننا نرجو الله تعالى أن يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به ، ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء أيديكم غنائم وذخائر ، ووعدهم بمال جزيل فأجابوه الى ما طلب وأقبلو معه فى جيش كثيف تحت راية باشاهم صالح التركمانى المعروف بصالح رئيس ، الى أن اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ومعارك شديدة وفر عنها محمد الشيخ السعدى الى منجاته .

وكان دخول السلطان أبى حسون الى فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة (*) . ولما دخلها فرح به أهلها فرحا شديدا ، وترجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كيرا وصغيرا ، شريفا وضيعا ، ويكي على ما دهمه وأهل بيته من أمر السعديين واستبشر الناس بمقدمه وتمنوا بطلعه . وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبى عبد الله محمد بن راشد الشريف الادريسي ، واطمأنت به الدار ثم لم يلبث السلطان أبو حسون الا سيرا حتى كثرت شكايه الناس اليه بالترك ، وانهم مدوا أيديهم الى الحرير وعائوا فى البلاد . فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتخلف بها منهم نفر يسير .



[*] ذكر صاحب «الدوحة» فى ترجمة سيدى عبد الله الكوش ان ابا عبد الله الشيخ خرج من فاس مزعجا فى شهر محرم سنة ستين هـ

مجيء السلطان محمد الشيخ السعدى الى فاس واستيلاؤه عليها

ومقتل السلطان أبى حسون رحمه الله



لما فر السلطان محمد الشيخ السعدى من وقعة الاتراك بفاس وصل الى
مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاخذ فى استنفار القبائل
وانتخاب الابطال وتعبية العساكر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به أزره
وقوى به عضده ، ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان أبو حسون
فى رماة فاس وما انضاف اليهم من جيش العرب فكانت الهزيمة على أبى حسون
فرجع الى فاس وتحصن بها ، فتقدم الشيخ السعدى وحاصره الى أن ظفر به
فى وقعة كانت بينهما بالموضع المعروف بمسلمة ، فقتله واستولى على حضرة
فاس وصفا له أمرها . وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من
شوال سنة احدى وستين وتسعمائة على الصواب خلاف ما وقع فى «الدوحة» والله
أعلم . وبمقتل السلطان أبى حسون رحمه الله انقرضت الدولة المرينية بالمغرب
والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وبقى علينا الاماع بأواخر دولة بنى زيان ملوك تلمسان وكيف كان
انقراض أمرهم ، فلنشر الى ذلك فنقول : كانت دولة بنى زيان على ما علمت من
الاضطراب سائر أيام بنى مرين ، وكان منهم فى صدر المائة التاسعة السلطان
الوائق بالله من أمثل ملوكهم ، وغلبهم على تلمسان فى تلك المدة السلطان أبو
فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصى فأخذوا بطاعته . ثم بعد موته سنة سبع
وثلاثين وثمانمائة اعتزوا بعض الشيء الى أن كانت دولة السلطان أبى عمرو
عثمان بن محمد الحفصى ، ففزا تلمسان أعوام السبعين وثمانمائة مرتين وفى
الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها ، الى أن تشفع اليه علماؤها
وصلحائها فعفا عنهم ، وكان الباعث له على غزوها أولا ما بلغه من أن
الامير محمد بن محمد بن أبى ثابت استولى عليها ، ففعل ما فعل وصاهرهم بعض
حفدته .

(الاستقصا . رابع . 11)

وقال صاحب «بدائع السلك» : شاهدت تلمسان وبعض أعمالها تصریح الخطيب باسم السلطان أبي عمرو عثمان صاحب تونس مقدما في الذكر على اسم صاحب تلمسان أبي عبد الله من أعقاب بني زيان لما بينهما من الشرط في ذلك . وبقيت حال بني زيان متماسكة الى أن ظهر جنس الاصنيول في صدر المائة العاشرة بعد ما تم له ملك الاندلس وعظمت شوكة ، فطمح للتغلب على ثغور المغربين الادنى والوسط ، فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ، ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وفعل باهلها الافاعيل ثم سما لتملك الجزائر وشره لالتهامها ، وضايق المسلمين في ثغورهم وضعف بنو زيان عن مقاومته . وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي ممن له الشهرة والوجاهة الكبيرة في بسائط المغرب الاوسط وجباله ، وكانت دولة العثمانة من الترك في هذه المدة قد زخر عبا بهم وملكت أكثر المسكونة ، وظهر من قواد عساكرها البحرية قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه عروج باشا ، وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر برا وبحرا ، وأوقعا بأهل دول الاوربا وقائع شهيرة ، وطار لهم ذكر في أقطار البلاد ، وتمكن ناموسهم من قلوب العباد ، فكاتبهم الفقيه أبو العباس المذكور وعرفهم بما المسلمون فيه من مضايقة العدو الكافر . وقال : ان بلادنا بقيت لك أو لاختك أو للذئب ، فأقبل الترك نحوه مسرعين واستولى عروج على ثغر الجزائر بعد ما كاد العدو يملكه فتخلصه منه ، ثم استولى على تلمسان وغلب بني زيان على أمرهم ، وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة على ما في «النزهة» . ثم ان أهل تلمسان أنكروا سيرة الترك وسثموا ملكتهم ، ويقال ان الترك عسفوهم وصادروهم على أموالهم ، وكان عروج قد أغرى بالفقيه أبي العباس المستدعي له فقتل شهيدا بعد الثلاثين وتسعمائة ، ورأى عروج أن أمر المغرب الاوسط لا يصفو له مع وجود الفقيه المذكور فدرس عليه من قتله ، ثم نهض عروج الى بني يزناسن فكانت الكرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره وتفرقت جموعه .

وعادت تلمسان الى بني زيان فجددوا بها رياستهم وأحيوا رمق دولتهم الى أن عاود الترك غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها أبي العباس أحمد

ابن عبد الله من أعقاب يغمراسن بن زيان .

قال في « المرأة » ما نصه : « قال الشيخ الامام قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي رحمه الله ومن خطه نقلت : قدم حسن بن خير الدين التركي فاستولى على تلمسان في أواسط شعبان سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الامير أحمد بن الامير عبد الله ووزيره منصور بن أبي غانم ولحقا بدبدو مع من انضاف اليهما من أمراء تلمسان وكبرائها ، فغدر بهم عمر ابن يحيى الوطاسي صاحب دبدو وأخذ أموالهم واعتقلهم ، وسرح منصورا في محرم من سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة » اه ، واستمرت تلمسان في يد الترك الى أواسط صدر المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسييس على ما تذكره ان شاء الله .

واعلم أنه كان في صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام .

منها ظهور الفرنج بالديار المغربية واستيلاؤهم على ثغورها بما لم يعهد مثله قبل ذلك ، لا سيما البرتقال والاصبنيول حسبا تقدمت الاشارة اليه . ومنها ظهور دولة آل عثمان ملوك التركمان بالديار المشرقية وما أضيف لها الظهور الذي لا كفاء له وابتداء هذه الدولة وان كان قبل هذا التاريخ بنحو مائتي سنة لكن انما كان غفوان شبابها وفيضان عاباها في هذه المدة لاسيما في دولة سلطانهم الاعظم ، وخاقانهم الافخم سليمان بن سليمان خان ، فانه ملك أكثر المعمور ، وقام بدعوته من الامم الجمهور ، وهجمت عساكره على ديار الارنا فقاتلوه في أعز بلادهم ، واستلبوهم من طارفهم وتلادهم ، وخضعت ملوكها لغزته ، واستكانوا لصولته ، وأعطوه يد المقادة وآتوه من الطاعة والخضوع ما خالف العادة . ثم أوطأ عساكره المغربين الادني والاوسط فاستولى عليهما ، وكاد يتناول الاقصى ويضيفه اليهما على ما تقف عليه في أخبار السعديين ان شاء الله .

ومنها ظهور الاولياء وأهل الصلاح من الملامية ، وأرباب الاحوال والجذب ، في بلاد الشرق والغرب ، لكنه انفتح به للمتسورين على النسبة وأهل الدعوى باب متسع الخرق ، متعسر الرتق ، فاختلط المرعى بالهبل ، وادعى الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل ، وصعب على جل الناس التمييز ، حتى

بين البهرج والابريز ، لا سيما العامي الغمر ، الذي لا يفرق بين الحصباء واندر ويرحم الله الشيخ اليوسى اذ قال فى محاضرتة ما نصه : « وقد طرق اسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية رضى الله عنهم ، وكلام أرباب الاحوال فى كل زمان ، فتعشقت النفوس ذلك ، وأذعن له الجمهور وخاضوا فى التشبيه بهم ، فما شئت أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة ، فضلا عن أن يعمل ، فضلا عن أن يخلص الى الباطن ، فضلا عن أن يكون صاحب مقام الا وجدته يصول ويقول ، وينابذ المنقول والمعقول ، وأكثر ذلك فى أبناء الفقراء ، يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ، ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا ، فيقول خدام أبى ، وزرية أبى ، وضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ، ولا قبل أن يحبوا أحدا فى الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره ، واذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يدلّه على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك فى نفسه وماله ، وقد يقع شئ من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه الى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ، ثم يخترق لهم من الخرافات والامور المعتادة ما يدعيه سيرة ودينا يستهويهم به ، ثم يضمن لهم الجنة على مساوى أعمالهم والشفاعة يوم المحشر ، ويقبض على لحمة من ذراعه فيقول للجاهل مثله : « أنت من هذه اللحمة » فيكتفى جهال العوام بذلك ويبقون فى خدمته ولدا عن والد ، قائلين نحن خدام الدار الفلانية وفى زرية فلان ، فلا نخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين . وهؤلاء قطاع العباد عن الله « الى آخر كلامه قفف عليه فى الفصل الخامس والعشرين منها فانه نفيس وبالله تعالى التوفيق .

وفى سنة احدى عشرة وتسعمائة توفى الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماواسى البطوى الموقت المشهور .
وفى سنة اثنتى عشرة بعدها توفى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن فاسم التجيبى المعروف بالزقاق فقيه فاس ، وهو صاحب المنظومة اللامية فى علم القضاء وغيرها .

وفى سنة أربع عشرة وتسعمائة ، فى يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفى الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يحيى الوائشريسى مؤلف « المعيار » وغيره من التأليف الحسان ، أصله من تلمسان واستوطن مدينة فاس الى أن توفى بها فى التاريخ المذكور . وفيها أيضا توفى الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز ابن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع دفين حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما ، وصفه شيخه المذكور بالكيما ، وكان يقال : النظرة فيه تغنى ، أفاض الله علينا من مدده .

وفى سنة تسع عشرة وتسعمائة توفى الشيخ الامام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثمانى المكناسى ثم الفاسى ، وقد تقدم خبره مع الشيخ أبى محمد الغزوانى رحمهما الله .

وفى سنة ست وعشرين وتسعمائة انحبس المطر بفاس والمغرب واضطر الناس الى استخراج السواقى من الاودية والانهار لسقى زرعهم وثمارهم . وفى سنة سبع وعشرين بعدها كان الغلاء والجوع الكبير الذى صار تاريخا فى الناس مدة .

وفى سنة ثمان وعشرين بعدها كان الوباء بالمغرب ، سنة الله فى خلقه ، وفى هذه المدة ، أعنى أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما فى الدوحة ، توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور السفيانى دفين جزيرة البساس من بلاد أولاد جلون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبو فى البحر من جهة المشرق ، وكان من أصحاب الشيخ التباع ، والروضة التى عليها بناها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن المجذوب ، يقال انه لا أكملها رآه فى المنام وألبسه حلة خضراء .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فى ثانى يوم من ربيع الاول منها توفى الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحى المعروف بالفلاح ضجيع القاضى عياض فى روضته بحومة باب ايلان من مراكش ، وهو من أصحاب الشيخ التباع أيضا ، وفى هذه المدة على ما فى « الدوحة » توفى الشيخ أبو يشو ما لك بن خدة الصبيحى من عرب صبيح ، كان من أهل العلم والفضل والدين ، ودفن على ضفة نهر سبو على نحو مرحلة من فاس ، وقبره مزارة الى الآن .

وفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة توفى الشيخ أبو محمد الغزوانسى
 رضى الله عنه دفن حومة القصور من مراكش ، وقد تقدم شيء من خبره .
 وفى أعوام أربعين وتسعمائة توفى الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن
 عيسى السفينانى المختار . ثم الفهدى دفن مكناسة الزيتون ، وهو شيخ جليل
 القدر شهير الذكر رضى الله عنه ونفعنا به آمين .



تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله :

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان

فهرس الموضوعات

صحيفة

- ٣ الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبى بكر بن أبى عنان بن
أبى الحسن المرىنى
- ٤ ظهور أبى حمو موسى بن يوسف الزيانى واستيلاؤه على تلمسان
ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها
- ٥ ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما
نشأ عن ذلك
- ٧ الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبى سالم ابراهيم بن أبى
الحسن المرىنى
- ٨ قدوم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على
السلطان أبى سالم والسبب فى ذلك
- ١٣ سفر ابن الخطيب الى مراکش واعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها
والسبب فى ذلك
- ٢٠ بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله
- ٢٢ انتفاض الحسن بن عمر الفودودى وخروجه بتادلا نم مقتل
عقب ذلك
- ٣٣ نهوض السلطان أبى سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها
- ٣٤ وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم واغراهم فى
هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف
- ٣٧ الخبر عن دولة السلطان أبى عمر تاشفين الموسوس بن أبى
الحسن المرىنى
- ٤١ مقتل السلطان أبى سالم رحمه الله والسبب فى ذلك

- ٤١ الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب
في ذلك
- ٤٣ ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس
الجديد ثم فراره منها
- ٤٤ الحبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي
عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني
- ٤٦ وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد
الرحمن رحمهما الله
- ٥٠ وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان أبي زيان بن أبي عبد
الرحمن رحمهما الله
- ٥١ مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله
- ٥٢ الحبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن
رحمه الله
- ٥٣ انتقاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك
- ٥٤ انتقاض عامر بن محمد الهنتاتي وحصار السلطان عبد العزيز اياه
وظفره به
- ٥٦ ارتجاج الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول
- ٥٧ نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤه عليها وفرار
سلطانها أبي حمو بن يوسف عنها
- ٥٨ نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغنى بالله الى السلطان
عبد العزيز بتلمسان
- ٥٩ وفادة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله
- ٦٠ الحبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد
العزيز بن أبي الحسن
- ٦١ الحبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس
أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن

- ٦٢ محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله
بقية أخبار أمير مراکش عبد الرحمن بن أبي يفلوسن رحمه
الله
- ٦٥
- ٦٦ ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم
٦٧ نهوض السلطان أبي العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها
خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريه الى الاندلس
٦٨ والسبب في ذلك
الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن
أبي عنان بن أبي الحسن
- ٦٩
- ٧٠ خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي اليه
٧١ وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله
الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي
العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن
- ٧١
- الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي
الفضل بن أبي الحسن
- ٧٢
- الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي
الحسن
- ٧٣
- ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بسجلماسة ثم اضمحلال
أمره بعد ذلك
- ٧٤
- ٧٥ نكبة الكاتب ابن عمرو وحركات بن حسون ومقتلهما
٧٦ أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها
وصول هدية صاحب مصر الظاهر برقوق الى السلطان أبي
العباس بتازا والسبب في ذلك
- ٧٧
- ٧٨ وفادة السلطان أبي العباس بن أبي سالم
الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبدالعزيز
٧٩ ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

- بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفاته
الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي
العباس بن أبي سالم رحمه الله تعالى
وفاة الشيخ ابن عاشر
وفاة الشيخ أبي عبد الله الفنزاري السلاوي المعروف بابن المجراد
وفاة الشيخ ابن عباد
تبدل الأحوال بالمغرب والمشرق
الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم
حجابه أبي العباس القبائلي ونكبته ومقتله والسبب في ذلك
حجابه فارح بن مهدي وأوليته وسيرته
حجابه أبي محمد الطريفي وسيرته
حدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس
الحفصي والسبب في ذلك
استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله
الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس
ابن أبي سالم المريني رحمه الله
زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخفية
أخبار الوزراء والحجابه وتصرفاتهم
وزرارة يحيى بن يحيى الرطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه
والسبب في ذلك
رياسة اليهوديين هرون بن يونس وما نشأ عن استبدادهما من
المحنة والفتنة
انتزاع الاصبينول جبل طارق من يد ابن الاحمر
استيلاء البرتقال على طنجة
مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك
وفاة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكودي

- ١٠٠ وفاة الشيخ أبي عبد الله بن الفتوح
- ١٠١ وفاة الامام العبدوسى
- ١٠١ وفاة الشيخ أبي عبد الله القورى
- ١٠١ وفاة الشيخ رزوق
- ١٠١ وفاة الشيخ أبي العباس أحمد البرنسى
- بقية أخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر
- ١٠٢ الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها
- ١٠٤ سقوط غرناطة فى يد الاصبان
- ١٠٧ اكتشاف أرض اميركا
- ١٠٩ أخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة
- ١١٤ الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليه
- ١١٥بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد والسبب فيها
- ١١٦ فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب
- ١١٦ استيلاء البرتقال على مدينة آنفا وأصيلا
- ١١٧ خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض أمره
- ١١٨ الخبر عن دولة بنى وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم
- الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبى
- ١١٩ زكرياء الوطاسى رحمه الله
- رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بغمارة وبنائهم مدينة شفشاون
- ١٢١ وما يتبع ذلك
- ١٢٢ ثورة عمر بن سليمان السيف ببلاد السوس وشيء من أخباره
- ١٢٢ وفاة الشيخ الجزولى رحمه الله
- ١٢٤ بناء مدينة تطاوين
- قدوم أبي عبد الله ابن الاحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ
- ١٢٥ الوطاسى رحمه الله

- استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبنائهم مدينة الجديدة
 ١٣٦ صانها الله سبحانه وتعالى بمنه
- استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فوتي قرب
 ١٣٩ آكادير وما قيل في ذلك
- ١٤٠ وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله
- الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي
 ١٤٠ المعروف بالبرتقال
- ١٤١ استيلاء البرتقال على ثغر آسفي حرسه الله
- ١٤٢ زحف السلطان أبي عبد الله البرتقالى الى آصيلا
- ١٤٢ استيلاء البرتقال على ثغر آزمو حرسه الله
- ١٤٣ استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة حرسه الله
- أخبار السلطان أبي عبد الله البرتقالى مع الشيخ أبي محمد
 ١٤٤ الغزوانى رضى الله عنه
- نهوض السلطان أبي عبد الله البرتقالى الى مراکش ومحاصرته
 ١٤٧ أبا العباس الاعرج السعدى بها
- ١٤٨ ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم
- ١٤٨ وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه
- الخبر عن الدولة الاولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ
 ١٤٩ الوطاسي
- ١٥٠ وقعة أنماى بين الوطاسيين والسعديين
- عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس
 ١٥١ السعدى رحمهما الله تعالى
- ١٥٢ غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله
- وقعة أبي عقبة بوادى العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين
 ١٥٣ والسعديين من القتال الشديد

- بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها
الله
١٥٥
- استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على فاس وقبضه على
١٥٦ بني وطاس ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمه الله تعالى بفضله
١٥٧ بقية أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي وسيرته
- الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمه الله
١٥٩ مجيء السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستيلاؤه عليها
ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله
١٦١
- وفاة الشيخ أبي العباس الماواسي
١٦٤
- وفاة الشيخ أبي العباس التجيبي
١٦٤
- وفاة الشيخ أبي العباس الوانثريسي
١٦٥
- وفاة الشيخ التباع
١٦٥
- وفاة الامام ابن غازي
١٦٥
- وفاة الشيخ أبي عبد الله بن منصور
١٦٥
- وفاة الشيخ الفلاح
١٦٥
- وفاة الشيخ مالك بن خدة
١٦٥
- وفاة الشيخ أبي محمد الغزواني
١٦٦
- وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى
١٦٦

فهرس الاعلام والقبائل

١١٤ - ١١٨ - ١١٩	آل أبي بكر - ١٥٢
ابن شقرون ١٤٥	آل عثمان التركماني ١٦٣
أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورتي	آل مرين ٣١
٩٤ - ٩٣	آل يعقوب ٣١
أبو اسحق ابراهيم بن محمد اليزناسني	ابراهيم البطروجي ٤٢
٧٨ - ٧٥	الابكم ابن الاحمر ٦
أبو البقاء بن تاشكورت ٣٠	ابن الاحمر ٤٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩
أبو البقاء عبد الوارث الياصلوتي	٦٣ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٢
١٤٦ - ١٤٥	٧٣ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٨ - ١٢٠
أبو بكر بن عامر ٥٥	١٢٤ - ١٣٥
أبو بكر بن غازي ٥٤ - ٥٧ - ٦٠	ابن انطول ٤٢
٦١ - ٦٣ - ٨١	ابن بطان الضهاجي - ١٥
أبو بكر بن يحيى الوطاسي ٩٧	ابن حجاج ١٣١
أبو بكر الحفصي ٥٠	ابن الخطيب ٩ - ١٢ - ١٣
أبو بكر السعيد بن أبي غنان المريني	١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤
٧ - ٣	٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
أبو بكر بن أبي العباس المريني ٩٠	٣٢ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٥
أبو تاشفين بن أبي حمو بن يوسف	٤٨ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣
الزياني ٧٦	٦٤ - ٨٣
أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي ٥٠	ابن خلدون ٥ - ٧ - ٨
أبو الحجاج يوسف ابن الاحمر	٣٣ - ٣٥ - ٣٩
٨٢ - ٨١ - ٢٧ - ٨	٥١ - ٥٢ - ٦٥ - ٦٦ - ٧١
أبو الحجاج يوسف بن منصور	٧٧ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٩

الوطاسي ١١٧ - ١٢٠

أبو حدو ١٦

أبو حفص عمر الخطاب ١٥١

أبو الحسن بن أبي محمد العلمي -

أبو جمعة - ١٢١

أبو الحسن علي بن راشد ١٢٥ -

١٥٤

أبو الحسن علي بن سعد ١٠٢

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن

القبائي ٨٦ - ٨٨

أبو الحسن علي بن عثمان الشاوي

١١١ - ١٥٢

أبو الحسن علي بن قاسم التجيبي -

الزقاق - ١٦٤

أبو الحسن علي بن محمد الشيخ

الوطاسي - أبو حسون - ١٤٨

١٤٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠

أبو الحسن بن علي بن مصباح الحسني

- ابن عسكر - ١١١ - ١٤٩

أبو الحسن علي بن موسى العلمي

١٢١ -

أبو الحسن علي بن هرون المطغري

١٥١

أبو الحسن علي بن الوزير لسان الدين

ابن الخطيب ٧٨ - ٧٩

أبو الحسن علي الصنهاجي الدوار

١٥٨

أبو الحسن علي المنفري الغرناطي

٩٠ - ١٢٤ - ١٢٥

أبو الحسن علي اليوسي ١٦٤

أبو الحسن المريني ٧ - ١٨ - ٢٥

٢٩ - ٣٤ - ٤١ - ٤٣ - ٤٤

٥٤ - ٥٩

أبو الحسن النباهي ٦٢

أبو حمو موسى بن يوسف الزباني ٤

٥ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٣ - ٥٥

٥٧ - ٦٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٤

٧٦

أبو دواد ١٣٢

أبو الرواين المحجوب ١٥١ -

١٥٣

أبو زكرياء بن فرقاجة ٣٠

أبو زكرياء يحيى بن أبي دلامة ٩٤

أبو زكرياء يحيى بن أبي عبد الله

البرتقالي ١٥٦

أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد

المنان ٧٩

أبو زكرياء يحيى بن بكار ١١٣

أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي

٩٦ - ٩٧ - ١١٩

أبو زكرياء يحيى السراج ٨٤

١٥٤

- أبو زيان بن أبي حمو الزيانى ٧٩ أبو سعيد المرينى ٨٨
 ٨٠ أبو سليمان ١٤٥
 أبو زيان بن عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المرينى ٤٤ - ٤٥ -
 ٤٦ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢
 أبو زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن المرينى - الوائق بالله - ٧٢
 ٧٣
 أبو زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن - السعيد بالله - ٦٠ - ٦١
 ٦٣
 أبو زيان محمد بن عثمان بن أبى تاشفين ٣٤
 أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودى ١٠٠
 أبو زيد عبد الرحمن المجذوب ١٦٥
 أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى - المستعين بالله - ٧ - ٨ - ٩
 ١٢ - ١٣ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦
 ٢٩ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥
 ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤١ - ٥٩
 أبو سعيد عثمان بن أبى العباس المرينى ٢٩ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨
 ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣
 ٩٤
 أبو سعيد القبائلى ٨٧
 أبو عباس أحمد بن محمد البرتقالى ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٨ - ١٥٩
 أبو عباس أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى ١٤٦ - ١٥١ - ١٥٣
 ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
 أبو عباس أحمد بن يحيى الوائشريسى ١٦٥
 (الاستقصا . راجع - ١٢)

- أبو العباس أحمد بن يوسف ١٥
 أبو العباس أحمد الدغموري القصري ١١٣
 أبو العباس أحمد زروق ١٠٠
 أبو العباس أحمد الماواسي ١٤٩
 أبو عبد الله الحفيد - محمد بن علي
 الادريسي العمراني ١١٤ ٩٩
 ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩
 ١٢٠
 أبو عبد الله الزياتي ١٦٢
 أبو عبد الله الصغير السهلي ١١٦
 أبو عبد الله القصار ١٤١
 أبو عبد الله العقيلي ١٢٥
 أبو عبد الله القوري ١٢٢
 أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزي
 - ابن عباد - ٨٤
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن
 ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء
 الحفصي ٩٠ - ٩١
 أبو عبد الله محمد بن أبي العباس
 الوطاسي ١٥٧
 أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل
 التونسي - خروف ١١٢
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد
 الله اليفرنى ١٤٦
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوف
 ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٨ - ٣٩
 ١١٣
 أبو عبد الله محمد بن ادريس الجراي
 ١٣٧
 أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني ٦١
 ٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٨
 ٦٩ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥
 ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٢
 ٨٤ - ٨٩ - ١١٨ - ١١٩
 أبو العباس بن الخطيب القسطيني -
 ابن قنفذ - ٨٣
 أبو العباس السبتي ١٧
 أبو العباس الصومعي ٢١ - ١٢٣
 أبو العباس المقرئ ١٠٦
 أبو عبد الله الباجي ٩١
 أبو عبد الله بن الاحمر ١٢٥
 أبو عبد الله بن الازرق ١١٥
 أبو عبد الله بن زمرك الاندلسي
 ٣٦ - ٦٣ - ٦٩
 أبو عبد الله بن سعد التلمساني ٨٢

أبو عبد الله محمد بن راشد الادريسي	١٦٠
أبو عبد الله محمد بن سعد - الزغل -	١٠٣ - ١٠٢
أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي	١٢٢ - ١٢٣ - ١٣٢ - ١٤١
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي	١٤٢ - ١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يحيى التازي	١١٢ - ١٤٦
أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطي	٢١
أبو عبد الله محمد بن علي الهروي -	الطالب - ١٤٧
أبو عبد الله محمد بن عمر بن القنوج	١٠٠ - ١٠١
أبو عبد الله محمد بن عيسى السفيناني	١٦٦
أبو عبد الله محمد بن غازي	١٢٤
أبو عبد الله محمد بن محمد بنسن	١٤٤ - ١٤٥ - ١٦٥
عيسى المصمودي	٩٧
أبو عبد الله محمد بن محمد الشيخ	١١٦ - ١١٢
الوطاسي - البرتقالي -	١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤
أبو عبد الله محمد الفنزاري - ابن	١٤٧ - ١٤٨
المجراد -	٨٣
أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المغيلي	٧١
أبو عبد الله محمد بن منصور السفيناني	١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي	١١٢ - ١١٣ - ١٤٩
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي	١٥٦
أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي	١٣٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي	١٦١
زكرياء الوطاسي	٩٧ - ٩٨
أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي	١١١ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠
أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي	١٢٤ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٥١
أبو عبد الله محمد الحلو	١٥٤ - ١٥٦
أبو عبد الله محمد الخصاصي	٨٢
أبو عبد الله محمد العربي الفاسي	٨٩ - ١١٦ - ١٤١
أبو عبد الله محمد الغزواني	١٤٤
أبو عبد الله محمد الفنزاري - ابن	١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٢

- أبو عبد الله محمد القصرى - سقين - ١١١
 أبو عبد الله المقرئ ١١٥
 أبو عبد الله المواق ١٠٣
 أبو عبد الله النيجي ١٤٧
 أبو عبد الله اليفرنى ١٤٩
 أبو عثمان سعيد بن أبى بكر المشترائى ١٥٨ - ١٥٧
 أبو الغزم رحال الكوش ١٥٠
 ١٥٨
 أبو عمرو عثمان بن محمد الحفصى ١٦٢ - ١٦١
 أبو على بن أبى سعيد المرينى ٤٣
 أبو على الحسن بن مسعود اليوسى ٢٢
 أبو على الحسن بن محمد العلوى ١٣٧
 أبو عمر تاشفين بن أبى الحسن المرينى - الموسوس - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤
 ٥٥ - ٥٦
 أبو عنان بن أبى الحسن المرينى ٣
 ٤ - ٥ - ٧ - ٥٠ - ٥٤ -
 ٧٥ - ٨٢ - ١١٥ - ١١٨
 أبو فارس الحفصى ٩٠ - ٩١ -
 ١٦١
 أبو فارس عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
 ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢
 ٦٣ - ٨٢ -
 أبو فارس عبد العزيز بن أحمد المليانى ٩٤
 أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار - التباع - ١٢٣ - ١٤٤
 ١٦٥
 أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس المرينى ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩
 ٨٠ - ٨١ - ٩٠
 أبو فارس موسى بن أبى عنان المرينى ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٥
 أبو فارس الورياكلى ٩٩ - ١١٥
 أبو الفضل بن أبى سالم المرينى ٤٢
 ٥٠ - ٥٣ - ٥٤
 أبو الفضل فرج الاندلسى ١١١
 أبو الفضل محمد بن محمد بن أبى عمرو التميمى ٧١
 أبو القاسم بن أبى طلحة ١٥٤
 أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان ٣٩
 أبو القاسم القبائلى ٨٧
 أبو القاسم محمد بن سودة المرى ٧١

- أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسنى ٧٨
 أبو محمد عبد الواحد بن أحمد ٣٩
 أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى ١٥٥ - ١٥٢ - ١٥٠
 أبو محمد الغزوانى ١٤٧ - ١١٦
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد ١٥٨ - ١٥٩
 الوائشريسى ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥
 أبو مدين ٨٣
 أبو النجاء سالم الرودانى ١١٦
 أبو يشو مالك بن خدة الصبيحى ١٦٥
 أبو يعزى ٢١ - ١٢٣
 أبو يحيى محمد بن محمد السكاك ٧٣
 أبو يحيى محمد بن محمد بن أبى ٧٣ - ٥٩
 القاسم بن أبى مدين ٥٩ - ٧٣
 الأتراك ١٤٣ - ١٦١ - ١٦٢
 أحمد بن أبى عبد الله محمد الوطاسى ١١٢
 أحمد الحفصى ٩١
 ادارة فاس ١١٤
 ادريس بن ادريس ١١٤
 اسماعيل ابن الاحمر ٨ - ٩
 الاشراف الادارسة ١١٥
 أصبانيا ٨٩
 الاصبنيول ٩٠ - ٩٣ - ٩٨
 ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٤ - ١٢٥
 ١٤٣ - ١٦٢ - ١٦٣
 أبو محمد عبد الله الكوش ١١١
 أبو محمد عبد الله العبدوسى -
 القورى - ١٠١
 أبو محمد عبد الله الكوش ١١١

أهل مراکش ١٤٧	أعتماد ٢٠
أهل المغرب ٧ - ٢٧ - ٩٣ -	أعراب افريقة ٩١
١٠٠ - ١١٤ - ١٣٦ - ١٥١	الافرنج ١١٠
أهل المغرب الأقصى ١١١	أهل آزمور ١٢٥ - ١٤٢ - ١٤٣
أهل المشرق ٢٧	أهل آسفى ١٤١
أولاد جرار ٧٧	أهل أشبونة ١٣٩
أولاد حسين ٦٧ - ٧٧	أهل الاندلس ٢٥ - ٣٢ - ٦٤
أولاد عبد الحميد ١٥٢	أهل البشرات ١٠٥
أولاد المنجور ١٥٨	أهل البيازين ١٠٦
الايالة المرينية ٧٢	أهل تامسنا ١٣٦
ايسابلا ١٠٧ - ١٢٤	أهل تطاوين ٨٩ - ١٢٥
حرف (ب)	أهل تلمسان ١٦٢
برابرة صناكة ٣٢	أهل جبل طارق ٩٣
البربر ٥٥ - ٦٧ - ٨٥	أهل جنوة ١٠٧ - ١٠٩
بر بن قيس ١٣٢	أهل حومة القلقين ٩٩
البرتقال ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٨	أهل الخروب ١٢١
١٠٧ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٦	أهل الذمة ١١٢
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥	أهل الريف ١٢٤
١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١	أهل سلا ٨٣
١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٥٤	أهل السوس ١٣٩
١٦٣	أهل الصفيحة ٧٠
بنو الاحمر ٦٢ - ٧٣ - ١٠٢	أهل غرناطة ١٠٤
١٠٩	أهل فاس ٩١ - ٩٨ - ٩٩
بنو أبى الحسن ٧	١٠٠ - ١٠١ - ١١٤ - ١١٧
بنو أبى حفص ١٠٩	١٢٠
	أهل مالى ٣٤ - ٣٥

بنو وطاس ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠
 ١١٨ - ١١٩ - ١٣٨ - ١٤٧
 ١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦
 ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩
 بنو يزناسن ١٦٢
 البيت الادريسي ١١٤

حرف (ت)

تاشفين المريني ٥٥
 تاملالت - أم موسى بن أبي عنان
 ٦٩
 تبان المريني ١٠٠
 الترك ٧٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢
 ١٦٣

حرف (ج)

جوهر - أم السلطان المستنصر بالله
 عبد العزيز بن أبي العباس - ٧٩
 ٨١ - ٨٦
 الجراكسة ٧٧
 الجلاقة ١٠٩

بنو أبي العباس ٨٦
 بنو اسرائيل ١٢٢
 بنو توجين ٣٤
 بنو جابر ٣٢
 بنو راشد ١٢١
 بنو زغبة ٥
 بنو زيان ٣٣ - ١٠٩ - ١٥٩
 ١٦٢
 بنو سعيد ٦٨
 بنو عامر بن زغبة ٤ - ٣٣ - ٥٧
 ٨٥
 بنو عبد الحق ٩٥ - ١١٨
 بنو عبد الحميد العروسيون ١٥٢
 ١٥٣
 بنو عبد الواد ٦٠
 بنو فزنكار ١٤٤ - ١٤٧
 بنو القبائلي ٨٦
 بنو مرين ٤ - ٥ - ٦ - ٢٥ - ٣١
 ٤٢ - ٤٣ - ٥٠ - ٥٢ - ٦٠
 ٦٢ - ٦٣ - ٧٤ - ٨١ - ٨٩
 ٩١ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠٩
 ١١٥ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٣٢
 ١٦١
 بنو معقل ٥ - ٣٣ - ٣٥ - ٥٧
 بنو الوزير ١١٨

حرف (ح)

الحريث بن عباد ١٣٢
الحبشة ٢٦
الحرث ابنة أبي محمد السبائي ٦١
الحرث ابنة الأمير أبي الحسن على ١٥٤

حركات بن حسون ٧٥
حسان بن أبي سعيد الصبيحي ٦٦
حسن بن خير الدين باشا ١٦٣
الحسن بن علي الورداني ٣٢
الحسن بن عمر الفودودي ٣ - ٤
٥ - ٧ - ٨ - ٣٢ - ٣٣ -
الحسن بن محمد بن أحمد بن مرزوق ٨

الحسن بن الناصر ٧٠ - ٧١
الحسن بن يوسف الورتاجيني ٣٢
الحسين الشرطي ٩٨
حمو الزباني ٨١

حرف (خ)

خالد ٨١
الخضر ١٢٢
خليل - الشيخ - ١٠١
خوان الاول ٩٢ - ٩٤
خير الدين باشا ١٦٢

حرف (د)

دكالة ١٣٦
دول الاروبا ١٦٢
دولة ابن الاحمر ٧
الدولة الاندلسية ١٧
دول بني الاحمر ١٢٤
دولة بني زيان ١٦١
دولة بني واطس ١١٤ - ١٢١
الدولة السعدية ١٤٧
دولة الشرفاء الادارسة ١١٠
دولة الشريف العمراني ١١٤
الدولة المرينية ٦٢ - ٨٠ - ٨٦
١١٥ - ١٦١
الدولة الموحدية ٨٦
الديار المشرقية ١٦٣

حرف (ذ)

ذوي حسان ٣٥

حرف «ر»

رضوان الحاجب ٧ - ٩
الرضي - الشريف - ١٣١
رقية ابنة أبي عنان ٧١
الروم ٢٦

الريكي الثالث ٨٩

حرف (ز)

الزباء ٩٢

زناتة ٦٧

زروق ١٢٢

زهور الوطاسية ١١٧ - ١٢٠

زيان بن عمر بن علي الوطاسي ٦٥

١١٨ - ١١٩ - ١٤٢

حرف (س)

السجيري ١١٧ - ١٢٠

سعد بن محمد الغني بالله بن الاحمر

٨١

السعديون ١٣٥ - ١٤٧ - ١٥٣

١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٣

السعيد بن أبي عامر المريني ٨٧

السعيد بن عثمان ٤٤

سفيان الثوري ١٣٢

سليمان بن داود ٣ - ٤ - ٦ - ٣٨

٤١ - ٤٢ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤

سليمان بن سليمان خان ١٦٣

سليمان بن ونصار ٣٨ - ٤١ -

٤٢

سليم بن عبد الرحمن ٦٥

سويد ٤ - ٦٦

سيويه ١٠٠

حرف (ش)

الشادلية ١٦٤

الشاوية ٩٦ - ١١٦

شاويل اليهودي ٩٨

الشرفاء السعديون ١٢١

شعيب بن ميمون بن داود ٣٨

الشيرازي ١٣١

حرف (ص)

صالح التركماني - صالح رئيس -

١٦٠

صالح بن حمو اليباني ٨١ - ٩٤

٩٤

صغير بن عامر بن ابراهيم ٤

صالح بن صالح بن حمو اليباني ٩٦

صبيح ٦٦

صنهاجة ١٥

حرف (ط)

طلحة بن حسان ٦٦

حرف [ظ]

الظاهر برقوق - الملك الظاهر - ٧٧

حرف [ع]

عائشة ابنة القائد فارح العليج ٦٠

عامر بن عبد الله بن ماساي ٥

عامر بن محمد الهنتاتي ٦-٤-٣

١٧-١٨-٤٢-٥٣-٥٤

٥٦-٥٥

العباس بن عمر بن عثمان الوسنافي

٧٣

العباس بن المقداد ٧٠

عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس

٩٤-٩٣

عبد الحليم بن أبي اسحق الزيناسني

٨٠

عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد

٧٤-٥١-٤٤-٤٣

عبد الرحمن بن أبي العباس القبائلي

٨٨-٨٧-٨٦

عبد الرحمن بن أبي عنان ٣

عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ٦٠-٥١

٦١-٦٢-٦٣-٦٥-٦٧

٦٩-٨١-١١٨-١١٩

عبد الرحمن المنجور ١٥٨

عبد الرحيم بن اسحق الزيناسني ٨١

عبد العزيز بن أبي العباس أحمد

الحفصي ٧٩

عبد الله بن أحمد المريني - عبو -

٩٢-٩٣-٩٤

عبد الله بن اسمعيل ١٤٤

عبد الله بن كندوز العبد الوادي ٦٦

عبد المهيمن بن أبي سعيد الحضرمي

٦٩

عبد المومن بن أبي سعيد ٧٤

عبد المومن بن أبي علي ٥١-٥٣

عبد الواحد بن طلحة العروسي ١٥٢

١٥٣

عبد الوارث الياصلوتي ١١٦

عثمان بن وزنمار ٤

العثمانيون ١٦٢

عسيلة - أم السلطان الواناتق بالله بن

أبي زيان ٧٢

العرب ٥-٦-٣١-٣٣-

٣٤-٥٧-٦٧-٧٤-٨٥-

٩١-١٦١

عرب أنكاد ٩٦

عرب تامسنا ٣١-١٤٤

عرب بني معقل ٦٧

عرب جشم ٣٢

عرب السوس الاقصي ٣٥

عرب سويد ٥٧

عرب صبيح ١٦٥

غماره ٧١

حرف [ف]

فارح بن مهدى العليج ٨١ - ٨٧

٨٩ - ٩٠

فارس بن عبد العزيز بن محمد ٥٥

فتح الله السدراتي ٣٨

فرناندو ٩٥

الفرنـج ١٠٨ - ١٠٩ -

١٢٠ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٦٣

فرقاجة ٣٠

فضة - أم السلطان أبي زيان المريني ٤٤

حرف [ق]

القاسم بن أبي مدين ٥٩ - ٧٣

القادر العباسي ١٣١

القادرية ١٦٤

قبائل الحوز ١٥٣

قبائل العرب ١٥٣

قبائل السوس ١٣٩

قبائل صناكة ٥٤

القبائل الهبطية ٩٩ - ١١٤

القصة بشفشاون ١٢١

الققعاع بن شور ١٣٢

قمر - أم السلطان أبي سالم ٧

القهر دور ٦

عروج باشا ١٦٢

عرب المغرب الأقصى ٦٧

عسيلة أم السلطان الوائق بالله المريني

٧٢

عرب غلال ٤

على بن ادريس ٦٥

على بن حسان ٦٦

على بن هرون ١٥٥

على بن يوسف الوطاسي ٩٦ - ٩٧

عمرو بن سليمان الشيفلمي المقيطسي

- السيف - ١٢٢ - ١٢٣

عمر بن عبد الله القودودي ٣٧

٣٨ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤

٤٥ - ١٥ - ٥٨

عمر بن عبد الله الياباني ٤٥ - ٥٠

٥٢ - ٥٣

عمر بن علي الوطاسي ١١٨

عمر بن يحيى الوطاسي ١٦٣

عياض القاضي ١٦٥

عيسى بن الحسن المصباحي ١١١

حرف [غ]

غازي بن أبي عبد الله محمد بن غازي

١١٣

غربية بن انطول ٣٨ - ٤٢

غزوان ١٤٤

٦٢ - ٦٣ - ٦٩ - ٧٠

محمد بن عريف ٥٧

محمد بن علي بن يوسف الوطاسي ٩٧

محمد بن الغني بالله ابن الاحمر ٨١

محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي

٧٥

محمد بن موسى بن محمود الكردي ٧٨

محمد بن يوسف ابن الاحمر ٨٢

محمد بن يوسف بن علال الصنهاجي

٧٦ - ٧٨

المرباط ٩١

مريم ٥٢

مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي ٣

٥ - ٨ - ٣٨ - ٤١ - ٥٠ -

٥١ - ٦١ - ٦٢ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ -

مسعود بن الناصر ١٤٧ - ١٤٨

المعتصم بن أبي عنان المريني ٣

المعتمد بن عباد ٣ - ١٩

مفراوة ٣٤

منسا زاطة ٣٥

منسا سليمان ٣٤ - ٣٥

منسا موسى ٣٤

المنصور ٢٠

المنصور بن أبي عبد الله ٩١

المنصور بن أبي غانم ١٦٣

قيس بن عاصم ١٣٣

قيصر ٩٢

حرف [ك]

كعب بن مامة ١٣٢

كلنب ١٠٧ - ١٠٨

حرف [ل]

لوزير ماريا ١٣٦

حرف [م]

مبارك بن ابراهيم بن عطية ١٣ -

٤٤ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ -

محمد بن أبي زكرياء يحيى بن أبي

الحسن بن أبي دلامة ٩٥

محمد بن أبي ثابت ١٦١

محمد بن الاحمر - الغني بالله ٨ -

١٢ - ١٧ - ٣٢ - ٥٨ - ٦١ -

٨٨

محمد بن أحمد الابكم ٧٣

محمد بن أحمد بن أبي سالم ٧١

محمد بن الزرقاء ٣٨

محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بن

أبي سعيد ٧٤

محمد بن عثمان بن أبي تاشفين ٣٣

محمد بن عثمان بن الكاس المجدولي

- منصور بن أحمد بن محمد التميمي ٧٣
 منصور بن زيان الوطاسي ١١٧
 منصور بن سليمان ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨
 منقر ١٣٣
 منويل ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤٣
 منويل ١٣٩ - ١٤٣
 منويل بن باولو القشتلي ٨١
 ٨٩ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
 ٩٥ - ١٢٠ - ١٣٥ - ١٣٩
 ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٧
 المهدي بن عبد الرحمن بن ماسي ٧٠
 المهدي الشيعي ١٤٣
 الموحدون ١٦
 موسى ١٢٢
 موسى بن أبي سعيد ٦٦
 موسى بن أبي عنان ٦٨ - ٦٩
 ٧١ - ٧٢ - ٧٥
 ميمونة - أم السلطان أبي عمر تاشفين
 الموسوس - ٤١
 حرف [ن]
 الناصر بن أبي زكرياء ١٤٠ - ١٤٤
 الناصر بن محمد الشيخ - الكديد -
- ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
 النجلين ٩٨
 نصر بن الغني بالله ابن الاحمر ٨١
 حرف [ه]
 هرون اليهودي ٩٨ - ٩٩
 هنتاة ٣ - ١٨ - ٥٥
 حرف [و]
 الوطاسيون ٩٧ - ٩٨ - ١٣٥
 ١٥٣ - ١٥٧
 ونزار بن عريف السويدي ٦٨
 حرف [ي]
 الياسمين - أم السلطان أبي بكر بن
 أبي عنان المريني ٣
 يحيى بن أبي دلامة ٨٠
 يحيى بن أبي زكرياء ١١٩
 يحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي
 ٧٨ - ٨٠
 يحيى بن الصائغ اليهودي ٨١
 يحيى بن عبد الرحمن ٤٢ - ٤٣
 يحيى بن غلال ٨١
 يحيى بن غلال بن آمصمود الهسكوري
 ٧٣ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤
 يحيى بن موسى ٧٢

- يعيش بن على بن فارس اليباني ٧٣
 يغمراسن بن زيان ٦٦ - ١٦٣
 يوحنا الثاني ١٠٧
 يوسف بن أبي حمو ٧٦ - ٧٧ - ٨٠
 يوسف بن تاشفين ١١٨
 يوسف بن على بن غانم ٧٧
 يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ٢٩
 اليونان ١٠٧
 يحيى بن ميمون ٥٤
 يحيى الجوطي ١١٤
 يعقوب بن أبي حدو ١٦
 يعقوب بن حسان ٦٦
 يعقوب بن عبد الحق ٦٦
 يعقوب بن المنصور الموحدى ١٤٣
 يعقوب التسولى ٩٧
 يعيش بن عبد الرحمن بن ماساى
 ٧١
 يعيش بن على بن أبي زيان ٦

فهرس الاماكن

حرف [أ]

أرض السوس ٦٦	
أرض ماركان ١٠٧ - ١٠٨	
أشبونة ٩٣ - ١٣٥ - ١٤٤	آزمور ٦٥ - ١١٠ - ١٣٥
أشيلية ٤٤	١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣
أغمات ٢٠ - ١٩	آسفى ١٦ - ١٣٩ - ١٤١
أفريقية ٤ - ١٠٩	١٤٣ - ١٥٤
اندرش ١٠٥ - ١٠٦	أصيلا ٩٨ - ١١٠
الاندلس ٦ - ٧ - ٩ - ١٢	١١١
١٤ - ٢٠ - ٢١ - ٢٧ - ٢٨	١١٣ - ١١٦
٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٥١ - ٥٦	١١٩ - ١٢٠
٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣	١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٢
٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٣	آكادير ١١٠ - ١٣٩
٧٥ - ٨١ - ٩١ - ١٠٢	آكرسيف ٣٣
١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٥	آنفا - الدار البيضاء ١٣ - ١١٠
١٣٥ - ١٦٢	١١٦ - ١٤٤
	آنكاد ٥
	آنماى ١٥٠

حرف [ب]

باب الجيسة بفاس ٣٩ - ٩٦	أبو عقبة بوادى العبيد ١٥٤
١٢٤	أرض الاندلس ٥٨ - ٦٢ - ١٠٢
باب الحمراء بفاس ١٠١	١٢٠
باب الخميس بمراكش ١٤٨	أرض البروزى ١١١
باب الشريعة ١٣٥	أرض الجديدة ١١٠
باب فاس بمراكش ١٤٨	أرض السودان ١١٠

١٥٦ - ١١٦ - ٥٧	بلاد الغرب	١٤٦ - ٤٢	باب الفتوح
١٦٣		١٤٧ - ١٤٦	باب القليعة
٨	بلاد غمارة	٩١ - ٦٤ - ٣٣	باب المحروق
١٢٤	بلاد قشتالة	٨٣	باب المعلقة
٥٠ - ١٧	البلاد المراكشية	٧	بادس
١٦٣ - ١١٣	بلاد المشرق	١٦٢ - ١١٨ - ٩١	بجاية
٦٨	بلاد مغراوة	٣٥ - ٣٢	برج الذهب
١٢٤ - ١٢١ - ٢١	بلاد المغرب	١٣٦	برج الشيخ
١٦٠	بلاد المغرب الأقصى	١٠٥	بر العدو
٣٣	بلاد ملوية	١٣٩ - ١٣٦ - ١١٠	البريجة
- ١١١ - ١١٠	بلاد الهبط	٤	برشلونة
١٣٨ - ١٢٤ - ١١٩ - ١١٢		١٠٨ - ١٠٧	البحر المحيط
١٤٩ - ١٤٤ - ١٤٠		١١٠	
١٠٦	بلفيق	١١٦	بسيط أزغار
٥	البلد الجديد	١٠٥ - ١٠٣	البشرات
٩٠	بونة	٦٨	البطحاء
١٠٦	بيجة الجزائر	٦٧ - ٦٣ - ٦١	بطوية
		١٠٩	بلاد الاندلس
		١٦٥	بلاد أولاد جلون
		١٥٣	بلاد الحوز
		١١٨ - ٦٣	بلاد الريف
		٥٧	بلاد زناتة
		١٤٧ - ١١٢ -	بلاد السوس
		١٤٩	
		١٦٣ - ٧٨	البلاد الشرقية
		١١١	بلاد طليق

حرف [ت]

٣	تاجحمومت		
١٤٥	تاخاوت		
١٥١ - ٧٦ - ٥٤ - ٣٢	تادلا		
١٥٣			
٧٦ - ٦٩ - ٦٧ - ٥٧	تازا		
١٤٦ - ٧٩ - ٧٨ - ٧٧			

جبل بللقة ١٠٦	تاصرورت ١٢٣ - ١٤٧
جبل بنى جابر ٥٤	تالمغت ٤٩
جبل درن ٥٤ - ٥٠	تامسنا ٩٦ - ٦٧ - ١٥
جبل الزعفران ٣٩	تانسيفت ١١١
جبل زرهون ١٥١	تاويرت ٦٧
جبل شلير ١٠٣	تطاوين ٨٩ - ٩٠ - ١٠٦ -
جبل الصفيحة ٧٠	١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٤
جبل طارق ٥٨ - ٦٣ - ٩٣ -	تلمسان ٤ - ٥ - ٦ - ٣٣ - ٣٤
١٤٢ - ٩٨	٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ -
جبل العلم ٢١	٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٤ - ٧٦
جبل العرض بفاس ١١١	١٠١ - ١٠٦ - ١٥١ - ١٦١
بطوية ٦١ - ٦٣ - ٦٧	١٦٢ - ١٦٣
جبل غمارة ٧٠	تونس ٧٠ - ٧٤ - ٩٠ - ٩١
جبل الفتاح ٧٢	١٠٦ - ١١٧ - ١٢٠ - ١٤٣
جبل مغيلة ٧٢	١٦٢
جبل هنتانة ٣ - ١٨	تيجاس ٨٩
الجزائر ١٤٣ - ١٥٧ - ١٥٩	تيط ١١٠ - ١٣٦
١٦٢	
الجزائر الخالدات ١٠٨	حرف [ث]
جزيرة الاندلس ١٠٦ - ١٠٨	الثغور الهبطية ١١٣
١٢٤ - ١١٠	
جزيرة البسابس ١٦٥	حرف (ج)
الجزيرة الخضراء ٥٦	
الجديدة ١٢٥ - ١٣٦ - ١٣٩	جبال غمارة ٧ - ٧٠
جنوة ١٠٧	جبال المصامدة ٥٠
جوطه ١١٤	جبال الكاي ٣

الدعاة ١١١

الدنيا الجديدة ١٠٨

ديار الاروبا ١٦٣

ديار الاندلس ١٧

الديار المغربية ١٦٣

حرف « ر »

الرباط - رباط القنح - ٢٠ - ١٠٦

١١٠

رباط آسفى ١١٠

رباط شالة ٢٥

رندة ٨٤

رومة ١٠٤ - ١٠٥

الركن ٦٩

رياض الغزلان ٣٩ - ٥١

حرف « ز »

زرهون ٩٤

زنقة الجيل ٨٧

حرف « س »

سبتة ٤٤ - ٥٦ - ٥٨ -

٦٣ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٣ -

٧٥ - ٨٣ - ٩٢ - ٩٤ -

٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠ -

١١١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٨ -

حرف (ح)

حجر باديس ١٤٣

حصن تاجحمومت ٦٨

حصن تازروت ٦٨

حصن عامر ٦

حصن فوتى ١٣٩

حصن مرادة ٦٨

الحمراء - حمراء غرناطة - ٨ - ٧٢

١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٤

خومة ايلان بمراكش ١٦٥

خومة البلدة بفاس ٩٩

خومة القصور بمراكش ١٤٤ -

١٦٦

خومة القلقسين بفاس ٩٩

حرف (خ)

خندق القصب ٣٩

حرف (د)

الدار البيضاء ١٤٤

دار الكومى ٩٩

دبدو ١٢٤ - ١٦٣

درب جنارة ٩٩

درب السعود ١٤٦

درعة ١٥٧

حرف «ط»

الطالعة ٨٧
طرابلس ١٠١
طريف ٤١
طنجة ٧٣ - ٦٣ - ٦١ - ٤٥
٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٠
١١١ - ١١٣ - ١٣٨ - ١٤٠
١٤٢

حرف «ع»

العرائش ١١٠
العدوة ١٠٤ - ٧٢ - ١٣
عدوة الاندلس ١٤٤
عدوة القرويين ٨٧
عدوة وادي شفشاون ١٢١
عقبة المساجين ١٤٥
عين القوادس بفاس ١٠٠

حرف «غ»

غرناطة ٩٣ - ٨٢ - ٦٣ - ٥٨
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٧
١٢٤ - ١٢٥

حرف «ف»

فاس ٣٢ - ٢١ - ٨ - ٤ - ٣

١٤٠

سبو ٤٣

سجلماسه ٥٣ - ٥١ - ٤٣ - ٣
٦١ - ٦٢ - ٦٥ - ٧٤
١٣ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤
٣٢ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٨
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ١٠٦ - ١٠٩
١١٠ - ١١١
السودان ٩٢

السوس ١٤٧ - ١٤٠ - ٥٥

السوس الأقصى ١١٠

سيوس ٩١ - ٩٠

حرف «ش»

شالة ٣٠ - ٢٥ - ٢١
الشاوية ٦٧ - ٦٦
الشام ١٠٧
شفشاون ١٢١
شلف ٦٨

حرف «ص»

الصحراء ٣٥ - ٣٣ - ٢٦ - ٥
١١٩

صحراء السوس ٥٥

الصين ٩٢

١١٦ - ١٠٤ - ٨ قشتالة	٥٣ - ٥١ - ٤٣ - ٣٥ - ٣٤
٩ القصبة بغيرناطة	٦١ - ٦٠ - ٥٩ - ٥٨ - ٥٥ - ٥٤
٥٢ - ٣٨ - ٣٧ القصبة بفاس	٦٩ - ٦٨ - ٦٧ - ٦٥ - ٦٢
١٤٥	٧٩ - ٧٨ - ٧٣ - ٧٢
١١٩ - ٦٥ - ٥٣ قصبة مراكش	٩١ - ٩٠ - ٨٧ - ٨٤
٦٨ - ٦٧ قصر تازروت	٩٩ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤
١٥٦ - ١٥٣ - ١٥٢ القصر	١٠٦ - ١٠٥ - ١٠١ - ١٠٠
١٩٥ القصر الكبير	١١٦ - ١١٥ - ١١٢ - ١١١
١٤٠ - ١١٠ - ٧١ قصر كرامة	١٢٥ - ١٢٤ - ١٢٠ - ١١٩
١١٠ - ٩٦ قصر المجاز	١٤٦ - ١٤٥ - ١٤٤ - ١٣٥
١١١	١٥٠ - ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٧
٦٧ قصر ونزمار	١٥٦ - ١٥٤ - ١٥٣ - ١٥١
١٢٤ - ١٠٠ - ٩٦ القلعة بفاس	١٦٤ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٩
١٥٥ قنطرة الرصيف	١٦٥
حرف «ك»	٣٨ - ٣٧ - ٦ - ٥ فاس الجديد
٣٨ - ٨ - ٦ كدية العرائس	٧٦ - ٧٤ - ٧٣ - ٤٣ - ٤٢
٤٥ - ٤٣ - ٣٩	٨٧ - ٩٩ - ١١٧ - ١٢٠
حرف «م»	١٢٤
١٤١ مادرة	١١٦ فضالة
١٠٢ مالقة	حرف «ق»
١١٤ مخروط جوطه	١٣٨ قبة الخياطن
١١٦ المدرسة العنانية	١٠٦ قرطبة
١٤٤ مدرسة الوادي بفاس	١١٣ - ٩٩ القروين
١٢٤ - ١١٦ مدريد	٨٣ قسنطينة
	١٠٧ القسطنطينية

١٠٨ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٥	المدينة البيضاء - فاس الجديد ٨ -
١١٥ - ١١٤ - ١١١ - ١٠٩	٦١
١٢٤ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١٨	مرادة ٦٧
١٥٦ - ١٤٧ - ١٤٦ - ١٣٦	مراكش ٣ - ٤ - ٨ - ١٣ - ١٦
١٦٥ - ١٦١	٢١ - ٢٥ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٣
١٦٣ - ١٦٢ المغرب الادنى	٥٠ - ٥٣ - ٥٤ - ٦٢ - ٦٥
٨١ - ٦٦ - ٦٥ المغرب الاقصى	٦٦ - ٦٧ - ٧٣ - ٨٦ - ٩٠
١٠٨ - ١٠٦ - ٩٢ - ٨٣	١٠٥ - ١١١ - ١١٨ - ١٢٣
١٦٣ - ١١٠ - ١٠٩	١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٧
١٥١ - ١٠٩ المغرب الاوسط	١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦
١٦٣ - ١٦٢ - ١٥٩	١٥٧ - ١٦١ - ١٦٥ - ١٦٦
مسجد السوق الكبير بفاس الجديد	مرتيل ١٢٤
٩٠	مرج غرناطة ١٠٣
١٢٤ مسجد القرويين	مرسى آكادير ١٣٩
١٠١ مسراتة	مرسى الجزيرة الخضراء ٥٦
١٦١ مسلمة	مرسى عساسة ٥١
١٥٣ مشرع أبي عقبة	مرسى سبة ٩٢
٧٤ - ٥١ - ٣١ - ٧ المشرق	المرية ١٠٥
١٦٥ - ٨٥ - ٨٤	المعمورة ١٤٣
١٠٧ - ٧٧ مصر	المغرب ٥ - ٦ - ٨ - ١٤ - ٢٠ - ٢١
٩٩ - ٦٧ - ٢١ مكناسة الزيتون	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥
١٢٤ - ١٢٠ - ١١٦ - ١٠١	٤٢ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٨
١٥٧ - ١٥٦ - ١٥١ - ١٤٨	٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
١٦٦	٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٠
٤٢ الملاح	٧٢ - ٧٤ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠
١٣٥ - ١٠٥ مليلة	٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٩١ - ٩٢ - ٩٤

١٥٦	وادی درنة	١٢٩	مملكة المغرب
٦	وادی سبو	١١٠	المهدية
١٥٤ - ١٥٣	وادی العبيد	١٤٤ - ١٤٣	ميناء المعمورة
٧٩	وادی مرتیل		حرف «ن»
٢٩	وادی ملویة		
٣٩	وادی ورغة	١٦٥ - ١١٤	نهر سبو
١٤٦	وادی اللبن		حرف «و»
٦	وجدة		
٣٣	وطاط	١٠٣ - ١٠٢ - ٩	وادی آش
١٦٢ - ١٤٣ - ١٠٦	وهران	١٠٤	

AHMED AN-NACIRI

AL - ISTIQÇA

TOME IV

DAR EL KITAB

PLACE DE LA MOSQUÉE * B. P. 4018 Derb SIDNA
CASABLANCA (Maroc)



Dépositaires :

ÉDITIONS LAROSE

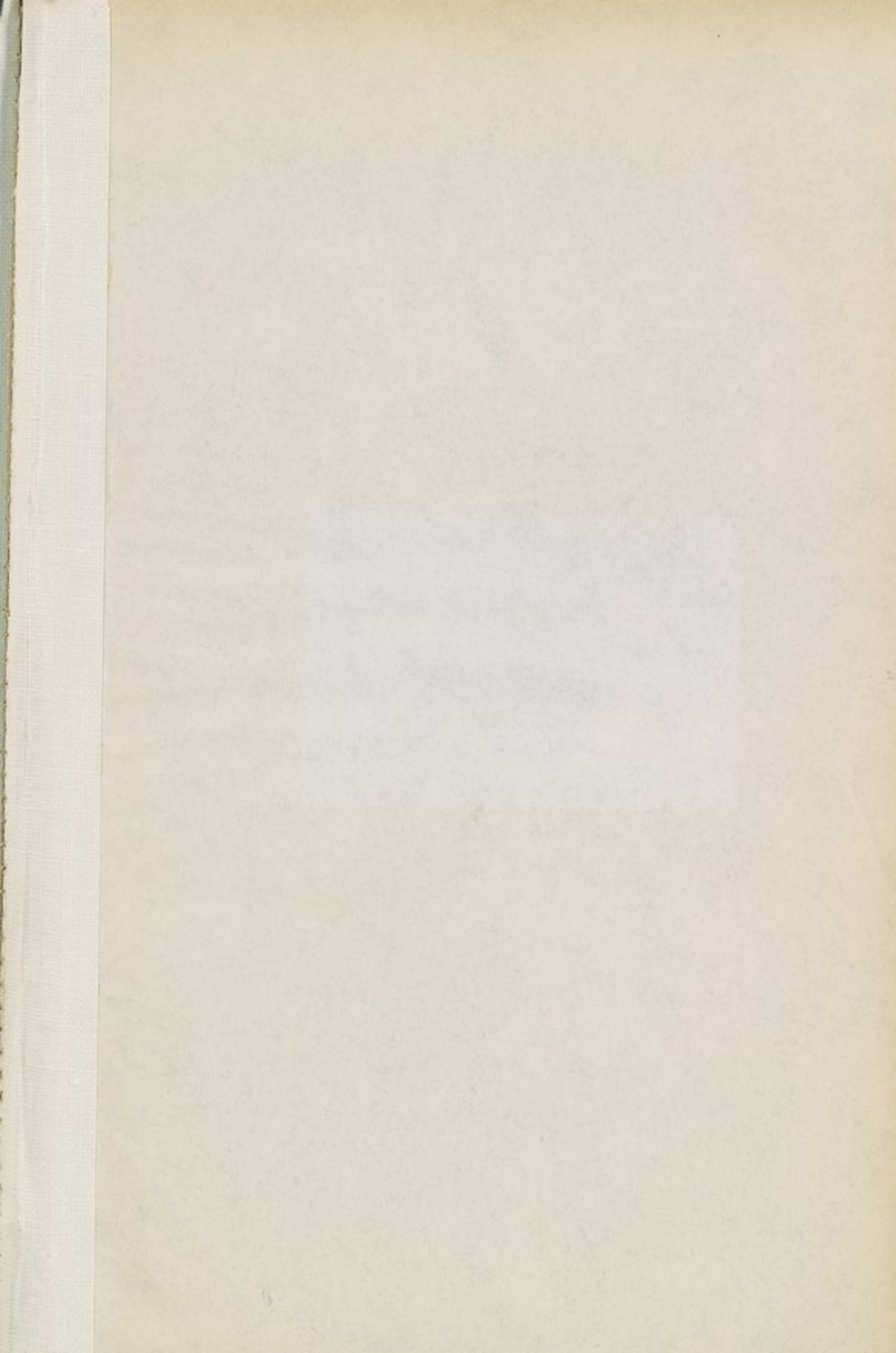
11, RUE VICTOR COUSIN

PARIS (V^e)

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE & D'ORIENT

11, RUE SAINT-SULPICE

PARIS (VI^e)



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

